



٥٢٧

الأستاذ السيد محمد حسين

الشيخ

الأستاذ السيد كاظم الباقري

مؤسسة النشر الإسلامية
الطبعة الخامسة المديونية في شهر المحرم سنة ١٤٠٠



الإسلام والشعور

المسوخ

تأليف

الأستاذ السيد طالب الخرساني

مؤسسة النشر الإسلامي

(الثانية)

لجامعة المدرسين بعن المشرف (إيران)

الكتاب: الاسلام السعودي المسوخ

المؤلف: الاستاذ السيد طالب الخرسان

الموضوع: سياسة اللغة: عربي

عدد الأجزاء: جزء واحد عدد الصفحات: ٢٣٢

الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

الطبع: مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي

الطبعة: الأولى المطبوع: ٣٠٠٠ نسخة

التاريخ: ١٤٠٩ هـ.ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير رسله وأكرم بريته محمد وأهل بيته المعصومين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أعداء الدين.

وبعد، فإن أخطر مأمّنية به الأُمة الإسلامية قديماً وحديثاً هو الانحراف في جانب العقيدة وعدم الفهم الصحيح والشامل لمبادئ ومفاهيم الإسلام، وهذا قد أدّى - وفي حقبات تاريخية - إلى نتائج خطيرة أدّت إلى فقد الأُمة هويتها وأصالتها، إذ قد لا يكون من الصعب تكوين نظرة ولو مشوشة عن الإسلام وما جاء به من مفاهيم ومبادئ وقيم، ولكن من الصعب جداً أن تكون تلك النظرة سليمة عن الانحراف ومطابقة لشريعة السماء ومن هذا نرى الحكم والسلاطين وأتباعهم يعملون جاهدين ويركّزون على إخفاء الحقائق وتشويش المفاهيم وتطعيمها بما يروق لهم ولسياستهم، حتى أدّى ذلك إلى إلباس الدين لباساً جديداً يُغاير دين محمد صلى الله عليه وآله في الحقيقة والمضمون ويشابهه في الشكل والصورة، ولذا وقف الأئمة الهداة عليهم السلام - وعلى نهجهم العلماء الأبرار رحمهم الله - موقفاً شديداً وحازماً للوقوف بوجه تلك التيارات الباطلة لإرجاع الأُمة إلى إسلامها الصحيح وبيانها على ما هو عليه خالياً من الشوائب ونقيّاً من الزوائد والنواقص، وكانوا يصحّحون الفهم الخاطئ الذي يسري إلى الناس من هنا وهناك .

إنّ هذا الكتاب يبيّن جانباً ممّا قامت به الوهابية ويلقي الضوء على الأساليب التي انتهجتها لترويج مذهبها وعقائدها كي يتعرّف القارئ الكريم على ذلك ويكون على بينة من أمره ولئلاّ ينخدع أحد بأباطيلهم وحيلهم.

وقدقنا - والحمد لله - بطبعه ونشره سائلين سبحانه وتعالى أن يوفّقنا والاستاذ المؤلّف لخدمة الاسلام والمسلمين وأن ينفع بهذا الكتاب رواد الحقيقة، والله من وراء القصد.

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجامعة المدرّسين بـ «قم المشرفة»

الإهداء

سِرِّ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الى / شهداء مكّة المكرمة الذين خطوا في درب الجهاد، وقالوا: ربّنا الله، فأبى الكافرون ذلك النداء، فسلبوا حراهم وسيطهم لإخماد ذلك الصوت وقتله. فلم يرجعوا إلّا بالشهادة تحت سياط الجلّادين وحراب الطواغيت. دون أن يتنازلوا عن ذرّة واحدة من ايمانهم ومبادئهم التي آمنوا بها، وسعوا في سبيلها. شهادة فريدة سجلوها في قائمة الخالدين الرساليين.

الى / أبناء ايران الإسلام، الذين تقاطرت دماؤهم لتزرع محلّ كلّ قطرة سقطت شهيداً، يرفع علم الإسلام خفاقاً.

الى / الذين سطروا صفحات التاريخ الناصعة، وأصبحوا قمماً شماء في دنيا الفضيلة والمجد، وقليلون أولئك الذين يحبّهم الله ويغشّهم برحمته وظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه.

الى / النموذج الرائع الذي يقّده الإسلام لكلّ الأجيال البشرية، الثائرة على الظلم والجور والطغيان، وفاءً لموقفكم من البراءة من المشركين. أقدم هذه الصفحات.

طالب الخرسان

تقديم

بقلم

الشيخ مهدي الفتلاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لم تشهد الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل هجمة، أشدّ شراسة من أعدائها، كالهجمة العدوانية الشرسة التي تشهدها في الوقت الحاضر. فالهجمة المعاصرة هجمة عدوانية حاقدة، ذات أبعاد عالمية ودوافع مختلفة، ولها أشكال وصور متعدّدة، سياسية وفكرية، إعلامية واقتصادية وعسكرية، تقف وراءها وتخطط لها وتموّلها دول الاستكبار العالمي (اليهودية والصليبية) كلّ ما تملك من قدرات مادية، وأدمغة تخطيطية، وخبرات سياسية، وينفذ خططها وفصولها العملاء الصغار من عرب الجاهلية الجديدة وغيرهم في العالم الإسلامي بكلّ طاعة وإخلاص.

أما لماذا شنت هذه الهجمة على الأمة الإسلامية في هذه الحقبة من التاريخ بالذات، وهذه الصورة العالمية المتعدّدة الأدوار، فهذا السؤال نقرأ جوابه واضحاً في سطور نورانية في جبين التاريخ المعاصر للإنسانية، سطور خطتها بالتضحيات والدماء قبضات المجاهدين والشهداء من أبناء الأمة الإسلامية في إيران الإسلام.

ولست أبالغ إن قلت: إنه لم يتلق الاستكبار العالمي المستعبد للشعوب المستضعفة، ضربة موجعة، أصابت مخّ تفكيره السياسي، وأدمت جسمه المترامي في العالم الإسلامي، كما تلقى على يد الإمام الخميني قائد الأمة الإسلامية ومفجر ثورتها العملاقة في إيران الإسلام.

وفي ضوء هذا الواقع المرير، تشهد سياسة الاستكبار العالمي وهي تنظر بعيون دامعة، تهاوي عروش عملائها، وتبصر بيأس وخيبة أمل ذليلة خطر الصهوة الخمينية التي باتت تهدد مصالحها في العالم كله. ولما كانت أمريكا الشيطان الأكبر، أكثر دول الاستكبار العالمي تضرراً من الثورة الإسلامية في إيران، لهذا اندفعت لمواجهة الصهوة الإسلامية العالمية بعقلية جنونية، وبسياسة إرهابية، وبروح عدوانية حاقدة، مرتكبة بحق المسلمين في إيران والعراق، ولبنان والحجاز، ومصر وتونس، وغيرها من دول العالم الإسلامي العديد من الجرائم الوحشية بصورة وقحة سافرة، متمردة بذلك على الأعراف الإنسانية والقوانين الدولية.

ومن هذا المنطلق كان من الطبيعي والمتوقع أن تحرف هذه السياسة الغبية الحمقاء أوراق الشيطان الأكبر، قبل أن تحقق أي شيء لصالح البيت الأسود في العالم الإسلامي مادام الخيار فيها ليس للعقل والحكمة، وإنما للجنون والإرهاب والأحقاد.

إن اندحار قوات «المارينز» الأمريكية والفرنسية في لبنان، وفشل معاهدة السلام بين إسرائيل ولبنان، وانكشاف حقيقة النظام السعودي العميل المتستر بالإسلام لمئات الآلاف من الحجاج الذين شاهدوا بأعينهم إخوانهم المسلمين الإيرانيين الأبرياء وهم يتساقطون صرعى على الأرض المقدسة بالرصاص الأمريكي هو أكبر دليل على صحة هذه التوقعات لمستقبل السياسة الأمريكية في العالم الإسلامي، وستؤكد صحة هذه التوقعات نتائج الحرب البعثية الأمريكية ضد إيران الإسلام، وكذلك التدخل العسكري للاستيلاء على الخليج.

وليس من باب المبالغة أو السخرية إذا أطلقنا على السياسة الأمريكية المعاصرة اسم «المسرحيات السياسية المضحكة» نتيجة لارتباكها نفسياً،

وفقدانها لصوابها عقلياً، ولضياع حساباتها سياسياً، وفشل جميع مخططاتها دولياً، في محاولاتها المتكررة محاصرة الثورة الإسلامية في إيران، والقضاء على الصحوة الإسلامية الخمينية العالمية.

ومن المسرحيات السياسية الأمريكية المضحكة في هذا العصر تلك التي تخدم حركة الصحوة الإسلامية العالمية، وتعزز الثورة الإسلامية في إيران!! فلو أراد المسلمون بذل ملايين الدولارات وإقامة مئات المؤتمرات وتأليف عشرات المجلدات لكشف واقع السياسة الوهابية المنحرفة في الحجاز، وفضح هويتها الإسلامية المزيفة، لما استطاعوا أن يحققوا نجاحاً عالمياً كبيراً كالنجاح الذي حققته لهم أمريكا في هذا المجال، حينما دفعت بعملائها من أسرة آل سعود لارتكاب أبشع مجزرة دموية عرفها التاريخ، في أقدس أرض إسلامية، وعلى مرأى ومسمع مئات الألوف من الحجاج المسلمين في مختلف أنحاء العالم. فهل أصبحت أمريكا متديّنة حقاً! وتخلّت عن الإسلام السعودي فأرادت أن تفضحه أمام العالم الإسلامي، أم أنها مسرحيات سياسية مضحكة تورّطت بها من حيث لا تشعر؟!!

إن الأمريكيان أعداء تاريخيون للإسلام لأنهم يهود وصلبيّون حاقدون، ولكنهم أعداء أغبياء حمقى والحمد لله الذي جعل أعداءنا حمقى على حدّ تعبير الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ولو لم يكونوا حمقى لا تتعضوا بتجارهم السياسية الكثيرة المرة داخل إيران، حينما جرّبوا كلّ الوسائل والأساليب لضرب الثورة الإسلامية من الداخل فلم يحققوا أي نتيجة إيجابية تذكر لصالحهم، وأخيراً استخدموا عملاء هم المنافقين للقضاء على الثورة من خلال القضاء على رجالها، فقتلوا في يوم واحد أكثر من سبعين رجلاً كانوا من أبرز أركان الثورة ومن قادتها المعتمدين المعروفين، ولكن ماذا حدث للثورة؟ هل تصدّعت؟ هل ترعزعت؟ هل تراجعت الى الوراء؟ هل استجابت لضغوط

أمريكا؟ هل تخلّت عنها الجماهير؟

إن أمريكا تعرف جيداً الجواب على هذه التساؤلات. ولكن لا أدري هل تعرف بأنها في سياستها الوحشية الحاقدة هذه قد قدمت خدمة كبيرة للثورة، حيث بلورت مفاهيمها وركّزت مبادئها في نفوس الجماهير أكثر فأكثر، وكانت النتيجة أن انهزم عملاؤها من الساحة إلى غير رجعة، حينما شاهدوا بأنهم أعينهم التفاف الجماهير حول قيادتها، وعدم تخلّيها عن ثورتها، حينما واجههم الإمام الخميني قائد الثورة بموقف صلب، وكلمات قوية حطمت كلّ آمالهم على صخرة اليأس قائلاً لهم: «اقتلونا، اقتلونا، فإنّ امتنا بقتلكم لنا تزداد وعياً ويقظةً وصبراً وصموداً أكثر فأكثر...».

إن أمريكا وعملاءها المنافقين ومن دعاة الجاهلية الجديدة، يريدون أن يطفئوا بأفواههم النور الإلهي المتفجّر في إيران الإسلام، والذي أخذ يشع هدىً ورحمةً بأنواره علىّ دنيا المستضعفين والمشرّدين والمظلومين في العالم.

إنهم حقّاً أغبياء فأنّى لهم القدرة على إطفاء هذا النور الإلهي الذي استقطب مشاعر الملايين من المستضعفين في العالم وملأها ولأء لقائدها الإمام الخميني، ودفعها للتعلّق بمبادئه بلهفة وشوق، وبروح عقائدية ومبدئية ثابتة.

فهل يتمكّن هؤلاء جميعاً من إطفاء نور الثورة الإسلامية بأفواههم؟ وأنّى لهم ذلك وهو نور ربّاني يسري في النفوس المتعطّشة للإيمان بطريقة ساحرة خفية فيضيّ مصابيح العقول المؤمنة ويهديها إلى سواء السبيل، ويأخذ بمجامع القلوب الصادقة فيشعلها لهيباً وحبّاً لله سبحانه، ويملأها شوقاً للقاء به وعشقاً للشهادة في سبيله.

هل يتمكّن هؤلاء من إطفاء نور الثورة الإسلامية؟ وهو نور إلهي يشدّ الناس إلى عقيدة الفطرة من داخل كيّانهم وضمائرهم بكلّ يسر وسهولة.

ننمّد وعداً لله سبحانه الأمة الإسلامية بإتمام نوره لها، وبإظهار دينها الحقّ

على أديان الباطل كلّها على الرغم من كراهية اليهود الكافرين والنصارى المشركين لذلك ، وعلى الرغم من مؤامراتهم العالمية ومكائدهم العدوانية المستمرة ضدّ الإسلام فقال سبحانه: «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله ممّ نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون» (١).

إنه الوعد الحقّ من الله تعالى الذي لا يختلف الميعاد، فلا بدّ أن تشهد الأمة الإسلامية في مستقبلها القريب على ضوء هذه الحتمية الإلهية سقوط جميع الطواغيت والمستكبرين في العالم كلّ، وهزيمة كافّة الأديان الباطلة والأنظمة الوضعية الظالمة في العالم، وإقامة حكومة العدل الإلهي العالمية.

ولابدّ أن تكون لهذا الوعد الحقّ مقدماته الموضوعية وأسبابه الطبيعية، ولا بدّ أن تكون هذه الثورة الإسلامية المباركة هي من إحدى أهم تلك المقدمات والأسباب، وهذا ما تدلّ عليه طبائع الأشياء بالوجدان مع غصّ النظر عن الدليل والبرهان. ومن هنا فإن الوقوف مع خطّ الثورة الإسلامية في إيران يعني بالتأكيد الوقوف مع الحتمية الإلهية الموعودة من خلال الوقوف مع ركائزها الموضوعية المتحرّكة على أرض الواقع.

ومن هذا المنطلق، منطلق الشعور بالمسؤولية التي لا ترى غير النهج الحميني بديلاً صالحاً لمقارعة الطواغيت، وكشف عملائهم الأقرام الأذلاء، سجّل الكاتب الإسلامي المبدع الاستاذ طالب الخرسان في هذا الكتاب صوراً أدبية رائعة، وحقائق علمية ناصعة في أسلوب بياني ودليل برهاني متناسقين، سلط الأضواء من خلالها على حقيقة السياسة السعودية والديانة الوهابية المستترة بالعباءة الإسلامية. فأبرز الحكم السعودي في الحجاز عارياً من كلّ غطاء، حالياً

من كلّ رتوش، وطرحه للآخرين كما هو، ليصدروا حكمهم عليه، بعد أن حاكمه بصدق اللهجة وقوة الحجة مبتغياً بذلك الدعوة الى الحق، والحق أحق أن يتبع.

والأستاذ الخرسان كاتب إسلامي كبير، وإن لم تعرف دور النشر كتاباته، وهو كذلك أديب متمرس ضليع، وإن لم تعرف المحافل والمكاتب أدبه وشعره. فقد وقفت بنفسي على أكثر من عشرة كتب مخطوطة له، لم تر النور بعد، وهي بين موسوعة علمية ضخمة، وكتاب في مجلدين، وكتب في موضوعات متعدّدة، ورسائل صغيرة في مجالات مختلفة. أسأل الله تعالى أن يوفقه لنشرها جميعاً.

وفي الختام أترك القارئ الكريم يدلف إلى جوّ الكتاب، يتنسم عبيره، ويقطف من ثماره، ويحمل رسالته إلى سائر الناس. كما أرجو من الله تعالى أن يوفق مؤلفه- أخي الكبير- الى المزيد من العطاء الأدبي والعلمي لخدمة الإسلام والمسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

الشيخ مهدي الفتلاوي

حرّر في ٣/ربيع الثاني / ١٤٠٨ هـ.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائل: «ويعكرون ويعكر الله والله خير الماكرين» (١) وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله الطاهرين القائل: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله» (٢).

وبعد: لما كانت الدول الغربية العريقة في الاستعمار ترى في الشرق الإسلامي لقمة سائغة لا بد من السيطرة عليه لاستغلال خيراته واستعباد شعوبه واستثمار مواقعه الإستراتيجية. ولما كانت شعوب هذا الشرق من الشعوب التي لا تقهر فقد رأت حفاظاً على مصالحها الإستعمارية أن تقيم جماعات غريبة عنه.

ولذلك لم تكن عملية إقامة الكيان السعودي في الشرق اعتباطية أو بطريق لصدف وإنما كانت عن خطة مدروسة موضوعة مسبقاً في المخطط الإستعماري الضخم. ونحن بدورنا لم نظلم أحداً حيث إستطعنا أن نثبت ذلك بأقوال الساسة الانكليز أو الأمريكان أو الصهاينة الرسميين. وليس أصدق من ذلك مما قاله «بيفن» رئيس الوزارة البريطانية أمام مجلس العموم في إحدى خطبه: «إن آل سعود منسجمون معنا في السياسة المرسومة ضد العرب والمسلمين عن

(٢) الكليني «الكافي» ج ١ ص ٥٤.

(١) سورة الأنفال/ آية ٣٠.

طريق فلسطين والقضية اليهودية» (١) وقال ترومان: «إنني اعاهد نفسي على شدّ أزر آل سعود حتى يصبحوا قادة العالم العربي والإسلامي» (٢) وقال تشرشل: «إنني مغتبط بحب آل سعود... وإن العالم العربي والإسلامي سيؤيد من كلّ قلبه قيام مملكة آل سعود في الحجاز وسيعتبر ذلك انتصاراً عظيماً للحق والعدل» (٣).

ومنذ أن قامت مملكة آل سعود في قلب العالم الإسلامي، نراها أداة طيعة وفعالة في خدمة السياسة الأمريكية ومصالحها في المنطقة. وبالمقابل فإن أمريكا بكل طاقاتها البشرية والمادية هي في خدمة السياسة السعودية ومصالحها.

كيف التقى القزم السعودي مع العملاق الأمريكي لخدمة هذا الهدف المشترك؟ أي تبادل العمالة لتدعيم نفوذ كلّ من الدولتين وفرض سياستها ومصالحها على دول وشعوب المنطقة؟! الجواب سهل وواضح.

أمريكا بدأت في أعقاب الحرب العالمية الأولى تهتم بمنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة وبالمنطقة الإسلامية بصفة خاصة لسببين رئيسيين هما:

١- الموقع الإستراتيجي المتميز للمنطقة باعتبارها همزة الوصل بين الشرق والغرب.

٢- ظهور البترول في مناطق كثيرة من الشرق الأوسط وأفريقيا وخاصة في منطقة الخليج. وهو عامل لا يمكن إهماله أو الغصّ من قيمته، إذ أنه من البديهي أن تكون المصالح الإقتصادية هي الهدف الأول والرئيسي للمصالح الامبريالية.. بالإضافة إلى مايعنيه البترول للدول الصناعية- وخاصة أمريكا-

(١) في يوم ٢٦ شباط ١٩٤٧م، جون مارينو «مجلس بيلا تس» ص ١٩٩.

(٢) دفيد ستاملر «كواليس المسألة» ص ١٨٩.

(٣) صحيفة «النارديان الحرة» ديسمبر عام ١٩٢٨م بقلم الكاتب «شستر تون».

من أهمية بالغة حتى لقد قال الزعيم الإنكليزي «تشرشل» خلال الحرب العالمية الثانية مانصه: «إن من يملك بترولاً أكثر يملك قدرة أكبر على النصر» (١) ذلك أن البترول هو عصب الحرب والسلم معاً!

ولكي تحقق أمريكا مصالحها في منطقة الشرق الأوسط، كان لابد لها من عملاء. وعملاء الدول في العادة ليسوا أفراداً بل دول أصغر تعيش على خيرات الدولة الكبيرة وتنضوي تحت لوائها ونفوذها وتنفذ مخططاتها في المنطقة لتضمن لقمة العيش والأمان والحماية عند اللزوم.

لقد كانت أمريكا أول دولة اعترفت بالسعودية (٢) وحثت غيرها من الدول على الإعراف بها، ولهذا أيضاً كانت المساعدات الأمريكية التي قدمت للسعودية منذ إنشائها حتى نهاية عام ١٩٨٧ م تبلغ عدّة أضعاف ماقدمته الولايات المتحدة إلى جميع دول القارة الأفريقية مجتمعة خلال نفس المدة.

وفي مقابل هذه المساعدات المادية والمعنوية حدّد للعميل السعودي دوره في المنطقة وهو الدور الذي رسمته وخططت له وكالة الإستخبارات الأمريكية بالإتفاق مع لجنة الأمن القومي الأمريكية، وهذا الدور يتركز في النقاط التالية:

- ١- أن تمارس السعودية دوراً مدروساً لتشويه الإسلام من خلال تحريف مبادئه، ومسح صورته تطبيقياً لإعطاء صوراً كرهة عنه لشعوب العالم.
- ٢- أن تمارس السعودية دوراً مشبوهاً لإشعال نار الفتنة الطائفية بين الشيعة والسنة للحيلولة دون وحدة كلمة المسلمين التي يخشاها الإستعمار أكثر من أي شيء آخر، وذلك عن طريق وقاظ السلاطين والصحف والكتب التي

(١) نورمان بنتويتش «بعث إسرائيل» ص ١٦٧.

(٢) وولتر ايتان «السنوات العشر» ص ١٠-١١. في صباح ١٤ مايو أعلن البيت الأبيض الأمريكي أن الرئيس ترومان على استعداد للاعتراف بالسعودية.

تثير الخلاف بين المذاهب الإسلامية.

٣- أن تقوم السعودية بشراء ضمائر قادة الحركات الإسلامية والوطنية والكتاب والعلماء والصحفيين والسياسيين عن طريق الدولارات لتأمين جانبهم وعدم معارضتهم للمصالح الأمريكية، وكذلك شراء ضمائر زعماء الدول العربية والإسلامية المحتاجة للأموال السعودية حتى لا تنور على إسرائيل ولا تهنض ضد أمريكا والغرب.

وعلى أمريكا في مقابل هذا الدور الذي تؤديه عملياتها في الشرق الأوسط، دورها هي أيضاً الذي يتلخص في النقاط التالية:

١- تأمين سلامة النظام السعودي، وقد أعلنت ذلك أكثر من مرة... حتى أن وزير دفاعها أعلن أن الأسطول السادس الأمريكي موجود في البحر الأبيض المتوسط لهذه الغاية (١).

٢- تزويد السعودية بأحدث أنواع السلاح مما لم تزود به قوات حلف الأطلسي مثل طائرات الأواكس والفانتوم وسكاى هوك التي زودتها بها السعودية.

٣- تزويد السعودية بالمتطوعين العسكريين تحت شعار «خبراء» في جميع الحقول مدنية وعسكرية على السواء.

٤- شن حملات الغزو الفكري والاستعماري ضد البلاد العربية والإسلامية لإرهابها ومساعدة النظام السعودي على تنفيذ دورها في المخطط المرسوم.

(١) جون وديكمش «جانبا التل» ص ١٨٩، وقال السناتور (رايلي) رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي في ٢٩ مارس ١٩٥٣ م: إن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر الدولة السعودية القاعدة الأساسية للشؤون العسكرية والاقتصادية والديمقراطية في الشرق الأوسط. راجع كتاب «اسس إسرائيل» لمؤلفه أوسكار جانوفسكي ص ٣٣.

وقد قام كلٌّ من الشريكين بدوره المرسوم بإخلاص ونجاح، فأدّت أمريكا ما عليها من التزامات منذ عهد ترومان حتى الآن في عهد ريغان.. وأدّت السعودية ما عليها من التزامات منذ عهد عبدالعزيز حتى الآن في عهد فهد. والقارئ العزيز بفطنته وذكاؤه الفطري يدرك تماماً حقيقة التحالف بين الدولتين الشريكتين ووسائله وأهدافه، ولا يتوقع ولا يمكن له أن يتوقع أي تغيير في سياسة الدولتين، لأن مصالحهما مرتبطة ببعضها البعض.. بل وبقاؤهما مرتبط ببعضه البعض.

فبقاء آل سعود في المنطقة هو بقاء للمصالح الأمريكية في المنطقة الإستراتيجية الغنية بمواردها، وزوال الحكم السعودي هو بالحث زوال للمصالح الأمريكية بما تمثله من أهمية بالغة بالنسبة للإقتصاد الأمريكي والسياسة الأمريكية والعسكرية الأمريكية.

لقد أثبت فيصل لأمريكا بوضوح أنه أكثر إخلاصاً لها من أخيه سعود... فاتصل بسفراء أمريكا وبرؤساء شركة «آرامكو» مراراً وتكراراً. وفي عام ١٩٥٧م سافر فيصل إلى أمريكا واجتمع برئيسها السابق «أيزنهاور» وبوزير خارجيتها آنذاك «جون فوستر دالاس»... وقال فيصل موضعاً لهما: «إنني أقول لكم بصراحة إن هناك من الأمريكيان المسؤولين عندنا من يكتب لكم ضديّ ويزعم أن سعوداً أكثر إخلاصاً لأمريكا مني، لكنهم على خطأ، فإنني أصدق صديق لأمريكا» (١) وجاء في قسم من الرسالة التي بعثها فيصل جواباً على رسالة «جون كندي» والتي قدّم نصّها سفير أمريكا بمجدة بتاريخ ١١/٨/١٩٦٣م بعد عزل سعود: «ولقد عبرتم فخامتكم عما يخالجه ضميركم من استمرار العلاقات الودية بين بلدينا فعلاً تلك العلاقات التي بدأت مثمرة

(١) انظر مجلّة «المصور» عدد ١٣/٧/١٩٥٧م.

في عهد والدنا عبدالعزيز، بل ومن افتتاح عهد جديد في العلاقات الأمريكية السعودية لكي تكون الرابطة التي تربط بين بلدينا قائمة على تعهد كل منا لمصالحه تعهداً مستمراً على أساس ما يبغي الإنسان من حقوق أكيدة بما يحقق قابليّاته للتطور والحرية» (١).

إننا على يقين أن حكام الدول العربية والإسلامية يدركون جيداً خطورة الدور المشبوه الذي تمارسه السعودية في العالمين العربي والإسلامي، لكنهم يغمضون أعينهم عن هذا الارتباط المشبوه بين حكام السعودية وأمريكا والصهيونية، ويمتدون إليهم يد الصداقة أو يد الذل والخنوع والعبودية والاستسلام، غير ناظرين من خلال ذلك إلا مصلحتهم الشخصية على حساب بلادهم وأهلها. وكيف يتخلّون عن آل سعود الذين أصبحوا مصدراً لوجودهم في كراسي السلطة.

إنّ معشر الرؤساء مسلمون قبل كلّ شيء، فعليهم أن يضعوا الإسلام قبل كلّ شيء، ويحكموه في أنفسهم، ويجعلوه أساس حكمهم، ولن تنفع دولارات آل سعود المسروقة، وإنما ينفعهم العمل الصالح والقيام على أمر الله، وإنه لخير لحكام المسلمين أن يذكر لهم التاريخ أنهم عاونوا على الحكم الإسلامي، وأنهم لم يخالفوا الإسلام بمصافحة الأيدي السعودية الدنيئة التي لا يرضاها الإسلام للمسلمين.

لقد أصبح الأمر جدّاً ولم يعد بالإمكان الاستهانة بهذا العدو الغاشم الذي يعمل بقول الشاعر:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك، كما يروغ الثعلب
ولما كانت المعركة حاسمة بين الاسلام والكفر، فإن العالم الإسلامي

اليوم هو أحوج ما يكون الى معرفة كل ما يتصل بعصاة «آل سعود» وما هو نصيبها من الإسلام ومن الحضارة في التاريخ قديماً وحديثاً ليكون على بيّنة من أمره من هذه العصاة التي كادت دعايتها أن تطمس على عيون المسلمين وتعميهم عن سواء السبيل، ولما كانت الحالة هذه فإنني رأيت أن أقوم بواجب رأيته من أعظم الواجبات الشرعية بدراسة تاريخ هذه العصاة، ونصيبها من التقدم والرفق ومن العلوم والفنون وعاداتهم ودياناتهم وغيرها. وإنني بكل فخر واعتزاز أقدم هذه الصفحات الى أبناء الأمة الإسلامية وهي خطوة أولى لفصح عصاة آل سعود ودينهم «الوهابي» الممسوخ. نأمل أن تتلوه خطوات أدق وأشمل وأعمق من قبل إخواننا الكتاب الأحرار الذين يشعرون بالمسؤولية.

لقد أصبح من الواجب الشرعي على الكتاب الإسلاميين والعلماء ورجال الفكر الإسلامي أن يقولوا كلمتهم في حكم آل سعود بعد أن كثر عن أنيابه في تلك المجزرة الشرسية التي أوقعها بالموحدين من ضيوف الرحمن.

إن اعتداء آل سعود الغزاة على الحجيج لم يغضب مسلمي العالم فقط بل إنه قد أغضب كل أمم الأرض الحرة في الشرق والغرب، وتعالّت أصوات الاستنكار من كل جانب ضدّ هذا الاعتداء الوحشيّ الجبان. ولا أدلّ على غضبة الشعوب الإسلامية على آل سعود وعلى هذا الاعتداء من انعقاد المؤتمرات، وإرسال بيانات الاستنكار والاحتجاج.

ونحن وإن كنّا نشكر لغير المسلمين من الأحرار اهتمامهم بالمجزرة الوحشية ووقوفهم في وجه آل سعود الأوغاد، فإننا لانحبّ أن ينطبق علينا المثل الباكستاني القائل «صاحب الحق نائم، والشاهد قائم» بل علينا أن نكون في المقدمة للدفاع عن الحجاج المسلمين.

إن هذه الضربة التي وجّهت إلى إيران ليست في الواقع موجهة ضدّ الإيرانيين وحدهم، بل هي ضربة موجهة إلى العالم الإسلامي كلّ، وماهي إلّا

تحدّياً لاختيار مدى ردة الفعل عندهم، فإذا سكنتنا عن هذا التحدي أو تركنا الردة عليه أفسحنا المجال أمام آل سعود لكي يعززون ضرباتهم بضربات كثيرة توجه الى الحجاج المسلمين في العالم الإسلامي، كما يحبّون ويشتهون.

ولست أستطيع أن أترك القلم دون أن أسجل في خاتمة هذه الكلمة خالص شكري وعميق تقديري لسماحة العلامة المجاهد الشيخ مهدي الفتلاوي على ما أسدى من نصيح، وما أفاض على شخصي من ثناء يدل على سخاء نفسه، ولقد كانت مناقشاته القيّمة معي وكلماته نفحات دفعني إلى إتمام العمل على هذا النحو من الاتقان. كما تفضل سماحته فراجع فصول هذا الكتاب ووضع له مقدّمته القيّمة رغم مشاغله الكثيرة، ومنها انشغاله بتأليف موسوعة علمية ضخمة حول الامام المهدي (ع)، إضافةً للكتب العلمية الأخرى التي في طريقها الى الطبع. ملتمساً رحمة ربّه، وطلب رضاه. يكتب ويؤلف ويهدي الناس الى الطيب من القول، خدمةً للإسلام والمسلمين وهذا ما ينفعه في دنياه وآخرته. مستحضراً قول الرسول الكريم (ص) القدوة الحسنة: «إذامات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوه» (١) وهكذا شأن العلماء.

أسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يمنّ على المسلمين جميعاً بالوعي والفهم الشامل لما يحوكه أعداؤهم المستكبرون وعملاؤهم المنافقون كآل سعود وآل الصباح وشاهات الأردن والعراق ومصر والمغرب، وعلماء السوء الذين لا يتغيرون بتغير الزمان والمكان، ومن شأن عقليّتهم أن تظلّ مغلقة لا تتقبّل الحقائق ولا تنفتح على الواقع حتى يأتهم الطوفان وتأخذهم الصيحة من كلّ مكان. كما أسأله أن يمنّ على المسلمين جميعاً بالنصر المؤزّر

(١) رواه مسلم في الصحيح.

الذي تهزم أمامه قوى الاستكبار العالمي والأقزام العملاء. «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحميد».

ولعل الظروف تساعدنا على غير ذلك: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا وإن الله لمع المحسنين». وأرجو من القارئ الكريم أن لا يعجل بذمي على ما أسطره، بل يتفكر في حقيقة ما أذكره، فربّ ملوم مثلاً لا ذنب له. ومن الله أستمدّ التوفيق.

طالب الخرسان

٦/ ذي الحجة الحرام / ١٤٠٧ هـ

الفصل الأول

هذه هي الوهابية

نشأة الوهابية:

التاريخ العربي بكلّ هويّاته وميوله والتاريخ الإسلامي مجمعان أن الحركة الوهابية فئة ضئيلة، وفرقة ضالة مضلّة، منسوبة إلى محمّد بن عبد الوهاب (١)، الذي ينحدر من اسرة يهودية كانت في يهود الدوغة في تركيا التي اندست في الإسلام بقصد الإساءة إليه والهروب من ملاحقة بطش بعض السلاطين العثمانيين (٢).

بدأت الحركة الوهابية باسم محمّد عبد الوهاب، وينتشر معظم أعضائها حالياً في الحجاز وفلسطين المحتلة وأوروبا وأمريكا، ويعتبر التوجيه الأول لهم في أي بلد غرسوا فيه نبتهم هو العمل لربط الفكر الديني الإسلامي بالفكر اليهودي ونواميس موسى^١ (٣).

(١) ولد عام ١١١٥هـ في قرية «عين» ومات عام ١٢٠٦هـ.

(٢) نشر إسحاق بن زفي الرئيس السابق للدولة اليهودية التي اغتصبت فلسطين كتاباً عن الدوغة بالعبرية، وترجمه للإنكليزية اليهودي إسحاق عبادي، وأصدرته دار النشر اليهودية في أمريكا عام ١٩٥٧م، وأعيد طبعه مرة ثانية عام ١٩٦١م، يقول ابن زفي: «هناك طوائف دينية لا تزال تعتبر نفسها جزءاً من بني إسرائيل، وأعضاء هذه الطوائف رغم اختلاف أسلوهم عن مجموعة الشعب اليهودي- استمروا على إقامة شعائر الدين اليهودي، ومن هؤلاء طائفة السامريين الذين يعتنقون صراحةً الدين الموسوي، ومنهم طائفة هامة أخرى هي طائفة الوهابية وهي مسلمة في الظاهر إلا أنها تقيم سرّاً الشعائر اليهودية». (٣) لبيري اندرسون «أصول دولة الحكم المطلق» ص ٥٧.

وأن المتبع هو رأيه، حسب مقتضيات الظروف والأحوال، ولا عبرة بقول نبي أو إمام، حتى بلغت الجرأة به أن قال: «عصائي خير من محمد، فإنها تنفع ومحمد لا ينفع» (١).

وقد فرح أقطاب الإستعمار بهذا العبد الوهاب، فقال اللورد كورزون في وصف الشريعة الوهابية: «هي أعلى وأبهى دين أخرج للناس» (٢) ثم مات محمد عبد الوهاب ولا يزال مستشرقوا الإستعمار، لاسيما المستشرق اليهودي (جولد تسيهر) يدعوه نبي الحجاز ويشجع تعاليمه. ويقبل عليها بلهفة ويفرح بتلاوة كتاب «الأقدس» ويراه تنفيذاً لنبوءات المزامير، ولا يزال دعاة الوهابية يمثلون دور الحجة والمكاسر والمكالب. (٣)

وتذكر بعض المراجع أن محمد عبد الوهاب هذا أرسل دعاته إلى أمريكا وبريطانيا لنشر الدعوة الوهابية بين الأمريكيين والبريطانيين عام ١١٥٨ هـ، ثم سافر إلى لندن عام ١١٥٩ هـ، وزار العديد من البلدان الأوروبية، كما زار الولايات المتحدة الأمريكية. وكوّن له مجموعة من الأتباع وعاد من جولته عام ١١٦٠ هـ (٤).

وتشير بعض المصادر الدولية أن المحافل الوهابية في العالم (٢٨٢١) محفلاً ولديها ثلاثين محفلاً مركزياً وترجم كتبها إلى عدّة لغات. وأغلب هذه المحافل في أوروبا وأمريكا (٥).

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٧٨.

(٢) روبنسون «المؤامرة لتدمير كافة الحكومات والأديان» مطبوعاً بلندن عام ١٨٩٨ م، ورغم جمه من الأسواق، كما نعرف من مناهج اليهود، لا يزال بعض نسخه محفوظاً.

(٣) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، ص ١٠٥، الطبعة الأولى (بيروت عام ١٩٧٠ م).

(٤) ج. أ. أسلمت «محمد بن عبد الوهاب والعصر الجديد»، ص ٩٩، الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ.

١٩٢٨ م.

(٥) راجع مجلة «آخر ساعة» القاهرة عدد (١٦) مارس ١٩٥٥ م.

أقام محمد بن عبد الوهاب نفسه مدافعاً عن اليهود، فاتفق مع من سبقوه لنسخ فكرة الجهاد من نفس المسلم، أي اتفق محمد بن عبد الوهاب مع الباطنية وفروع الماسونية، بالصولة على الإسلام ونسخ الشريعة الإسلامية فقال مانضته: «لم يبق لتلك الشريعة حكم» (١). يعني أن مجيئه كمقدمة لارتفاع راية اليهود، أزال مفعول الشريعة الإسلامية، بل رأى جميع الأديان لالزوم لها، إذ أن الوهابية تغني عن جميع أديان البشر.

ويقول مؤسس الحركة الوهابية مايلى: «إن مصير اليهود هو العلامة الحاسمة لآخر الزمان، فقد قضى عليهم خلال الدورة المسيحية أن يشردوا وأن ينفوا من الأرض، فاذا استوفوا عقابهم وأذن لهم في الرجوع الى أرضهم (?) حينئذ قد يعلم أن دورة قد انتهت وأن دورة أخرى قد بدأت» (٢).

وهنا يلتقي محمد بن عبد الوهاب مع «شهود يهوه» في قضية أن مصير اليهود هو علامة آخر الزمان. ونظراً لأن الجهاد ركن أساسي في العقيدة الإسلامية ولأن المتتبع لتاريخ الاستعمار الغربي سيجد أن المقاومة الحقيقية التي واجهته هي المقاومة الإسلامية، وأن الحركات الوطنية في آسيا وأفريقيا حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت تنطلق من هذا المفهوم الإسلامي، مفهوم الأمة التي يؤمن كل فرد فيها أنه مسؤول عن إعلاء كلمة الله بالجهاد، لجأت الحركة الوهابية إلى تحريم الجهاد لترك هذه الأمة لقمة سائغة في أفواه بني صهيون.

لقد أقبل اليهود على الوهابية منذ تأسيسها، وحملوا رايتها وكثروا سرادها وقاموا بالدعاوة لها، وطالما رأينا بعضهم يعيش العمر كله وهابياً ويدفن حين

(١) راجع مجلة «المسرة» أعداد تشرين الأول ١٩٥٥م ص ٦٥٣، وتشرين الثاني ١٩٥٥م ص ٧٣١. (حريصا- لبنان).

(٢) مجلة «نور الحياة» القاهرية الأرثوذكسية عدد آب ١٩٥٤م، وأعداد كانون الثاني وشباط وآذار

يموت في مدافن اليهود (١).

ترك محمد بن عبد الوهاب العديد من الكتب التي تحتوي العقيدة التي ابتدعها، ويعتبر أتباعه بعض هذه الكتب مقدسة، وبعضها الآخر يعتبرونها موضحة لمذهبه الديني، وأهم كتبه «الحق يحرركم» الذي يعتبر المصدر الأساسي للعقيدة الوهابية (٢).

هؤلاء الوهابيون لا يزالون - منذ زعمهم الإسلام - يعيشون في الحجاز بوجه مسلم، وهذا ما ساعدهم على التدخل في شؤون الحجاز السياسية والاقتصادية والتربوية والتوجيه الفكري. ويعودون للأوكر يتواصلون بمثل هذا النص: «لا تتزاجوا إلا في ما بينكم، ولا تأخذوا من عادات الآخرين إلا الظاهر، ينبغي أن نغمي عيونهم عن الحقيقة، ونحافظ على الاسم المزدوج (٣).

الوهابية في تطلعاتها العقائدية والدينية:

وهؤلاء الوهابيون يُكفّرون غيرهم من المسلمين وينبذونهم بالشرك والإلحاد، ويبيحون دماءهم.. إلى غير ذلك. كما أنهم ينسبون إلى شيعة أهل البيت عليهم السلام أموراً ليست فيهم ولا هي مذكورة في كتبهم وأصول مذهبهم.

(١) «حصوننا مهتمة من داخلها» ص ١٣٣.

(٢) خيرى رضا «شذرة من تاريخ الوهابية» ص ٢٧-٣٠، دمشق (مطبعة الترقى عام ١٩٢٨م).

وفي كتاب «الحق يحرركم» مائنه: ١- القرآن طافح بالمتناقضات ص ٢٥٣. ٢- لا يمكن أن يكون محمد نبياً لأنه ليس يهودياً ص ٢٥٥. ٣- إن عقيدة محمد بخلود النفس اخترعها الشيطان ص ٢٥٩.

٤- ليس للإسلام رسالة يقدمها ص ٢٦٠. ٥- العالم كله - سوى اليهود - عدو لله ص ٢٦١.

(٣) راجع صحيفة «الشهاب» البيروتية العدد الأول - نيسان ١٩٦٩م وهي تعلق على كتاب (الدومة) الصادر عام ١٩٥٧م والمطبوع ثانية عام ١٩٦١م أصدره (إسحاق بن زفي) الرئيس السابق لإسرائيل.

فالحركة الوهابية وإن لم تكن مذهباً من المذاهب الاربعة، إلا أنها اتخذت لنفسها طابع المذهب.. فهم لا يقيمون الحدود ولا يُجرون الأحكام الشرعية. ورأيانهم أضّر على الإسلام من كل شيء، وقد شوهوا سمعة الإسلام بأعمالهم وأفعالهم، وبسوء فتاوى علمائهم، وبسوء صنيعهم بالعترة الطاهرة الأئمة عليهم السلام وغيرهم، وذلك بهتك حرمتهم وهدم قبورهم.

ولا تحسبن أن الاستعمار استطاع أن ينقذ هذه الخطة اللثيمة بيسر وسهولة. لقد صمم تفاصيلها بشكل دقيق ومدروس، ونقذها ببراعة ودهاء بالغين. ومن أغرب مظاهر الدهاء في هذه الخطة اعتماده في التنفيذ على مجموعة تتظاهر بالإسلام! وتدعي أنها سلفية!! وأن كل ماسواها من المسلمين مشركون!!!

وأول ما فعلته هذه الفئة البدوية الجاهلة هو أنها عمدت- باسم محاربة الشرك!- الى القضاء على كل معالم التاريخ الإسلامي في الحجاز، فهدمت الآثار الإسلامية التي كان كل واحد منها يرمز الى واقعة تاريخية إسلامية تحيي ذكريات صدر الاسلام في النفوس، وتضخّ الزخم والطاقة والمعنوية في الأرواح والقلوب، كما هدموا قبور الأئمة والأولياء والصالحين التي زارها رسول الله (ص) بنفسه- كما فعل في البقيع وأحد- باجماع المسلمين. حتى بلغت بهم الجرأة الى أن أقدموا على هدم قبر رسول الله (ص)، لولا أن تعالت ضجة المسلمين فارتدعوا عن ذلك. وقد سمع خطيبهم يخاطب في حضرة الرسول (ص) ويقول بحرقه وحسرة: «كان علينا أن نمنع الناس عن هذا المكان، ولكن ماذا نصنع، وقد غلب على أمرنا» (١).

ومهما يكن، فإن استطاع الوهابيون أن يزيلوا الأحجار عن قبور الأئمة الأطهار، فإنهم أضعف من أن يزيلوا ذرة من الحبّ والولاء للرسول وآله، أو يمحووا

كلمة واحدة من كلامهم، وحكماً من أحكامهم، فلقد دلّتنا التجارب المتتالية عبر التاريخ أن عظمة أهل البيت ترتبط بإرادة الله، لأنه هو الذي اصطفاهم واختار محمداً (ص) منهم لما اختار وأراد.

وفيما يلي أذكر بعض فتاواهم الشاذة الغربية على الإسلام:
يعتقد الوهابيون بأن الحاج- أو أي شخص آخر- لو وضع يده على قبر رسول (ص) فهو مشرك. وترى الشرطي الوهابي يقترب منه ويصرخ فيه وجهه: ارفع يدك يا مشرك!! وإذا قال قائل: «يا رسول الله» فهو مشرك. وإذا قبض على الضريح أو قبله أو يتبرك به فهو مشرك. ويضربه الشرطي ويضجره ويقول له: لا تفعل يا مشرك. إلى غير ذلك من الآراء السخيفة التي لا تتفق مع الشرع الإسلامي الحنيف أصلاً، والتي تضحك منها الثكلى وشر البليّة ما يضحك.
والخطب الأفضح أنهم يوبّخون الحاج وينهونه عن عمله المقدّس بكلمة: يا مشرك.. يا كافر، وذلك في أول مرة، فإن قبل قولهم فيها، وإلا فهو مباح الدم، ويجب قتله (١).

نعم لم يسمح الوهابيون للحجيج بزيارة قبر رسول الله (ص) بما يستحقه من الزيارة فيلقى الحاج الواقف عند قبر الحبيب محمد (ص)، والمتّجه إلى الله بالتضرع عند هذه البقعة المشرفة، يلقى ألوان الاهانات ويتصدى له بدوي لا يميز بينه عن شماله، ليعلمه دينه! وليقول له: هذا حرام... هذا حرام... وتبلغ الجرأة ببعض الحفاة الجفأة الواقفين على قبر الرسول (ص) أن يرفعوا عقيرتهم بالقول! محمد رجل مثلي ومثلك، ومات... إقرأ الفاتحة وامش!! (٢).

(١) محمد أمين الأنطاكي «رحلتي من الضلال الى الهدى» ص ٢٦ و ٢٧.
(٢) تقرير عن المؤتمر العالمي «الوحدة الاسلامية والحج» الذي عقد في فريتاون عاصمة سيراليون بدعوه من منظمة الوحدة الاسلامية الأفريقية خلال الفترة بين ١٥- ٢٠ شوال ١٤٠٣هـ/ ٢٦- ٣١ يوليو (تموز) ١٩٨٣م. ص ٤١.

تلك الشطحات التي لا تفسير لها إلا بالجحود والاستخفاف بالدين والشعبذة.

أعجب من قوم بأهوائهم	لمقتضى عقلهم ينقضون
يوحدون الله لكهم	بالله مع توحيدهم مشركون
ضلت مساعيهم وهم يحسبون	أنهم في صنعهم يحسنون
إن الزموا الحق أجابوا بما	أجاب عن غي به الكافرون
أباؤنا من قبل كانوا كذا	إننا على آثارهم مقتدون

وقد ارتكب الوهابيون جريمة قتل المسلمين وإراقة دماهم ... وذلك في الحجاز وفي العراق .. في مآسي مسجلة في التاريخ (١) والله در القائل:

ومن عجب الدنيا حكيمٌ مُصَفَّرٌ	وأعمش كحال وأعمى منجم
وقارؤنا تركي وهندي خطيبنا	تعالوا على الاسلام نبكي ونلطم
وما عشت أراك الدهر عجباً	

وفي الحقيقة إن الوهابية قد قسموا آراء ابن تيمية إلى قسمين، فجعلوا القسم السلبي قاعدة لكلامهم ومحوراً لعقيدتهم بحماس كثير زائد، وغضوا النظر عن القسم الإيجابي منها (من قدم حروف المعجم وغير ذلك) وقد خلق فيهم تكرارهم لهذه التعبيرات الحاططة في منازعاتهم وكتبهم وخطبهم حالة نفسية مرزوا عليها ورسخت في أذهانهم حتى اعتبروا كل تعظيم لغير الله منافياً لتعظيم الله، وهو من قبيل جعل الضد والنَدَّ له تعالى، وهو عبادة لغير الله، وهو شرك بالله، وصاروا يغترون بها حتى كأنها نكتة لم يسبقهم الأولون ولن يلحقهم الآخرون!

ولكن الحقيقة هي أن ذلك قد حصل في القرن السادس، حيث اشتهر عن

(١) راجع «تاريخ كربلاء» للدكتور عبد الجواد الكلدار.

العارف الشهير أحمد الغزالي أنه منع عن لعن الشيطان، وعظمه وأجله بحجة أن غيره إبليس على توحيد الله منعه عن السجود لغير الله!!

والأنسب أن يسمى هذا التوحيد بالتوحيد الشيطاني، والعرفان الأبلسي، فإن كمال التوحيد بعد معرفته بأنه إله واحد، لا قديم، ولا شبيه له، هو التسليم الصرف والإستسلام الخالص لأمره تعالى... وهو لب الدين كما قال الله تعالى: «إن الدين عند الله الإسلام»، وقد بين الله تعالى لنا في كتابه الكريم أن هذه النزعة، وهي الغلو في عدم تعظيم غير الله بحيث يؤدي ذلك إلى مخالفة أمره تعالى غير مقبولة عنده تعالى، وظاهر أن أمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ينافي هذه النزعة- أعني نزعة الغلو في عدم تعظيم غير الله- وذلك لأنه وإن كان السجود لغير الله ممنوعاً عنه في الشرايع التي أنزلها للناس، ولكن الأمر بيد الله تعالى، فله أن يأمر بتعظيم مخلوقاته لآباده.

ولذلك نراه قد أمر الملائكة بالسجود لآدم وأمر الناس في الحج أن يصلوا إلى أثر قدم عبد من عبيده، وهو مقام إبراهيم عليه السلام، وأن يتبركوا بالحجر الأسود، وبأركان البيت الذي شرفه الله تعالى، فليس معنى ذلك أن الشرك كان واجباً على الملائكة في سجودهم لآدم، أو أن الصلاة إلى مقام إبراهيم والتبرك بالحجر الأسود كلها واجب تارة ومستحب تارة. بل يستفاد من ذلك أن التعظيم لغير الله لا يلزم منه الشرك وإن كان بصورة السجود، إذا أمر الله، وذلك أمرو واضح لا يخفى على ذي مسكة (١).

والحركة الوهابية مبنية على الاعتقاد بوجود إله واحد أزلي نظير ما يعتقد به المسلمون إلا أنهم يستمدون صفة الخالق من أساس العقيدة الباطنية، وإن هذا الوجود هو مظهر من مظاهر الله، وأن الله هو النقطة الحقيقية وكل ما في الكون

(١) مهدي الحسيني «بحوث مع أهل السنة والسلفية» ص ١٦٤ و ١٦٥ الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

مظهر له، وبينما الوجود عند المسلمين صادر عن الله، فانه عند الوهابيين صفة تدلّ على الحياة والتأثير، وبدون مظاهر العبادة أمور ظاهرية تعبّر عن أمر باطني (١).

ورغم أن الوهابية يعيشون بتعاليم وضعت حدّاً لاستمرار شريعة الإسلام، يظهرون بين مسلمي العالم مسلمين ويمارسون الصلاة في الجمعة والجماعة ذلك أن للباطنية وجهين. وهذا نموذج من تفاسير الآيات عند الوهابية آية (وجاء ربك) تعني مجيئ محمد عبد الوهاب الى الحجاز ممهداً لقيام دولة إسرائيل. وقد يعجب القارئ من هذا، لكن إذا علم أن وظيفة الرسل تلقى الوحي ووظيفة محمد بن عبد الوهاب تأويله زال عجب (٢).

وترى الوهابية الرسل لم يبلغوا كل شيء، بل تركوا كثيراً من التفاسير لمن سيأتي بعدهم، وفي مقدمة هؤلاء محمد بن عبد الوهاب، إذ بشر به الرسل وانتدبوه ليفسّر كتبهم (٣).

حدّث الدكتور علي علي منصور المستشار القانوني الشهير: أن كثيرين من أهل العلم جزموا بأن الوهابية تستقي من الباطنيات القديمة التي لا مرجع لها إلا التوجيه اليهودي التلمودي، وأضاف أن العلامة الشيخ عبد المجيد شاهين اهتم بتلك الآراء ونقل تلك الفتاوى وضمّنها كتاباً دعاها «الوهابية كفر والحاد» (٤) والسيد رشيد رضا حدّثنا بمناره (٥) عما تكن الوهابية من تأمر. بين الله سبحانه وتعالى أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو

(١) مجلة «الطريق» العدد ٢ السنة الأولى ١٩٨٣/٤/٢ ص ٤٣.

(٢) صحيفة «الرسالة» ١٩٧٩/٥/٤ م موضوع «قراءة موضوعية للوهابية».

(٣) عماد عبد القادر فتحي «الوهابية والصهيونية» ص ١٠١ طبعة ١٩٣٠ م.

(٤) طبعته مطابع عابدين بالاسكندرية عام ١٩٥٥ م. نتمنى أن نطبع هذا الكتاب.

(٥) مجلّة «المنار» المبدد الصادر في شوال ١٣٣٤ هـ ٢٩ آب ١٩١٦ م ص ٤٤٢.

مردود على صاحبه، وأنذر الذين يجادلون في الله وآياته بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير كما في قوله تعالى: «من الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» ثاني عطفه ليضلّ عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق» (١)

وكشف عن ضلال القادة الدينيين الذين انحرفوا عن العهود والمواثيق المأخوذة عليهم، وافترضوا على الله الكذب، وانتحلوا لأنفسهم حقّ التشريع والتحليل والتحرّم، إرضاءً لأهوائهم، وإشباعاً لشهواتهم، وتلبساً على الناس في دينهم، كما في قوله تعالى «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون» متاع قليل ولهم عذاب أليم» (٢).

وعاب على أسرى التقليد إعراضهم عن الحقّ الذي جاءت أنبياء الله ورسله، وجمودهم على إتباع ما وجدوا عليه آباءهم، وارتكابهم الفواحش باسم الدين تعصباً للجمود والتبعية العمياء، كما قال عزّ من قائل: «وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولئك لا يفلحون» لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون» (٣).

إن التقليد الذي ذمّه الإسلام وشدّد النكير على أهله إنما هو التقليد الذي يقوم على التبعية العمياء، والجمود على القديم الموروث، ومحاربة كل جديد يخالفه ولو كان ذلك الجديد أقوم طريقة وأهدى سبيلاً، والذي لا يميز بين التقليد في الخير والتقليد في الشر، ولا يفرق بين اتباع أهل الحقّ من الأئمة الراشدين والقادة المصلحين، واتباع أهل الباطل من أصحاب القيادات الضالة والأهواء الجامحة، وأمّا تقليد أهل الحقّ من الأئمة الراشدين والعلماء الراسخين الذين

(١) سورة الحج / آية ٨ و ٩. (٢) سورة النحل / آية ١١٦ و ١١٧. (٣) سورة المائدة / آية ١٠٤.

استمدوا علومهم ومذاهبهم من الكتاب والسنة، واستقاموا على الطريقة المثلى والمحجة البيضاء، فليس من قبيل التبعية العمياء التي لا تنظر ولا تفكر فيما تقلد، وإنما هو من قبيل القدوة الواعية المستبصرة، واتباع غير العالم لأهل العلم والمعرفة، كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» (١).

وهذه الدعامة قضى الاسلام على سلطة المتألهين من أصحاب القيادات الضالة المضللة، وخلع عنهم رداء القداسة التي انتحلوها لأنفسهم، وموهوا على الناس بأنها رفعتهم فوق النقد والتجريح، وجعلتهم أرباباً من دون الله يحللون ويحرمون كما يشتهون، وأجرى عليهم من أحكام المسؤولية والجزاء ما أجراه على سائر الأفراد، ويّين أن ربوبية العبادة والتشريع إنما هي حق خالص لله وحده، وأهاب بأسرى التقليد والتبعية العمياء، أن يحرروا أنفسهم من هذه الأغلال الجاثمة على عقولهم وأفهامهم، وتلك الأكنة المعقودة على أسماعهم وأبصارهم.

وهكذا طالبنا الإسلام بأن نطهر نفوسنا وسلوكنا من الأغراض الخفية والأهواء الدفينة، ونحرر عقولنا وأفهامنا من الخضوع لسلطانها والانقياد الأعمى لوجيها، وأن نجعل أهواءنا تبعاً لحكم الله وشرعه، لا أن نجعل أحكام الله تبعاً لأهوائنا، فإن ذلك من أكبر العوامل في اعتدال النظر واستقامة التفكير، وصحة العقائد وكمال الأخلاق وصلاح الأعمال.

ولهذا ذم الإسلام العاكفين على عبادة الأهواء والأغراض، ونعى عليهم ضلالهم وانحرافهم عن الحق إرضاءً لأهوائهم، كما في قوله تعالى: «فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى

من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين» (١).

هذا هو منهج الإسلام في تحرير الفكر الإنساني، ولقد تلقى المسلمون الأولون هذا المنهج التحريري من ينابيعه الصافية، واستقرت دعائمه في أعماق نفوسهم، وانطوت عليها أفئدتهم وجوانحهم، فكان رائداً أميناً لعقولهم وأفهامهم، وغذاءً روحياً لغرائزهم ومواهبهم، وطبعهم على حرية الفكر واستقلال الإرادة، وكره إليهم التقليد والتبعية العمياء، ووجه عقولهم للبحث والنظر.

هذا تشرح سقناه للمخدوعين من المسلمين والذين وقعوا فريسة للدعاية الوهابية وألاعيبها الشيطانية، علّما تعيمهم، ويأخذون حذرهما ليومهم وغدهم. إن العالم الذي نعيش فيه مليء بالأفكار الهدامة، مشحون بالسياسات المختلفة منها ماهي إلحادية صريحة، ومنها ماتوئيد الدين في الظاهر وتهدمه في الحقيقة، وقد يلبس الإلحاد مظهر الدين وتبرز الأخرى عداها له حسب المصالح والأهواء.

وهذه السياسات هي التي ضخمت الخلافات بين المسلمين، ولا تزال تغذي إلى الآن هذه الناحية، فلماذا لا نتسلح نحن بهذا السلاح، فنتناول بالبحث ما يتناولونه لكي يقف المسلمون على الحقائق فلا يتأثرون بما يقرأونه للمغرضين من عملاء السياسات المفرقة، وبذلك ندفع عن ديننا ما يشوه سمعته، ونдрأ عن أمتنا ما يمزق شملها؟

إن خطر السياسات الاستعمارية على مجتمعنا الإسلامي ظاهر واضح، والحرب الأخيرة لا تزال آثارها - من إنحلال خليق وتحلل - تعمل عملها، وعلماء الدين هم أهل هذه الرسالة والمسؤولون عن هذه الأمانة، فإن توانوا أو قصرُوا

فستظلّ السياسات تعبت بنا، وتعمل عملها فينا، وتفرّق كلمتنا، وتحطّم كياننا، وإذا كانت في الماضي القريب قد أوجدت فرقاً (كالوهابية والبهائية والقاديانية) وألصقتها بالإسلام زوراً، فإنها في المستقبل سترميننا بما هو أدهى وأمر، ولن ينجينا من المصير المحتوم إلا أن نهتّ ونعمل لنصل ما انقطع بين السياسة والدين، وليكن شعارنا: السياسة من صميم الدين.

خلاف الوهابية على الأئمة:

كان محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية- منذ شبابه- مائلاً الى اتباع الهوى والاعتزاز بالباطل، وآل امره أن اخترع مذهباً خارجاً عن فرق الإسلام، بناه على أنقاض ما أسسه ابن تيمية الحرّاني وتلميذه ابن القيم الجوزية ومن مذهبهم: تحريم الاحتفال بذكرى الموتى حتى الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وتحريم البناء على قبورهم وزيارتهم، وتحريم التوسّل إلى الله والاستشفاع بهم، وسوق النذور والقرايين التي يتقرب بها إلى الله، ويهدى ثوابها لهم، وحرمة الصلاة بجوار تلك المراقد الشريفة، ووجوب المنع في جميع ذلك، وهدم البنايات والقباب القائمة على القبور المقدّسة، كما فعلته أيديهم الأثيمة العميلة (١).

وصاروا يتلاعبون بالشريعة الإسلامية حسب أهوائهم، وجعلوا يكفّرون كل المسلمين إقداماً بالردّ على النبي (ص). فعندما شرّع (ص) أن في خمسة من الابل شاة زعم الوهابيون أن في خمسة من الابل كلباً أو ستوراً إذا كانت قيمة كل واحد منها قيمة شاة. وقال (ص) في الأربعين من الغنم شاة فزعم الوهابيون أن فيها غزالاً. وقال (ص) «ليس في الخضروات زكاة» فزعم آل عبد الوهاب

(١) العلامة محمد امين الأنطاكي «رحلتي من الضلال الى الهدى» ص ٢٦.

أن في كل الخضروات زكاة. وقال (ص) عفوت لكم صدقة الخيل والرقيق وقال الوهابيون الزكاة في الخيل واجبة والعفو عنها بدعة تصريحاً بالرد على النبي (ص).

وزعم الوهابيون: أن المسلم إذا كان له عبد نصراني فاشترى العبد خمرًا وباعها فإن الاتبياع والبيع جائزان وهذا فارقوا جميع العلماء. وقالوا أيضاً: لو أن مسلماً أمر نصرانياً أن يشتري له خمرًا فاشترى له ذلك كان الاتبياع له، وكذلك لو باع النصراني خمر المسلم يصح ذلك لأن النصراني زعم أنه هو الذي عقد البيع والشراء، وهذا صريح بإباحة ما حظره الله عز وجل في كتابه وستة نبية (ص) وخلاف لجميع فقهاء الإسلام.

ويسقط الوهابيون الحدود عمن وطأ أمه وسائر ذوات أرحامه (١) ويبطلون القود عمن قتل بأقبح القتلات من الخنق والتعذيب بضرب السياط ورض الرؤوس وطعن الأضلاع وعظام الانسان كلها بالحجارة وزعموا أن الجنايات الموجبة للحدود إذا تقادمت تسقط عن أصحابها الأحكام الواجبات. وقالوا في شارب الخمر: إذا شهد عليه الشهود العدول بشرها فأحضر وقد ذهبت رائحتها منه فإنه لا حدّ عليه وإن كان ذلك في يوم شربه لها. وكذلك إن شهد الشهود على الانسان بأنه سكر من شراب غير الخمر فأحضر وقد ذهب سكره سقط عنه الحد، (٢) وهذا ردّ على الأمة الإسلامية كلها فيما جرى على الوليد بن عقبة في الحكم حين شهد عليه الشهود بالمدينة أنه شرب الخمر بالكوفة فأحضر وجلده الخليفة عثمان بن عفان بحضرة أهل الإسلام. ولم ير أحد من المسلمين إسقاط الحدّ عنه ففضي وقت شربه لها على ما ادعاه الوهابيون (٣).

(١) نظرة في معتقدات الوهابية: ص ٩٨. طبعة سنة ١٩٣٣ م.

(٢) نفس المصدر: ص ٨٧ و ١٢٥.

(٣) أبو الفرج الاصفهاني (الأغاني) ج ٦ ص ٩٦.

وقال الوهابيون أيضاً في الذي يغضب غيره غنمه وبقره وإبله وطيوره فيذبحها ويطبخها أو يشربها فانه يملك ذلك بالاستهلاك وليس لصاحبه إن وجدته أن يأخذه وإنما له قيمته. فأباحوا للصوص والغاصبين أموال المسلمين على القهر لهم والإكراه مع قول النبي (ص): «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه». وهذه أمثلة على فتاواهم وتلاعيبهم بالشريعة المحمدية (١).

وهم يوالون أعداء الدين الذين يعرف كل أحد معاداتهم من اليهود والنصارى والمشركين وليس لهم إلا في هدم الإسلام ونقض عراه وإفساد قواعده.. وهذه النسبة إليهم أحق وأنسب لأنهم قاتلون بطهارة أهل الكتاب وإباحة ذبايحهم وطعامهم ومزاوجتهم... (٢).

وهؤلاء- الوهابيون- لا يأمرؤن بمعروف ولا ينهون عن المنكر وهما من أسمى الفرائض وأشرفها، وقد ورد الحث عليها في الكتاب العزيز والأخبار الشريفة بالسنة مختلفة (٣).

قال الله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» (٤). وكان (ص) يقول: «إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله» (٥). وعنه (ص) قال: «يكن في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون فيتقروأون ويتنسكون حدثاء سفهاء لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير...» - ثم قال -: «ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أتم الفرائض وأشرفها، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام

(١) نظرة في معتقدات الوهابية: ص ٧٧. (٢) يهوداً لاحابلة: ص ٢٩.

(٣) شذرة من تاريخ الوهابية: ص ٥٦. (٤) سورة آل عمران/ آية ١٠٤. (٥) التهذيب: ج ٦ ص ١٧٧.

الفرائض، هنالك يتم غضب الله عليهم فيعتهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دار الفجار، والصغار في دار الكبار» (١).

ومن هنا تحتم على المفكرين الإسلاميين المخلصين التصدي لهذا المخطط الإستعماري الخطير الذي تستر وراء قناع مذهبي واتخذ من التوحيد واجهة لقاصده.

وقد قام سماحة الاستاذ العلامة الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله بتأليف كتاب العقيم «الوهابية في الميزان» كشف فيه عن زيف عقائد هذه الفرقة الاستعمارية بأسلوب أنيق واستدلال عميق مستمد من الكتاب والسنة وسيرة الصحابة. وقد ظفرت بهذا الكتاب، أتمنى أن يظفر به غيري.

التوسل سنة متبعة:

كما شرع الله سبحانه الأسباب الكونية، شرع الاستشفاع والتوسل بالأنبياء والأولياء ما سنوضحه فيما يأتي، وإليك البيان.

الاستغاثة بالنبي (ص) وبإخوانه النبيين والمرسلين وبالأولياء والصالحين، هي عبارة عن سؤال الشفاعة منهم لقضاء الحوائج ودفع النوائب وتفريج الكرب، ولا ريب أن كل من يتأديهم من المؤمنين، فهو عالم أنه لا يعبد إلا الله، ولا يفعل ما يريد ويمنح ما يطلب إلا الله، وليس هؤلاء إلا شفعاء فقط، وقد أرسدنا الله ورسوله للاستغاثة بعباد الله الصالحين من الأنبياء والأولياء.

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة» (٢) والوسيلة ما يتوسل به إلى الله تعالى من عمل صالح أو عبد صالح. وجعل العبد الصالح وسيلة إلى الله تعالى، إنما هو من إعظام جانب التوحيد،

لأن من شهد سوء حاله وكثرة ذنوبه لا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربه، فتجتمع همته على التوسل لله تعالى بأوليائه وأحبابه اعترافاً بالذنب، وانكساراً للرب، وإعظاماً لجانب القدرة الإلهية، وإيماناً بأن الله تعالى هو الفعال لما يريد. وأحبابه- المرضية شفاعتهم- لم ينالوا ذلك إلا لاتباعهم لنبيهم الكريم (ص) ولوقوفهم عند أمره العظيم.

قال العلامة الزمخشري عند هذه الآية المتقدمة: «ألا كل ذي لب إلى الله واسل» (١)، وقال تعالى: «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً» (٢).

دلّت الآية على حث الأمة على المجيء إليه (ص) والاستغفار عنده واستغفاره لهم، وهذا لا ينقطع بموته، وإن وردت الآية في قوم معينين في حال الحياة، لكنها تعمّ بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في حال الحياة وبعد الممات، ولذلك فهم العلماء منها العموم للجائين وذكرها المصنفون في المناسك من أهل المذاهب الأربعة، ودلّت أيضاً على أنه لا فرق على الجائين بين أن يكون مجيئهم بسفر أو غيره لوقوع جاؤوك في حيّز الشرط الدالّ على العموم.

ويستفاد من بعض الآيات الكريمة أن المسلمين كانوا يحضرون عند رسول الله (ص) دوماً ويسألونه الدعاء والاستغفار لهم، ولما اقترح المسلمون على المنافقين بالحضور عند النبي الكريم (ص) وطلب الدعاء والاستغفار منه، رفضوا ذلك كما يقول سبحانه: «وإذا قيل لهم تعالوا يستغفركم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيهم يصّدون وهم مستكبرون» (٣).

وهناك آيات كريمة يُحذّر فيها الله تعالى نبيه (ص) من الدعاء والاستغفار

(١) الزمخشري «الكشاف» ص ٤٢٤ المجلد الأول، ط دارالمعرفة- بيروت.

(٢) سورة النساء/ آية ٦٤. (٣) سورة المنافقون/ آية ٥.

للمنافقين الذين لا زالوا على عبادة الأصنام، وذلك لأن عبادتهم لغير الله يمنع من مغفرة الله لهم، حتى لو استغفروهم النبي (ص) مما يدل على أن استغفار النبي (ص) نافذ ومؤثر إلا لمن يعكف على عبادة الأصنام، لأن عبادة الأصنام مانعة من الإستجابة، فمثل إستغفار النبي (ص) لهم كمثل الماء الزلال الذي يهطل على الأرض الصلبة المانعة من نفوذ الماء فيها.

يقول تعالى: «إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» (١). و«سواءٌ عليهم أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» (٢).

ويستفاد من بعض الآيات القرآنية بأن بعض المؤمنين كان يستغفر للبعض الآخر، كما في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» (٣).

إن الآيات القرآنية تدلّ - بوضوح كامل - على بقاء الروح بعد الجسد كما أن الأدلة الفلسفية وتجارب الروحيين الثابتة قد برهنت على بقاء الروح الإنسانية بعد الموت. وهنا نكتفي بذكر بعض الآيات.

١- «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» (٤).

٢- «وَلَا تَحْسَبِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (٥).

٣- «فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ» (٦).

٤- وَيَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ» (٧).

(١) سورة التوبة/آية ٨٠. (٢) سورة المنافقون/آية ٦. (٣) سورة الحشر/آية ١٠.
(٤) سورة البقرة/آية ١٥٤. (٥) و(٦) سورة آل عمران/آية ١٦٩ و١٧٠. (٧) سورة آل عمران/آية ١٧١.

وقد صحّ صدور التوسّل من النبي (ص) وأصحابه وسلف الامة وخلفها، أما صدوره من النبي (ص) فقد صحّ في أحاديث كثيرة، منها أنه كان من دعائه: «اللهم إني أسألك بحقّ السائلين عليك»، وصحّ في أحاديث كثيرة أنه كان يأمر أصحابه أن يدعوا به فيها قال رسول الله (ص): «مَنْ خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللَّهُمَّ إني أسألك بحقّ السائلين عليك ... الخ أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك» (١).

حتى قال بعضهم: ما مِنْ أحد من السلف إلّا وكان يدعو بهذا الدعاء عند الخروج إلى الصلاة.

فانظر الى قوله: «بحقّ السائلين عليك» (٢)، فإن فيه التوسّل بكل عبد مؤمن، فعلم من هذا كلّهُ أن التوسّل صدر من النبي (ص)، وأمر أصحابه أن يقولوه، ولم يزل السلف من التابعين ومن بعدهم يستعملونه ولم ينكر عليهم أحد. ومن التوسّل أنه (ص) كان يقول في بعض أدعيته: «بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي» (٣).

ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في التوسّل ما روي بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه وهو صحابي جليل مشهور: «أن رجلاً صريراً أتى النبي (ص) ... فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعوا بهذا الدعاء: اللَّهُمَّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمد نبيّ الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى

(١) رواه ابن ماجة بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري، وذكر هذا الحديث الجلال السيوطي في الجامع الكبير وكثير من الأئمة عندهم ذكرهم الدعاء المسنون.

(٢) روى الحديث المذكور ابن السني بإسناد صحيح عن بلال المؤذن رضي الله عنه ورواه الحافظ أبو نعيم في «عمل اليوم والليلة»، ورواه البيهقي في كتاب «الدعوات».

(٣) وروى ابن أبي شيبه مثله، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» عن أنس، ذكر ذلك كلّهُ الجلال السيوطي في «الجامع الكبير». ورواه ابن الصبّاغ المالكي في «الفصول المهمة» ص ٣١.

ربي في حاجتي لتقضى^١، اللهم شفّعه فيّ، فعاد وقد أبصر^(١).
وليس لمنكر التوسل أن يقول: إنما كان ذلك في حياته (ص)، لأن هذا الدعاء استعمله الصحابة والتابعون بعد وفاته (ص) لقضاء حوائجهم.
فقد روى الطبراني والبيهقي: «أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة لا يلتفت إليه، فشكى ذلك إلى عثمان بن حنيف- الراوي للحديث المذكور- فأمره بالوضوء والصلاة والدعاء المذكور، ثم أتى عثمان بن عفان بعد ذلك فقضى له حاجته»^(٢).

وروي أنه حصل قحط في خلافة عمر فجاء بلال بن الحرث إلى قبر النبي (ص)، وطلب منه أن يستسقي لأمته فسقوا، وفيه النداء والتوسل والتشفع والإستغاثة به (ص) بعد الموت وهو من أعظم القرب^(٣).
وروى البخاري في صحيحه: «أن عمر بن الخطاب (رض) كان إذا فُحِطوا استسقى بالعبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه وقال: اللهم كُنَّا نتوسل إليك بنبيّنا فُتْسَقِينَا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا. قال: فَيُسْقَوْنَ»^(٤).
وقد توسل به (ص) أبوه آدم عليه السلام قبل وجوده في الدنيا حين أكل من الشجرة^(٥).

وإلى هذا أشار الإمام مالك للمنصور حين سأله: «أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله (ص) وأدعو؟» فقال له مالك: «وَلَمْ تَصْرَفْ وَجْهَكَ عَنْهُ

(١) رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه. و سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٤٤١، ومستدرک الصحيحين: ج ١ ص ٣١٣، ومسند أحمد: ج ٤ ص ١٣٨.

(٢) الطبراني في «المعجم الصغير»، والبيهقي في «دلائل النبوة».

(٣) رواه البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح.

(٤) صحيح البخاري: ج ٢ باب صلاة الاستسقاء ص ٣٢.

(٥) وهذا الحديث رواه البيهقي بإسناد صحيح في كتابه المسمى «دلائل النبوة» عن عمر بن الخطاب.

ورواه الحاكم في «المستدرک» وصحّحه.

وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى؟»

فيحصل مما تقدم أن مذهب أهل السنة والجماعة والشيعية الإمامية، جوزوا التوسّل بالنبي (ص) في حياته وبعد وفاته، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، كما دلّت عليه الأحاديث السابقة وغيرها مما يطول شرحه.

ونقل عن الخطيب البغدادي عن الحسن بن ابراهيم الخلال أنه قال: «ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر الكاظم (عليهما السلام) فتوسّلت به إلّا سهّل الله سبحانه وتعالى إلي ما أحب. وصحّ أن الامام الشافعي قال: «قبر موسى الكاظم (ع) ترياق مجرب» (٢).

ومن المناسب أن نشير الى بعض الكتب القيمة التي كتبها علماء أهل السنة الأفاضل حول التوسّل بالنبي (ص)، والتي تكشف عن رأي علماء الإسلام في التوسّل بالأنبياء والأولياء، وتؤكد على أن التوسّل - على خلاف ماتدعيه الزمرة الوهابية - كان أمراً متداولاً وسنة متبعة عند المسلمين طوال التاريخ.

١- صلح الاخوان: للخالدي البغدادي المتوفى سنة ١٢٩٩هـ، وله أيضاً رسالة خاصة في الردّ على الألوسي حول موضوع التوسّل بالنبي (ص) وقد طبعت الرسالة في سنة ١٣٠٦هـ.

٢- فرقان القرآن: للعزامي الشافعي القضاعي، وقد طبع هذا الكتاب مع كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي في (١٤٠) صفحة.

٣- البيان والإختصار: لابن داود المالكي الشاذلي.

٤- المواهب اللدنية: لأبي العباس القسطلاني المتوفى سنة ٩٣٢هـ.

(١) ذكره القاضي عياض في «الشفاء» بإسناد صحيح، والسبكي في «شفاء السقام»، والسهوردي في «خلاصة الوفاء»، والقسطلاني في «المواهب اللدنية»، وابن حجر في «الجههر المنظم».

(٢) الخطيب البغدادي «تاريخ بغداد» ج ١٣ ص ٤١٠.

٥- شرح المواهب اللدنية: للزرقاني المالكي، المصري المتوفى سنة ١١٢٢هـ، في الجزء الثامن.

٦- مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام: لمحمد بن نعمان المالكي المتوفى سنة ٦٧٣هـ.

٧- شفاء السقام: لتقي الدين السبكي المتوفى عام ٧٥٦هـ.

٨- وفاء الوفا لأخبار دارالمصطفى: للسيد نورالدين السمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ (١).

فالتوسل والتشفع والإستغاثة كلها بمعنى واحد، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرك بذكر أحبائهم الله، على أن ذكر هؤلاء الأحباء سبب عادي في حصول ذلك التأثير من الله تعالى، مثل الكسب العادي فإنه لا تأثير له أيضاً بنفسه.

إن التوسل بالأولياء إنما هو بمحبة الله تعالى لهم. ومحبة لهم صفة له تعالى ونعم الوسيلة له صفته جلّ وعلا، وما بقي إلا العناد واختراع التأويلات الباطلة على غير مراده، وبالجملة فن أفرط واعتقد أن الأنبياء والأولياء متصرفون مستبدون قادرون على الفعل والقطع والوصل من غير إلتجاء إلى الله تعالى فهو مكوربه وقوله مردود. ومن فرط وقاس الأنبياء والأولياء بالأصنام، والمسلمين المستمدين منهم الذين اتخذوهم شفعاء إلى الله تعالى كعبدة الأوثان، فهم أقبح من ذلك وأسوأ حالاً وأضل سبيلاً.

والمحيزون للتوسل بالأحياء دون الأموات هم المعتقدون تأثير غير الله، وهم الذين دخل الشرك في توحيدهم، فكيف يدعون المحافظة على التوحيد، وينسبون غيرهم إلى الشرك؟ سبحانك إن هذا إلا بهتان عظيم.

(١) راجع الوهاية في الميزان ص ١٨٥-١٨٧.

المسلمون وطلب الشفاعة:

لقد ورد ذكر الشفاعة في بعض الآيات وفي الأحاديث المروية عن النبي والأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وكلها تؤكد بأن الله سبحانه قد جعل لهم هذه الصلاحية، وأنهم سيشفعون يوم يقوم الناس للحساب لبعض المذنبين المستحقين للعقوبة التي أعدّها الله لمن عصاه، واستخفّ بأوامره ونواهيه.

فمن ذلك ما جاء عن النبي (ص) أنه قال: «اذخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (١) وقوله (ص): «إني أشفّع يوم القيامة فأشفّع، ويشفّع عليّ فيشفّع، وأن أدنّي المؤمنين شفاعتي يوم القيامة يشفع لأربعين من إخوانه» (٢).

وجاء عن الإمام محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) أنه قال: «إن قوله تعالى: «فألنا من شافعين * ولا صديق حميم * فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين» (٣). يدلّ على وقوع الشفاعة يوم القيامة، لأن أهل النار لما رأوا يوم القيامة شافعين يشفعون لبعض المستحقين للعقاب فيشفعون ويخرجون بشفاعتهم من النار، لمارأوا شافعاً يشفع فيشفّع وصديقاً حميماً يشفع لصديقه، عظمت حسراتهم فقالوا: فألنا من شافعين ولا صديق حميم إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي تؤكد مبدأ الشفاعة ووقوعها يوم القيامة (٤).

وإذا صحت هذه الروايات وليس في متنها ما يمنع من أن يجعل الله للنبي والأئمة وحتى للصالحين ميزة على غيرهم يوم القيامة لقاء ما بذلوه من جهد للحصول على مرضاته، وما قدموه بين أيديهم من الطاعات والأعمال الصالحة، وبخصوص الآيات الكريمة، فبعضها يبدو منه عدم جدوى الشفاعة كقوله في

(١) السيد عبدالله شبر «حق اليقين» ج ٢ ص ٧٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة الشعراء/آية ١٠٠-١٠٢.

(٤) بين التصوّف والتشيع: ص ١٢٦ الطبعة الأولى ١٩٧٩م - دارالعلم بيروت.

الآية: «فما تنفعهم شفاعة الشافعين» (١)، وقوله: «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع» (٢)، والبعض الآخر ينصّ على أن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولن ارتضى من عباده، بينما النصوص تكاد أن تكون صريحة على جدواها حتى لأهل الكبائر من أمة محمد (ص)، وأن الأئمة (ع) يشفعون فيشفعون، وأنها لا تكون إلا للمذنبين المستحقين للعقوبة.

ولا أرى ما يوجب التنافي بين الآيات من جهة وبينها وبين الروايات من جهة أخرى، ذلك لأن الآيات التي تنفي الشفاعة للظالمين وعدم جدواها بالنسبة إليهم كقوله: «فما تنفعهم شفاعة الشافعين»، وقوله: «ما للظالمين من حميم ولا شفيع» (٣) يمكن أن تكون ناظرة إلى الكفار والجاحدين وإلى من تراكت عليهم السيئات من المسلمين وماتوا وهم في غفلة مما صدر منهم وما عليهم من الحقوق والواجبات، وبخاصة أولئك الذين ينفقون حياتهم في الظلم والتعدي على كرامة الناس وحقوقهم، فهؤلاء لا تنفعهم الشفاعات، ولا جميع الوسائل مهما كان نوعها، ولا أظن أن الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) يرقون لحالهم ولما يلاقون من المصير السيئ حتى يشفعوا لهم.

وأما الآيات التي تربط الشفاعة بإذنه وبين ارتضاه فيمكن أن تكون نتيجة زيادة الأجر والثواب للمطيعين، كما يمكن أن تكون شفاعتهم لأهل الكبائر تعني الراجعين إلى الله والتائبين إليه، أو لمرتكبي صفائر الذنوب الذين يستحقون عليها نوعاً من العقاب، فالشفاعة لهؤلاء بصفتهم لم يخرجوا عن مرضاة الله ولم يتمردوا عليه ويحسّون بالمسؤولية ويحاسبون أنفسهم على ما صدر منهم، لا بُدَّ وأن تنفعهم وتضعهم في صفوف المطيعين والعاملين، ولا بُدَّ من حمل الروايات التي تثبت الشفاعة للأنبياء والأئمة وحتى للصالحين والصادقين في

(١) سورة المدثر/ آية ٤٨ .

(٢) و(٣) سورة غافر/ آية ١٨ .

إيمانهم على هذا النوع من ذوي المعاصي، أو تكون لزيادة أجر العاملين والمطيعين.

أما تأكيد النبي (ص) على امته والأقربين من آله (عليهم السلام) بالعمل وعدم الإكمال عليه، وأنه لا يغني عنهم من الله شيئاً، هذا التأكيد منه في أكثر من مناسبة لا يدل على أنه ليس له أن يشفع، وأن شفاعته لا تنفع كما توهمه البعض منها، بل جاء تأكيد هذا حتى لا يتكلموا عليه ويتساهلوا في بعض ما فرضه الله ظناً منهم بأن صلتهم بالرسول (ص) تجعل لهم عند الله من المنزلة ما ليس لغيرهم من سائر الناس.

وعلى أي حال فالشفاعة ليست من أصول الإسلام ولا من أركان التشيع. ومع ذلك فالمسلمون كما يبدو متفقون على ثبوتها للنبي (ص) كما في المواقف للآبي، ولا خلاف فيمن له الحق في الشفاعة وفيما يشفع به. فقد جاء: «أن الوسيلة والشفاعة ثابتان عقلاً وشرعاً، إن الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة، وهي للنبي (ص) صاحب الوسيلة العظمى والشفاعة الكبرى، وأنه (ص) الشافع المشفع يوم القيامة، وإن أصحابه كانوا يتوسلون به ويستشفعون به إلى الله، وقد علمهم أن يتشفعوا به وقال لهم: سلوا الله الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعباد من عباد الله، وأرجو أن أكون ذلك العبد، فمن سأل لي الوسيلة حقت له شفاعتي يوم القيامة» (١).

وروى الترمذي عن أنس أنه قال: «سألت النبي (ص) أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل، قلت: فأين أطلبك؟ قال: على الصراط» (٢).
و يأتي سواد بن قارب الى رسول الله (ص) ويطلب منه الشفاعة في أبيات

(١) السيد محمود أبو الفيض «جوهرة الأولياء» ص ١١٩.

(٢) سنن الترمذي: ج ٤ ص ٢٢ (باب ماجاء في شأن الصراط).

أنشدهن، ومنها:

فكن لي شفيعاً يوم لا دوشفاعة بمُغْنٍ فتيلاً عن سواد بن قارب (١).

ويروى أنه لما توفي رسول الله (ص) كشف أبو بكر عن وجهه وقبله وقال: «بأبي أنت وأمي، طبت حياً وميتاً، اذكرنا عند ربك» (٢)

وعن ابن عباس (رض): «لما فرغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) من تغسيل النبي (ص) قال: بأبي أنت وأمي ... طبت حياً وطبت ميتاً ... واذكرنا عند ربك» (٣)

يستشف من الروايتين المذكورتين أنه لافرق بين طلب الشفاعة من الشفيع في حياته وبعد مماته.

والحق أنه لا معبود إلا الله ولا تأثير لغير الله، وأن التوسل والاستمداد والاستعانة والاستغاثة والاستشفاع بالأنبياء والأولياء في قضاء الحاجات الدنيوية والأخروية جائز عقلاً وشرعاً، وحاصل فعلاً بمحبة الله تعالى وكرامته لأنبيائه وأوليائه، وكرامات الأولياء ثابتة بالكتاب والسنة، وواقعة بالفعل لهذه الأمة من زمن نبيها (ص) الى اليوم. وكما أوضحنا معنى الوسيلة والاستشفاع وغيرهما مما يرادفهما، وذكرنا الأحاديث الصحيحة الواردة في مشروعيتها وجواز فعلهما عند الشيعة وأهل السنة والجماعة، رأينا أن ذلك فضلاً عن كونه لاينا في التوحيد فهو من كمال التوحيد وانكسار القلب الى الرب جلّ وعلا.

ومما لا شك فان الكرامات والمعجزات قد وقعت على أيدي الأنبياء وهي من الأحداث التي لا يعترضها الشك. والتشكيك بها تكذيب للقرآن الكريم الذي

(١) زيني دحلان: الدرر السنية ص ٢٩.

(٢) العلامة السيد محسن الأمين العاملي «كشف الارتباب عن اتباع محمد عبد الوهاب» ص ٦٥، نقلًا عن خلاصة الكلام.

(٣) نهج البلاغة: رقم الخطبة ٢٣٠.

أخبر عن كرامات السيد المسيح عليه السلام وأمه الطاهرة مريم (عليها السلام) وزكريا وأهل الكهف وموسى وكوزير سليمان وغيره من الأنبياء، كما أكدت المرويات الصحيحة بوقوعها من الأئمة عن طريق الإستجابة العاجلة لأدعيتهم عندما تقتضي المصلحة ذلك ولغير ذلك من الأسباب. وغيرهم ممّا لو ذكرناه لطال المقام.

وقد ذكر ابن تيمية المشهور بخلافه لمذهب أهل السنة والجماعة في بعض مسائل الاعتقاد مانصّه: «وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلّة فيها أمثال السرج هي الملائكة نزلت لقراءته. وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبّحت الصحفة أو سبح مافيها. وحديث أم أيمن حين هاجرت وعطشت فرأت دلوّاً معلقاً في الهواء، فشربت منه وما عطشت بقية عمرها. و«سفينة» مولى الرسول (ص) ضلّ طريقه ولقي أسداً فأخبره أنه مولى الرسول (ص) فسار معه حتى أوصله الى مقصده. ولما عدّبت «الزبيبة» في الإسلام وكفّ بصرها قال المشركون: أصابها اللآت والعزى، فقالت: كلاًّ والله، فردّ الله بصرها. والعلاء بن الحضرمي مشى مع الجيش على الماء فلم تبتلّ قدماه. وقد حصل مثله لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار فلم تضرّه الخ» (١).

ممّا لو أتينا على جميعه لاحتجنا الى التطويل، وهل يمكن لهؤلاء المانعين للتوسّل والشفاعة والكرامات أن ينفوا لنا ما أثبتناه في هذا الباب من الكتاب والسنة الصحيحة.

لقد أجمع المسلمون كافة على ثبوت أصل الشفاعة، وأنها تقبل من الرسول

(١) ابن تيمية «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

الأعظم (ص)، واختلفوا في تعيين المشفوع فيه، فقال الإمامية والأشاعرة: إن النبي (ص) يشفع لأهل الكبائر بإسقاط العقاب عنهم. وقال المعتزلة: لا يشفع إلا للمطيعين المستحقين للثواب، ومعنى شفاعته للمؤمن المطيع أن يطلب له من الله زيادة الثواب وتضاعف الحسنات. وأبطل المحقق الطوسي (١) في كتاب «التجريد» هذا القول بأنه لو كانت الشفاعة في زيادة المنافع لجاز أن نشفع نحن في النبي (ص)، ونطلب له علو الدرجات، وهو باطل، لأن الشافع أعلى من المشفوع فيه، وأما الآيات الدالة على نفي الشفاعة كقوله: «فانتفعهم شفاعة الشافعين» فتأولة بالجاحدين، جمعاً بينها وبين ما دلّ على قبول الشفاعة (٢).

زيارة القبور وسيرة المسلمين:

المعروف أن الوهابية تدين بعدم البناء على القبور منذ وجودها، حيث لاذهب أسود، ولا أبيض، ولا فولاذ ولا زنك ولا حديد. هذا صحيح، وصحيح أيضاً أن من يستأثر على الناس بما تحتاج إليه هو عدو طبيعي لمن لا يرى لنفسه شيئاً يحتاجه الناس، أراد ذلك، أولم يرد. إن الذي قوى من عزيمة الوهابيين على الهدم، ومحاولة الإغفاء على الرسم، هو تصوّرهم وتخيلهم أنّ الدافع والمحرك الأول هو الإخلاص للوحدانية والقضاء على الوثنية.

إن الأحجار ليست بشيء في ذاتها، ولا صلة لها بالعبادة، ولا بالولاء... وماهي إلا علامات ودلائل على المكان، تماماً كالمآذن هذني هي الحقيقة، أما عبادة الأحجار أو عبادة صاحب القبر فكلام فارغ لا مدلول له ولا أثر

(١) هو محمد بن الحسن الفيلسوف المتكلم الإمامي، له مؤلفات كثيرة في علم الكلام والفلك والهندسة، وتحدث عنه علماء الغرب والشرق، وهو صاحب الرصد العظيم بمدينة مراغة، توفي سنة ٦٢٢ هـ.

(٢) الشيخ محمد جواد مغنية «الإمامية بين الأشاعرة والمعتزلة» ص ٢٥٥.

عند المسلمين بل هذه العبادة شرك في عقيدتهم، ولا يورثون فاعلها، ولا يخالطونه في مأكَل أو مشرب.

ولنذكر نصّ الحديث بالسند الذي رواه مسلم في صحيحه والذي يتمسك به الوهابيون في حرمة البناء على القبور. من دون أي تحقيق في رجاله وسنده. قال: «حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، قال يحيى: أخبرنا- وقال الآخرون: حدثنا- وكيع عن سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي وائل عن أبي الهيثاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على مبعثني عليه رسول الله أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» (١).

فبالنسبة الى السند، ففيه رواية لم تتفق كلمة علماء الرجال على وثاقهم، فوكيع وسفيان الثوري وحبيب بن أبي ثابت وأبو وائل الأسدي انتقدهم الحافظ ابن حجر العسقلاني.

١- روي عن أحمد بن حنبل أنه قال في وكيع: «إنه أخطأ في خمسمائة حديث» (٢). ويقول أيضاً نقلاً عن محمد بن نصر المروزي: «كان [وكيع] يحدث بالمعنى ولم يكن من أهل اللسان» (٣).

٢- روي عن ابن مبارك أنه قال في سفيان الثوري: «حدث سفيان بحديث، فجثته وهويده لسه، فلما رأيته استحي» (٤) والراوي المدلس يكون فاقداً للملكة العدالة والصدق. وعن يحيى القطان قال: «جهد سفيان الثوري أن يدلس عليّ رجلاً ضعيفاً فما أمكنه» (٥).

٣- عن أبي حيان: [كان حبيب بن أبي ثابت] مدلساً» (٦).

(١) صحيح مسلم: ج ٣ كتاب الجنائز ص ٦١. (٢) العسقلاني «تهذيب التهذيب» ج ١١ ص ١٢٥.

(٣) المصدر السابق: ج ١١ ص ١٣٠. (٤) نفس المصدر: ج ٤ ص ١١٥.

(٥) أيضاً: ج ١١ ص ٢١٨. (٦) تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ١٧٩.

٤- أما بالنسبة الى أبي وائل فقد كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين علي (ع) فكيف يعتمد عليه وقد قال الرسول (ص): «يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق» (١)

والجدير بالذكر أن راوي حديث أبي الهيثاج ليس له حديث في كل الصحاح الستة من أولها إلى آخرها- إلا هذا الحديث فقط، فما تقول في رجل ليست له إلا رواية واحدة؟! (٢).

ويرى الوهابيون عدم جواز ذلك للحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن ابن شهاب الزهري قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» (٣) «وان الصخرة التي وضع رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) قدمه عليها تقوم مقام الكعبة» (٤).

وهذا الحديث الذي نسبته الزهري (٥) الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جملة موضوعاته التي كان يتقرب بها للأمويين لأنه كان من أتباعهم وقضاةهم، وغير بعيد عليه أن يضع لهم هذا الحديث استجابة لطلب عبد الملك بن مروان حينما منع الناس من الحج الى مكة في عهد ابن الزبير، وبعد أن أذاع حديث الزهري بين الناس بنى على الصخرة قبة وأمر الناس أن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة في موسم الحج.

«والذي عليه جمهرة الفقهاء وهو الذي نعتقه صواباً أن شد الرحال إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين الزيارة الشرعية جائزة ولا تدخل في نهي الرسول

(١) الهيثمي «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٣٣، وقريباً منه رواه الترمذي في صحيحه: ج ٢ ص ٣٠١، ومسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- وغيرهم.

(٢) راجع «الوهابية في الميزان» ص ٧٦- ٧٩.

(٣) صحيح البخاري: ج ١ ص ٢٣٥.

(٤) تاريخ البيهقي: ج ٢ ص ٨. (٥) وصفه الذهبي في «ميزان الاعتدال» المجلد الرابع ص ٤٠ بالتدليس.

الكرم عليه [وآله] الصلاة والسلام، هذا وانما النهي منصب على شد الرحال إلى غير هذه المساجد الثلاثة بقصد الصلاة فقط لأن الصلاة في المساجد كلها. سوى المساجد الثلاثة المذكورة. ذات أجر واحد لأفضل مسجد على آخر كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة ومن ذلك قوله عليه [وآله] الصلاة والسلام: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام. وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف في مسجدي» (١).

روي عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه قال: «إن أعرابياً قدم علينا بعد ما دفنا رسول الله (ص) بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي، وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك: «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك...» وقد ظلمت وجهتك تستغفر لي، فنودي من القبر: قد غفر لك» (٢).

وروي عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنها أخذت قبضة من تراب قبر أبيها المصطفى (ص) تشمه وتبكي وتقول في ذلك:

ماذا على من شمّ تربة أحمد ألا يشمّ مدى الزمان غواليا
صُبّت عليّ مصائب لوأناها صُبّت على الأيام صرن لياليا (٣)

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): «من جاءني زائراً لا يعلم له حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» (٤).

(١) الشهيد عبدالعزيز البدري: الإسلام بين العلماء والحكام ص ٢٠٧ الهامش طبعة ١٤٠٠ هـ وهو يرد على ابن تيمية.

(٢) المتقي الهندي «كنز العمال» ج ٢ ص ٢٤٨، وفاء الوفا لأخبار دار المصطفى للسيد نور الدين السهمودي ج ٢ ص ١٣٦١، والآية ٦٤ من سورة النساء.

(٣) الخالدي «صلح الأخوان» ص ٥٧، السهمودي «وفاء الوفا» ج ٢ ص ٤٤٤.

(٤) الهيتمي «مجمع الزوائد» ج ٣ ص ٢.

وعنه (ص): «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً أو شفيعاً. ومن زار قبري وجبت له شفاعتي، ومن حج وزار قبري بعد وفاتي كمن زارني في حياتي» (١)

وقالت عائشة: «إن رسول الله (ص) رخص في زيارة القبور» (٢).
ويحدثنا ابن الأثير عن بلال - مؤذن رسول الله - أنه أقام في الشام في عهد عمر فرأى في منامه الرسول (ص) يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما أن لك أن تزورني يا بلال؟» فانتبه حزيناً وجلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي (ص) - فجعل يبكي عنده ويُمَرِّغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يضمهما ويقبلهما... إلخ» (٣).

ويكفي في ذلك ما ذكره مسلم في صحيحه بإسناده عن أبي بريدة عن أبيه عن النبي (ص) قال: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» (٤).

فهذا الذي ذكرته يكفي في إبطال ماتوهم به ابن تيمية القائل: «وقد علم من ضرورة دين الاسلام أن النبي (ص) لم يأمر بما ذكروه - يعني الإمامية - في أمر هذه المشاهد، ولا شرع لأئمتهم مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين الذي قال الله تعالى فيهم: «وقالوا لا تدرون ألهتكم ولا تدرون وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً» (٥)، وقال أيضاً من جملة كلام له على الإمامية: «إنهم يعظمون المشاهد المبنية على القبور، فيعكفون عليها مشابة للمشركين، ويحجون إليها كما يحج الحاج إلى البيت العتيق، ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى الكعبة. بل يسبون من لا يستغني بالحج إليها عن الحج الذي فرضه الله تعالى على عباده، وهذا من جنس دين النصاري والمشركين

(١) المتقي الهندي «كنز العمال» ج ٨ ص ٩٩.

(٢) صحيح ابن ماجه ج ١ ص ١١٤.

(٣) ابن الأثير «أسد الغابة» ج ١ ص ٢٨.

(٤) صحيح مسلم: ج ٣ حديث ١٥٦٤. ورواه مالك في «الموطأ» ج ١ ص ٣٢١. (٥) سورة نوح/ آية ٢٣.

الذين يفضلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن. وقد صَنَّف شيخهم المفيد كتاباً سَمَّاه «مناسك المشاهد»، جعل قبور المخلوقين تُحجَّ كما تُحجَّ الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس» (١).

إن أول ما يراه القارئ في مقال شيخ الضلالة ابن تيمية هو براعة الاستهلال، وذلك حين استعدَّ وتأهَّب لدفع مزاعم الشيعة، فأتى بانموذج فريد من نوعه يعبر عن عقليته، ويدل على نوع أدلته التي سوف يدفع بها مزاعم الشيعة، فأظهر لباقته الكاملة في البحث العلمي الديني.

ونقول نحن: وهنا بلغ الحماس الديني بابن تيمية إلى أوجه الأعلى، فانحطَّ إلى أسفل درك من الكذب والوقاحة، وعمل بالكلمة المشهورة إذا لم تستح فاصنع ما شئت، فرأى نفسه بطل هذا الميدان، فأتى بطاغات ومفتريات يعجز عنها العقل واللسان:

من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة
وإلا فن هو ذلك القائل من الشيعة: إن الحجَّ إلى المشاهد أعظم من الحجَّ إلى الكعبة؟! وصدق الله العلي العظيم: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» (٢).

نعم لقد أتى شيخ الضلالة ابن تيمية على شيخ الإمامية المفيد رحمه الله بكلمات، ولا يُلام ابن تيمية وأمثاله، فإن الآنية تنضح بما فيها.

لقد ترجم للشيخ المفيد قدس سره الكثير من علماء الستة والشيعة، وشهدوا بفضلته في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلو. وكان ذا جلاله عظيمة وكان خاشعاً متعبداً متألهاً (٣).

(١) ابن تيمية «مناهج السنة» ج ١ ص ١٣١. (٢) سورة الحجرات/ آية ٦.

(٣) راجع «تاريخ دول الإسلام» ج ١ ص ١٨٠ للذهبي، و«الأمّاتع والمؤاسنة» لأبي حيان التوحيدي

نعم لا غرابة في كل ما يلصقه الوهابيون بهذه الطائفة من التُّهم الكاذبة ماداموا يرون ابن تيمية - وهو نبيّهم المرسل - يحدث ذلك ، وما هذه الكلمات التي وضعها بين يديك - أخي المسلم - إلا قليل من كثير ممّا تكلموا به حول الشيعة .

وما كانت الشيعة لتغفل عن هذا كله غير أنها كانت تحمل أغلب كلمات القدماء القارصة على أنها وليدة الظروف القاسية التي كانت تدفعهم الى المغالطة والتمويه في كثير من الأحيان حفظاً لأنفسهم ، واتقاءً من شر السلطة الحاكمة يومذاك .

وما كانت لتحسب أن في القرن الخامس عشر وفي عصر النور من يفحص عن آراء قد عفت عليها الأيام وأمايتها السنون .

نعم ... لم يعتبر أحدٌ من علماء المسلمين بأن زيارة قبور النبي والأئمة عليهم السلام والأولياء والصالحين معارضة للمبادئ والأصول الإسلامية - إلا ما كانت من أفكار ابن تيمية الشاذة وآرائه السقيمة في القرن الثامن الهجري - مخالفاً لكثير من سنن المسلمين ومبادئ الإسلام .

وتحلّ روح ابن تيمية في جسد محمد بن عبد الوهاب بعد ثلاثة قرون ليحيي مبتدعات ومخاريق ابن تيمية بنحو أشد .

فزيارة القبور ليست هي من نوع التقرب إلى غير الله تعالى في العبادة - كما توهمه بعض من يريد الطعن في طريقة الإمامية ، غفلة في حقيقة الحال فيها بل هي من نوع التقرب إلى الله تعالى ، وليس المقصود منها عبادة الأئمة ، وإنما المقصود منها إحياء أمرهم وتجديد ذكرهم ، وتعظيم شعائر الله فيهم (١) ، «ومن

ج ١ ص ١٤١ - وابن كثير الشامي في «البداية والنهاية» ج ١٢ ص ١٥ ، وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» ج ٣ ص ١٩٩ . وابن الجوزي في «المنتظم» ج ٨ ص ١١ ، وابن النديم في «الفهرست» ص ٢٨٣ و . و . (١) راجع «عقائد الإمامية» للشيخ المظفر ص ٣٧ و ٣٨ .

يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب» (١).

إن في زيارة القبور المقدسة فوائد اجتماعية ودينية لا تحصى، فأول فائدة هي العبرة بأن كل شيء هالك إلا وجه الله الكريم، وأن مرّة الجميع إليه سبحانه وتعالى، وأن من حذا حذو الصالحاء أمن عقوبة الآخرة، ومن غفل وتمادى فاتته الثواب الأوفى، لأن الزائر يستزيد معرفة لهم وتقوى رابطة المحبة بينه وبينهم، ويعضد هذا القول ما جاء في القرآن الكريم: «ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» (٢). فهذا اعتقاد كثير من علماء المسلمين في النبي (ص).

وثاني فائدة هي اجتماع الزائرين عند قبّة الولي في المواسم المشهورة يتمّ تعارف بعض أبناء الأمصار والأقطار البعيدة فتنتطع فيهم روح الولاء الديني، والإيمان بالله عزّ وجل، وما أحلى التآلف والتحاب في الله، وما ذلك التعارف إلا بركة أولئك الصالحاء من المعصومين والمؤمنين، وقد ورد في الحديث الشريف: «إن المتحاب في الله يظّله الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه». إن من يراجع كتب الصحاح والسنن والمسانيد والتواريخ، يرى أن الصحابة والتابعين كانوا يتبرّكون بكل ما يرتبط بالنبي (ص) ويستشفعون بقبره بوضع الخد عليه وشتمّ تربته والبكاء عنده، بل والتبرك بعصاه وملابسه، والصلاة في الأماكن التي صلى أو مشى فيها.

وهذه الروايات على حدّ من الكثرة والتواتر بحيث يستحيل عند العقل أن تكون موضوعة ومجمولة، وكيف تكون كذلك وقد رواها الشيخان: البخاري ومسلم، وغيرهما من أعلام الحديث (٣).

(١) سورة الحج/ آية ٣٢. (٢) سورة آل عمران/ آية ١٦٩.

(٣) الوهاية في اليزان ص ٢١٧، نقلاً عن صحيح البخاري ج ٤ ص ٨٢ المطبوع سنة ١٣١٤ هـ.

وقد قام بجمع هذه الروايات وتوضيحها مع ذكر مصادرها الفاضلان المحققان: الاستاذ الشيخ محمد طاهر مكّي في كتابه «تبرّك الصحابة بآثار رسول الله» والاستاذ الفذّ الشيخ علي الأحمد في كتابه القيم «التبرّك»، وقد استقصى فيه المؤلف كل ماورد حول التبرّك، والكتاب يعتبر من حسنات العصر (١).

ومجدد بنا في هذا المقام أن تلفت أنظار سادتنا علماء الدين الحنيف إلى ماكتبناه في هذا المقام، وإلى مايجريه الوهابيون بالدين الجديد في طول البلاد وعرضها من التشكيك للامة من أمر دينها، ولا يخفى على حضراتهم أن هؤلاء الوهابيين لم يمكنهم أن يلبسوا على الناس ما زعموه في شكل إصلاح إلا بدعوى الاجتهاد المطلق الذي يتعدر وجوده في شخص هذا العصر كائنة السلف المجتهدين... فهل ماجاء به الكتاب والسنة من الهدى والإرشاد الصحيح حتى يحتاج الدين لمن يكمله باجتهاد جديد يدّعيه من ليس أهلاً له فيتحول الدين عن صراطه، الأمر الذي يستحيل وقوعه الى آخر الدهر، قال تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (٢)، وهل نسيتم يا علماء الدين وحماة الشريعة ما ادّعاها الجلال السيوطي في الاجتهاد المطلق، ورجوعه عن هذا الإدعاء مع سعة علمه وغزارة مادّته عندما قام عليه علماء عصره يطالبون بالحجة والبرهان؟

فما سبب هذا السكوت وبدع «الوهابية» قد أهدقت بأمة محمد (ص)؟ أعجز عن الدفاع عن الدين أم تفضيل لحطام الدنيا الفاني على تأييد وخدمة شريعة سيد المرسلين؟

أنشدكم الله أيها السادة هل سكوتكم هذا يرضي الله ورسوله (ص)؟ كلا، بل هو إقرار لما يأتيه المرجفون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

ابن تيمية في الميزان:

إن ابن تيمية الذي تمسك الوهابيون بأفائه وابطأ أباطيله وأنزلوه منزلة النبي المرسل وتلقّوا أراجيفه كالوحي المنزل، هو الذي أباح حمى التوحيد وهتك ستوره وخرق حجابيه، ونسب إلى الله سبحانه وتعالى ما لا يليق بجلال قدسيه وعظمته، تعالى وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وهو الذي عرفنا التوحيد بقوله: «إنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عليّ على خلقه» (١). والقاتل أيضاً: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كلّ ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» (٢).

إنه أثبت لله سبحانه وتعالى جهة فوق والاستواء على العرش والكرسي، والنزول إلى السماء الدنيا والإياب والذهاب والقرب... وما إلى ذلك كلها بحقيقة معانيها، وأثبت له سبحانه وتعالى الوجه واليدين اليمنى والشمال والكف والأصابع والعينين.. كل ذلك بمعانيها الحقيقية من دون تأويل، وهو تجسيم وتشبيه صريح.

ويقول بتكلم الله سبحانه وتعالى بحرف وصوت، وهو أول من زمر بهذا المزمار وصنّف فيه رسائل مستقلة كالعقيدة الحموية والواسطية ووافقه في ذلك تلميذه ابن القيم الجوزية وابن الهادي، وكذا بالنسبة لمحمد بن عبد الوهاب، ولذلك حكم علماء عصره ومصره بضلاله وكفره، حتى كفر من سمّاه بشيخ الاسلام.

فأنت ترى شيخ الضلالة صاحب «منهاج البدعة» يقول بالتجسيم بأقبح

(٢) يراجع «رسالة العقيدة الحموية» لابن تيمية.

(١) الآلوسي «تاريخ نجد» ص ٩٠ و ٩١.

صوره، فإنه يرى أن الله سبحانه يهبط الى السماء الدنيا الى غير ذلك من الخرافات المضحكة التي نربأ بعجائز البربر أن تفوه بمثلها أو تؤمن بها.

والحق أن مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى وتجسيمه من المسائل الواضحة البطلان بقطع النظر عن الآيات والنصوص الناطقة بذلك، لأن من لوازم القول بالتجسيم الرضوخ الى حدوث الباري عزّ شأنه، ذلك أن كل جسم محدث ويمكن يحتاج لمؤثر، وعليه فيخرج الواجب عن كونه واجب الوجود، وليس هذا مما ينطبق على التعاليم الإسلامية الحقّة، وقد نزهت الشيعة الإمامية الباري عزّ اسمه عن وصمة الرؤية والتجسيم كما هو معروف من مذهبهم، وهذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) - وهو إمامهم - الذي يدينون الله بالاعتصام بحبله، ويتقربون إليه عزّ شأنه بالجري وراء خططه وتعاليمه القيمة يقول: «من وصف الباري فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه» (١).

لذا فإن أعلام عصره وقضاة مصره خالفوه وقابلوه بالطعن والردّ الشديد، فأفرد تقيّ الدين السبكي بالوقعة عليه كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» و «الدريّة المضيّة في الردّ على ابن تيمية» وزيّفوا آراءه ومعتقداته طي تآليفهم القيمة كقاضي قضاة المالكية تقيّ الدين الأحنائي في «المقالة المرضية» والفخر بن المعلم القرشي في «نجم المهتدي ورجم المقتدي» وتقيّ الدين الحصني في «دفع الشبهة» وتاج الدين الفاكهاني المتوفى سنة ٨٣٤ في «التحفة المختارة في الردّ على منكر الزيارة» وأبي عبدالله محمد بن عبد المجيد القاسي في تأليفه والشيخ سليمان بن عبد الوهاب في «الصواعق الإلهية في الردّ على الوهابية» وهو أخو محمد بن عبد الوهاب. وابن حجر في «الفتاوى الحديثية» والقسطلاني في «المواهب اللدنيّة» والزرقاني في «شرح

(١) البحار: ج ٤ ص ٢٩٤ و ٢٩٥.

المواهب» (١) ... ومؤلفات أخرى.

تصدى العلامة الحافظ ابن حجر لابن تيمية وقال في حقه «ابن تيمية عبثٌ خذله الله وأضله وأعماه وأصممه، وبذلك صرح الائمة الذين بيتوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد فعله بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الإجتهد أبوالحسن السبكي وولده التاج والشيخ الامام العز وجماعة من أهل عصرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه- ابن تيمية- على متأخري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب.

والحاصل: أنه لا يقام لكلامه وزن يرمى في كل وعر وحزن، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضالّ مضلّ غال عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله- آمين-» (٢).

قال أحمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي صاحب «الصواعق المحرقة» «إن ابن تيمية تجاوز الى الجناب المقدس وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم...» (٣).

وقال أيضاً «على ماحكي أن الناس افرقت في ابن تيمية (فهم) مَنْ نسبته الى التجسيم لما ذكره في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك قوله: إِنَّ اليد والساق والقدم والوجه صفات حقيقتة لله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه وتعالى مستوعب العرش بذاته فقليل له: يلزم من ذلك التحيز والإنقسام فقال: أنا لأسلم أن التحيز والإنقسام من خواص الأجسام. فالزم بأنه يقول

(١) العلامة السيد أحمد عزيز الموسوي «براهين الشيعة الجلية في دحض أباطيل الندوي وابن تيمية» ص ٦٠.

(٢) ابن حجر «الفتاوى الحديثية» ص ٨٦.

(٣) العلامة المرحوم السيد محسن الأمين العاملي «كشف الارتباب» ص ١٣٠ نقلاً عن «الجوهر المنظم في زيارة قبر المكرم» لابن حجر، الهيتمي.

بالتحيز في ذات الله سبحانه وتعالى .

(ومنها) من ينسبه الى الزندقة لقوله: إنَّ النبي (ص) لا يستغاث به وأن في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله (ص).

وكان أشدَّ الناس عليه في ذلك - يعني في القول بزندقته - النور البكري، فإنه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين: يعزِّر، فقال البكري: لا معنى لهذا القول، فإنه إن يكن تنقيصاً يقتل وإن لم يكن تنقيصاً فلا يعزِّر.

(ومنها) من ينسبه الى النفاق لقوله في علي (ع) أنه مخذول حيث ما توجه وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنما قاتل للرئاسة لا للديانة، وأنه (ع) كان يحب الرئاسة. وأن عثمان كان يُحب المال، ولقوله: أبوبكر أسلم شيخاً يدري مايقول، وعليُّ أسلم صبيّاً، والصبي لا يصح إسلامه... فإنه شنع في ذلك فألزم بالنفاق لقوله (ص): «لا يبغضك إلا منافق».

ونسبه قوم الى أنه يسعى في الإمامة الكبرى، فإنه كان يلهج بذكر «ابن تومرت» ويطريه وكان ذلك مولداً لطول سجنه، وله وقائع شهيرة وكان إذا حوَّق وألزم يقول: لم أرد هذا إنما أردت كذا، فيذكر احتمالاً بعيداً» (١) إنتهى كلام ابن حجر.

وقال الامام الشيخ محمد البرسي «وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله تعالى بعدله - وذكر تحريمه للسفر الى زيارة النبي (ص) الى أن قال:- حتى تجاوز الجنب الأقدس المستحق لكل كمال أنفس، وخرق سياج الكبرياء والجلال، وحاول إثبات ماينافي العظمة والكمال بادعائه الجهة والتجسيم، ونسبه من لم يعتقدهما الى الضلالة والتأثير، وأظهر هذا الأمر على المنابر، وشاع وذاع ذكره بين الأكابر والأصاغر... الخ» (٢)

(١) كشف الارتباب: ص ١٣٠ نقلاً عن «الدرر الكامنة» لابن حجر الهيتمي.

(٢) الشيخ محمد البرسي «اتحاف أهل العرفان برؤية الأنبياء والملائكة والجان» ص ١٨٠.

وعن صاحب «أشرف الوسائل الى فهم الشمائل» أنه قال- في بيان إرخاء العمامة بين الكتفين:- «قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه ذكر شيئاً بديعاً وهو أنه- النبي (ص)- لما رأى ربه واضعاً يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة.

قال العراقي: ولم نجد لذلك أصلاً، أقول: بل هذا من قبيل رأيها وضلالها- يعني ابن تيمية وابن القيم- إذ هو مبني على ما ذهبوا إليه وأطالا له في الإستدلال، والحظ على أهل السنة في نفهم له، وهو إثبات الجهة والجسمية لله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ولهما- يعني ابن تيمية وابن القيم- في هذا المقام من القبايح وسوء الاعتقاد ما يصم عنه الآذان ويقضي عليه بالزور والكذب والضلال والبهتان، قبحهما الله وقبح من قال بقولهما، والامام أحمد وأجلأ مذهبه مبرأون عن هذه الوصمة القبيحة، كيف وهي كفر عند كثيرين» (١) إنتهى.

وعن الياضي في «مرآة الجنان» أنه قال في ذكر فتنة ابن تيمية «وكان الذي ادعى عليه بمصر أنه يقول: إن الرحمن على العرش استوى حقيقة، وأنه يتكلم بحرف وصوت، ثم نودي بدمشق وغيرها: من على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه» (٢) إنتهى.

وعن أبي الفداء قال «وفيها استدعي تقي الدين أحمد بن تيمية من دمشق الى مصر وعقده مجلس وامسك وأودع الاعتقال بسبب عقيدته فإنه كان يقول بالتجسيم» (٣) إنتهى.

وجاء في المنشور الصادر بحقه من السلطان «وكان الشقي ابن تيمية في هذه

(١) السيد أحمد عزيز الموسوي «براهين الشيعة الجليلة» ص ٦٤.

(٢) الياضي «مرآة الجنان» ص ٦٦ (٣) تاريخ أبي الفداء في حوادث سنة ٧٠٥ هـ.

المدة قد بسط لسان قلمه ومدّ عنان كلمه وتحدّث في مسائل القرآن والصفات ونصّ في كلامه على أمور ومنكرات وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الاسلام وانهقد على خلافه إجماع العلماء الأعلام، وخالف في ذلك علماء عصره وفقهاء شامه ومصره، وعلمنا أنه استخفّ قومه فأطاعوه حتى اتصل بنا أنهم صرّحوا في حقّ الله بالحرف والصوت والتجسيم» (١) إنتهى.

وعن «كشف الظنون» «عن بعضهم أنه بالغ في ردّ ابن تيمية حتى صرّح بكفر من أطلق عليه شيخ الاسلام» (٢) إنتهى.

وعن المولوي عبد الحليم الهندي «كان تقيّ الدين ابن تيمية حنبلياً لكنه تجاوز عن الحد، وحاول إثبات ماينا في عظمة الحقّ تعالى وجلاله، فأثبت له الجهة والجسم وله هفوات أخر كما يقول: «إن أمير المؤمنين سيّدنا عثمان كان يحبّ المال وأن أمير المؤمنين سيّدنا علياً ماصحّ ايمانه فإنه آمن في حال صباه، وتفوّه في حقّ أهل بيت النبي صلّى الله عليه وعليهم مالا يتفوّه به المؤمن الحقّ، وقد وردت الأحاديث الصحاح في مناقبهم في الصحاح، وانهقد مجلس في قلعة الجبل وحضر العلماء الأعلام والفقهاء العظام ورئيسهم قاضي القضاة زين الدين المالكي وحضر ابن تيمية فبعد القيل والقال بهت ابن تيمية وحكم قاضي القضاة بحبسه سنة ٧٠٥ ثم نودي بدمشق وغيرها: من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه، كذا في «مرآة الجنان» للامام أبي محمد عبد الله اليافعي، ثم تاب وتخلص من السجن سنة ٧٠٧ وقال: إني أشعري، ثم نكث عهده وأظهر ما يضره فحبس حبساً شديداً، ثم تاب وتخلص من السجن، وأقام في الشام وله فيها وقائع كتبت في كتب التواريخ، وردّ أقاويله وبين

(١) «براهين الشيعة الجلية في دحض أباطيل الندوي وابن تيمية» ص ٦٧.

(٢) كشف الارتباب ص ١٣٠ نقلاً عن «كشف الظنون».

أحواله الشيخ ابن حجر في المجلد الأول من «الدرر الكامنة» والذهبي في تاريخه وغيرهما في المحققين.

والمرام أن ابن تيمية لما كان قائلًا بكونه تعالى جسمًا قال بأنه سبحانه وتعالى ذو مكان فإن كل جسم لا بُدَّ له من مكان على ما ثبت ولما ورد في الفرقان الحميد «الرحمن على العرش استوى» قال: إن العرش مكانه. ولما كان الواجب أزيًا عنده وأجزاء العالم حوادث عنده اضطرَّ إلى القول بأزلية جنس العرش وقدمه وتعاقب أشخاصه الغير المتناهية. فطلق التمكن له تعالى أزيًا والتمكّنات المخصوصة حوادث عنده كما ذهب المتكلمون إلى حدوث التعليقات» (١) انتهى.

ومما كتبه الذهبي إلى ابن تيمية ينصحه وينهاه عن غيّه «الحمد لله على ذلتي، ياربّ ارحمني وأقلمي عثرتي واحفظ عليّ إيماني... ووأسفاه على السّنة وأهلها، واشوقاه إلى إخوان مؤمنين.. واحزنه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى... طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتبّا لمن شغله عيوب الناس عن عيبه، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك، إلى كم تمدح نفسك... وتذمّ العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنبي الرسول (ص): «لا تذكروا موتاكم إلّا بخير فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا» ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه.

يا رجل! بالله عليك كفّ عنا.. إيتاكم والغلوّات في الدين، كره نبيّك (ص) المسائل وعابها، وقال (ص): «إن أخوف ما أخاف على أمّتي كل منافق عليم اللسان». وكثرة الكلام بغير زلل تقسي القلب إذا كان في الحلال والحرام. فكيف إذا كان في عبارات اليونسية والفلاسفة وتلك الكفريات التي

(١) كشف الارتباب ص ١٣٠ عن المولوي عبدالحليم الهندي في «حلّ المعاهد حاشية شرح العقائد».

تعمي القلوب (التي في الصدور)؟

والله قد صرنا ضحكة في الوجود، فإلى كم تنبش دقائق الكفریات الفلسفية لثرد عليها بعقولنا؟ يا رجل! قد بلغت (سموم) الفلاسفة وتصنيفاتهم مرّات... كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما، بالله خلّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب وجدّوا في ذكر بدع كُتّا نعدّها من أساس الضلالة قد صارت هي محض السنّة وأساس التوحيد. ومَنْ لم يعرفها فهو كافر أو حمار ومَنْ لم يكفر فهو أكفر من فرعون وتعدّ النصارى مثلنا.

والله في القلوب شكوك، إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد، يا خيبة من اتبعك، فإنّه معرض للزندقة والانحلال لاسيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليّاً شهوانيّاً.. فهل معظم أتباعك إلّا قعيد مربوط، خفيف العقل، أو عامي كذاب بليد الذهن.

فإن لم تصدّقني ففتشهم، وزنهم بالعدل، يا مسلم! أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك... إلى كمّ تصادقها وتعادي الأختيار.

إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح - والله - بها أحاديث الصحيحين، ياليت أحايث الصحيحين تسلم منك، بل في كل وقت تُغير عليها بالتضعيف والإهدار أو بالتأويل والإنكار. أما حان لك أن تتوب وتنبّ... ما أذكر أنك تذكر الموت، بل تزدري بمن يذكر الموت... فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحبّ الوادّ، فكيف حالك عند أعدائك؟!

أعداؤك - والله - فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء، كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعورّ وبقر... الخ» (١).

(١) هذا ملخص ما في «الغدير» للمرحوم العلامة الأميني. ج ٥ ص ٨٧-٨٩ نقلاً عن «تكلمة السيف الصقيل» للكوثري ص ١٩٠، وعن العزامي في «الفرقان» ص ١٢٩. وراجع «الدرر الكامنة» للعسقلاني ج ١ ص ١٤٧.

هذا ابن تيمية وقدره وقيمته لدى علماء مذهبه، فمن هنا وهناك بادوا عليه ما ابدعته يده الأثيمة من المخاريق التافهة والآراء المحدثه الشاذة عن الكتاب والسنة والعقل والإجماع والقياس، فنودي عليه بدمشق: من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه وماله (١)، فذهبت تلك البدع السخيفة أدراج الرياح، كذلك يضرب الله الحقّ والباطل: «فأما الزيد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» (٢).

ثم قيّض الله سبحانه وتعالى في كل قرن وفي كل قطر رجالاً نصرُوا الحقيقة وأحيوا كلمة الحق، وأماتوا بذرة الزيغ والضلال، فجاءت الأمة الإسلامية تتبع الطريق المهيّج وتسلّك سبيل العدل اتباعاً وراء الكتاب والسنة، إلى أن ألقى الشرّ جرانه، وجاد الدهر بولائد الجهل، وربّتهم أيدي سياسة الأجانب، وأرضعتهم أمّهات الغي والضلال، ورافقهم رجالات السوء والفساد، فجاسوا خلال الديار وضلّوا وأضلّوا، واتبعوا سبيل البغي والشهوات، وصدّوا عن سبيل الله واقتفوا آثار ابن تيمية، واتخذوا وتيرته وجاءوا يَمْوّهون ويدجّلون ويتحرّشون بالسباب المقدّع، ويقذفون المؤمنين بالكفر والردة، ويرمونهم بكلّ معرّة ومسبّة... كالذين أشرنا إليهم في المقدمة. والذين تمسّكوا بمفتريات ومخاريق ومجازفات ابن تيمية الذي هو مشكوك الايمان بل مشكوك الإسلام لدى العلماء الأعلام من أهل السنة.

الصلة بين الوهابية والماسونية:

الوهابية هي إحدى الحركات الصهيونية التي ارتدت ثوب الدين الإسلامي بينما هي في الحقيقة تعتبر من أكثر الفرق التي هاجمت الإسلام.

(٢) سورة الرعد/آية ١٧.

(١) «ابن حجر العسقلاني «الدرر الكامنة» ج ١ ص ١٤٧.

يرى الوهابيون أن اليهود سيرثون فلسطين بأمر من الله، ويعلنون فرحهم بذلك اليوم، لأن اليهود حسب رأيهم مظلومون من الإسلام، كما يرون أن القدس أهينت بيد المسلمين وديست ولن تعود إليها قداستها إلا بعودتها لليهود. فالوهابيون يقولون إنه منذ ظهور محمد بن عبد الوهاب مؤسس حركتهم فإن شريعة الإسلام لم يعد لها حكم، لأن مجيئه هو المقدمة لارتفاع راية اليهود والعودة إلى نواميس موسى^(١).

ويحمل الوهابيون مثل باقي الحركات الباطنية اليهودية لواء «الدين العالمي والاخوة الإنسانية والسلام العالمي»^(٢) وكل هذه الشعارات تلتقي وتنبع من شعارات الحركة الماسونية الصهيونية العالمية، التي تحرّكها الأيدي اليهودية مباشرة، وقد طالب الوهابيون بتحقيق السلام العام وجعلوه ركناً من أركان دينهم الذي هو مزيج من الاسلام والمسيحية واليهودية والبوذية والكونفوشوسية، وادّعوا أن دينهم هوناسخ لجميع الديانات التي سبقته.

فللوهابية كتب كثيرة تعيد الوجدانية تجسيمياً، وترى الرسالة المحمدية انتهت عام (١١١٥) هـ، وترى للصلاة والصيام والحج والزكاة والاجهاد والقيامة معانٍ خفيت على رسول الله (ص) وأصحابه (رض) والأئمة (ع) والمجتهدين، وظهرت لمحمد بن عبد الوهاب وحده.

فالصلة بين الوهابية وشهود يهوه والماسونية ملموسة، إذ كلها تلتقي بالهدف التلمودي، الذي أوضحت «بروتوكولات حكماء صهيون» بعض أغطيته، وعرضته مشدداً للعهد القديم.

وترى الوهابية للجنة معنى لا يعدو إقامة دولة لليهود، أما النار فهي عدم

(١) «يهوداً لاحنابلة» و«الأزهر والسياسة» للشيخ محمد الظواهري إمام الأزهر عام ١٩٢٥ م.

(٢) الشيخ رفعت سليم كبار «يهود الدوغة والأصول السعودية الوهابية» طبع في تركيا - اسطنبول ص ١٦.

الإنصواء لرايتها أوعدم الإعتراف بها. وأحب أن أنقل من كلام الوهابية هذا النص «الدين الوهابي جاء لإعلان دولة دينية جديدة من شأنها أن تحتم الأدوار السابقة، وتعطل شعائرها وكتبها ونظمها»(١).

ولا عجب إن اعترفت عصبة الأمم التي تقمصتها هيئة الأمم بالوهابية. ومثل هذا النص عشرات، وكلها متفقة بأن قيام هذه النحلة ليس إلا تمهيداً لقيام كيان يهودي يتخذ فلسطين نقطة انطلاق، وحسبنا أن ننقل عن محمد بن عبد الوهاب نفسه هذا النص: «سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة، ويزدادون إلى أن تصير فلسطين وطناً لهم»(٢).

وقد نقل عالم جليل من علماء الشافعية بأنه سمع بعض علماء الوهابية في مكة يقول: «إن القرآن من حسنات الماسون، إذ أملاه الاستاذ الأعظم بحيرا الراهب على محمد»(٣).

إن الوهابيين يعلمون أن هرتزل أبا الصهيونية عقد مؤتمراً عام ١٩٠٣م ضم ماسونيين كونييين ورفيعيين بارك الحملة على الأديان التي ورثتها الماسونية وتواصت بها عبر العصور وجددها بالنص الآتي:

- ١- إبادة البشرية والأجناس والأديان.
- ٢- الاكثار من الجمعيات التي تتفق مع الماسونية بالهدف وإن اختلفت الأسماء.

٣- حصر الأديان بالمعابد تمهيداً لإزالتها حتى من المعابد.

٤- يجب سحق عدونا الأثري- الدين- مع إزالة رجاله.

٥- لا بأس أن يدخل الماسون بين المتدينين ويؤسسوا الجمعيات الدينية

(١) المصدر السابق: ص ٢٢.

(٢) ج. أ. أسلمنت «محمد بن عبد الوهاب والعصر الجديد» ص ٧٢.

(٣) يهود الدوغة والأصول السعودية الوهابية: ص ٣٨.

ليلعبوا على السذج.

٦- سوف نقضي على العقائد الباطلة (١)

هذا، وإذا علم القارئ أن بدعة «فصل الدين عن السياسة» اقتراح ماسوني، سبق الجميع بحمل رأيته مجلة «أكاسيا» الماسونية الإيطالية، وأن اليهود يقيمون دولتهم الآن على الدين بصفتهم وكلاء أمناء عن المسيح، وأن آل سعود الوهابيين يقيمون مملكتهم الآن على الاسلام بصفتهم خلفاء الله في أرضه، أدرك الخدعة الكبرى.

وهكذا قامت الوهابية بدور جديد في خدمة اليهود لم يتقنه دزرائيلي ولورانس وكلوب وفيلبي، ولذا لانعجب إذا رأينا القائد الإنكليزي حين دخوله حيفا عام ١٩١٧م يقدم شكر الامبراطورية الانكليزية لعبد العزيز آل سعود ويمنحه وساماً بالنيابة عنها. والأجل من هذا أن يرى عبد العزيز آل سعود القدس أهينت بيد المسلمين والمسيحيين، ولا تعود إليها قداستها إلا بعودتها الى اليهود (٢).

كتب الوهابي «إبراهيم السليمان الجهمان» يقول: ألا يمكن لأصفياء القلوب في أرجاء الأرض كائنة ما كانت نحلهم أن يتظافروا مع الوهابيين في العمل على تحقيق الهدف العالمي الوحيد ألا وهو نزع السلاح وتتويج السلام (٣).

ونقرأ من نفس كتاب الوهابي إبراهيم الجهمان نقلاً عن محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية أنه قال: إن جوهر تعاليم محمد بن عبد الوهاب هو المحبة العامة التي هي أساس كل فضائل العالم الإنساني، المحبة

(١) أمريكا مستعمرة يهودية: ص ١١ و ١٢.

(٢) آل سعود ظاهريهم وباطنيهم، طبع بيروت عام ١٩٦٥م- مكتبة العرفان.

(٣) إبراهيم السليمان الجهمان «مزاعم طائفة الشيعة» ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م منشورات مجلة «الدعوة»

السعودية. ص ٢٧.

والإخلاص يجب أن يملأ القلب بحيث يرى الرجل الغريب صديقاً (؟) ويعد أعداءه أحماءه، وغرماءه إخوانه المحبين، وسافك دمه واهب حياته، والمنكر صديقاً، والكافر أحد المؤمنين (؟) كلما ازدادوا عنفاً زاد عدلاً وانصافاً، وكلما اشتد بهم الاعتراض والشقاق أظهر لهم الإخلاص والوفاق (١).

نعم يدعو هذا الوهابي المرتزق الى المحبة العامة وترك الجهاد في سبيل الله والإنصواء تحت لواء الوهابية التي نعتها ووصفها بما حوته سجلات السياسة الميكافيلية. وهو يبرز محمد بن عبد الوهاب أمام الرأي العام العالمي وهو يلبس مسوح الوداعة والأمانة، وهو الذي عرفته البشرية أقدر الذئاب شراسة وهمجية، وأفضل اللصوص المحترفين في نهب وسرقة ثروات المسلمين.

لقد وقف الاسلام من الوثنية والظلم والاستعباد والاستغلال بكل ما لهذه الكلمات من أبعاد موقفاً يتسم بالحزم والشدة ليحرر الإنسان مما كان يعانيه من الحاكمين والمتجبرين ومن عبادة الأصنام وشرائع الغاب التي كانت تتحكم بمصير الإنسان وطاقاته وخيرات الأرض والسماء، وفرض على المسلمين فيما فرضه وشرعه الجهاد وقتال المشركين والعابثين بكرامة العباد فقال تعالى في كتابه الكريم: «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحببوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون» (٢).

وقد حبه إليهم ووعدهم عليه حياة سعيدة دائمة، فقال تعالى: «فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلب فسوف نأتيه أجراً عظيماً» (٣).

وحذر الله المتقاعسين عن القتال والمتخلفين والناكثين. واعتبرهم بمنزلة

(١) نفس المصدر السابق: ص ٤٣. (٢) سورة البقرة / آية ٢١٦. (٣) سورة النساء / آية ٧٤.

الكفار والمنافقين وتوعدهم بالعذاب الأليم فقال عز من قائل: «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون» (١).

وقال تعالى: «الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لنعلم قتالاً لا تبغناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان» (٢).

وقد اندفع المسلمون الأوائل ملتبين لنداء الله يتسابقون الى الجهاد والبذل بسخاء في سبيله حتى دانت لهم الدنيا من جميع أطرافها وشهدوا عهداً لم يعرفوا في تاريخهم الطويل خيراً منه ولا نظيراً له ومضت راية الاسلام عالية خفاقة في أيدي المسلمين يتسابق وراءها المجاهدون في بلاد الطغيان والاستعباد والوثنية، ولم يجد أعداء الإسلام وسيلة لوقف الزحف الإسلامي المتصاعد أجدى من التستر بالإسلام والعمل بتبديد قوة المسلمين وتمزيق وحدتهم، فأدخلوا بين تعاليم الإسلام ومعتقداته بعض تعاليمهم ومعتقداتهم وطرقهم المناقضة لتعاليم الإسلام ومعتقداته.

وكانت «الوهابية» من أشد الأمراض فتكاً في الأوساط الإسلامية ومن أشدها خطراً على الإسلام، فراحوا يفسرون الإسلام وتعاليمه وأنظمتهم بما يلتقي مع أفكارهم الهدامة وتعاليمهم التي ورثوها عن الأمم التي سبقت الإسلام. وقد استهدفت تحركاتهم فيما استهدفته الجهاد الذي دعا إليه الإسلام، باعتباره سر قوة المسلمين ومبعث عزهم ونهضتهم.

وللوهابيين علاقة رئيسية بالكيان الصهيوني، فقد ورد في صحيفة لندنية هذا الخبر نقلاً عن مراسلها تقول: «من مراسلنا في جدة.. اجتمع مائتان وخمسة

(٢) سورة آل عمران/ آية ١٦٧.

(١) سورة التوبة/ آية ٨١ و٨٢.

وعشرون شخصاً اختيروا من قبل إحدى وثمانين جمعية تابعة للوهابية التي تدعو الى وحدة الجنس البشري والى السلم العالمي (١) وقد انتخبت هذه الوفود المجلس الدولي الثاني للعدالة وهو مكون من تسعة أعضاء ويمثل الهيئة العليا للوهابيين وقد استقبلهم بعد المؤتمر الملك فيصل بن عبدالعزيز ووليّ عهده الأمير خالد والأمير فهد وزير الداخلية، وقد انتخبوا اليهودي الأميركي «ماسونيون» ليكون رئيساً روحياً للوهابيين في العالم وتمّ ذلك في المؤتمر السالف الذكر» (١).

من هذا كله يتبين لنا أن «الوهابية» ليست سوى واحدة من بنات الحركة الماسونية العالمية أو اليهودية العالمية، وقد نسبها خيرى رضا في كتابه (٢) الى الماسونية حيث يقول: «رغم الاختلافات الشكلية من حيث ممارسة الطقوس والوان العقائد التي تغلف وتموّ الأهداف الحقيقية، بين الوهابية والماسونية، إلا أن العلاقات التي تربط المنظمّتين من حيث الجوهر والتوجّهات العامة كثيرة ومتشعبة، إلا أن نقاط الالتقاء المشتركة كثيرة بينها منها:

أولاً: الاعتماد على القواعد والأساسيات الفكرية المرتبطة بالطقوس والممارسات الغريبة والمعقدة بهدف إيجاد صيغة توفيقية تتناول في جانب منها بعض الخلفيات الدينية لاستخدامها في التبشير العلني للأهداف السرية وطرح أهداف تتعارض كلياً مع الأفكار السائدة في المجتمعات التي تعمل بها منها الدعوة للقبول بالسيطرة الأجنبية والعدوان الصهيوني وكيانه الإستيطاني.

ثانياً: تزعم الوهابية والماسونية أنها لا تتدخلان في الأمور السياسية والحزبية فهل يمكن لأحد تصديق هذه المزاعم خاصة إذا تبين واقعها

(١) صحيفة «الجويش كرونكل» اللندنية الصادرة بتاريخ ١٥/٧/١٩٦٨ م.

(٢) خيرى رضا «شذرة من تاريخ الوهابية» ص ٦٠ و ٦١.

كمنظمتين عالميتين تضمّان ملايين الأعضاء ولهما آلاف المحافل .
 ثالثاً: عملت الوهابية والماسونية وكل المنظمات الصهيونية الشبيهة لها منذ نشأتها على خلق الإنقسامات الطائفية والمذهبية وإيجاد حالة من الاحتراب بين أبناء المجتمع الواحد مما وقر للمستعمرين الجدد فرصاً كبيرة لتنفيذ أهدافهم .
 رابعاً: تخطى الوهابية بدعم إعلامي ومادي مباشرين من قبل الإمبريالية والصهيونية حيث ترجمت دور النشر التي تمتلكها الإحتكارات الغريبة تعاليم الوهابيين الى كلّ اللغات .

خامساً: لعبت الوهابية دوراً مناهضاً لكل توجه إسلامي ووطني تحرري .
 سادساً: اعتماد الوهابية والماسونية في نشاطها على أعلى درجات من السرية والكتمان» .

وتأكيداً لكلمات خيرى رضا حول ارتباط الحركة الوهابية بالإستعمار، ننقل ماورد عن مجلّة «الصحوّة الإسلامية» بقلم الكاتب السيد نوري حسين الأميري مايلي: «تعتبر الوهابية من حركات الطبقة المفسدة التي قامت بتخطيط منها عن طريق الإستعمار الغربي وبالذات من بريطانيا أبان أن كانت تحكم بعض البلدان الإسلامية، وهذه الحركة في خطورتها لا تقلّ عن البهائية والقاديانية في هدم الوحدة الإسلامية وتشويه مبادئ الإسلام السمحة .
 وهذه حركات مندسة بين صفوف المسلمين، ومن هنا كانت خطورتها أكبر لأنها تدعي أنها فرق إسلامية» (١) .

الأتكفي هذه الدلائل للإشارة إلى ما زرع في نفسية أبناء المجتمع الإسلامي من قناعات على مدى السنين، أمّا على صعيد الحجاز فيعتبر الوهابيون دعامة

(١) مجلّة «الصحوّة الإسلامية» العدد ٣ الاثنين ١٦ ذي الحجة ١٤٠٥ هـ. السنة الأولى مقال بعنوان «في مواجهة الحركات الهدامة المرتبطة بالصهيونية» - الحركة الوهابية . ص ٢٩ .

«الحرس اللاوطني» (١) الذي يدعم نظام «آل سعود» والذي يقوم بكافة الأعمال الإرهابية ضد أبناء الشعب الجزائري المسلم وعلى رأس الحركة الوهابية «عبدالعزیز بن باز» عضو هيئة مايسمى بكبار علماء الوهابية والرئيس العام للدعوة والإفتاء في المملكة السعودية.

جاء الإنكليز بآل سعود الى الحكم، بدل الشرفاء، لأن آل سعود أثبتوا قدرتهم على العمالة المتزايدة سابقاً ولا حقاً.

أما سابقاً فإن «مستر همفر»، هو الذي مكّن من إثارة «محمد بن عبد الوهاب» لادّعائه الدين الوهابي، والذي بموجبه كفر كل المسلمين، وهدم قباب آل الرسول وصحابته، ولما أراد هدم قبة الرسول (ص) بزعم أنه شرك، أشار المستشار البريطاني بالمنع، لأنه ليس من مصلحة بريطانيا، إذ يمكن أن يثور المسلمون في كل العالم، مما يسبب مشاكل كثيرة للدولة المستعمرة، ولذا أظهر الحاكم للذين التقوا حوله: أنه رأى في المنام الرسول الأعظم (ص) وقال له: كفت عن هذا لبعض المصالح...

كما أن «مستر همفر» هو الذي مكّن من أن يضم «محمد السعود» حاكماً الى «محمد بن عبد الوهاب» مشرعاً، وأن يجعل في خدمتهما الضباط البريطانيين باسم العبيد (٢).

وحينما أرادت بريطانيا استعمار العراق أوعزت الى آل سعود بالهجوم على «كربلاء والنجف» تمهيداً لإضعاف القوى، وفعلوا ما أشار إليهم البريطانيون، وهجموا مرتين قتلوا في إحداها زهاء «٢٠/١٠٠٠» عشرين ألف مسلم بري من الأطفال والنساء والشيخوخ (٣).

(١) وهذا الحرس (اللاوطني) أسسه الجنرال بروميج. الذي كان نائباً للجنرال كلوب باشا.

(٢) راجع مذكرات «مستر همفر» ص ٨٣.

(٣) الهجوم «العلامة الأميني» «شهداء الفضيلة» ص ٥٥.

وأما لاحقاً فإن عبدالعزيز آل سعود أخذ يعيث في البلاد الفساد بمعاونة مشاوره البريطاني «جون فيليبي» وقد تمت معاهدة معروفة عام ١٣٣٠ هـ بين الملك عبدالعزيز وبريطانيا وبواسطة المستشار المذكور، يطيع عبدالعزيز بموجبها أوامر بريطانيا قبال منحه «٥/٠٠٠» خمسة آلاف ليرة استرلينية سنوياً، وقد التزمت بريطانيا بموجب هذه المعاهدة فدفعت لعبد العزيز مبلغ «٤٧٧ و ٣١٠» ليرة استرلينية للفترة الواقعة ما بين ١٩١٧ م ولغاية ١٩٢٤ م (١).

ثم انتقلت عمالة آل سعود من بريطانيا إلى أمريكا، فكان فيصل ومن أتى بعده عملاء مخلصين لأمريكا، وكانوا ينشرون «الإسلام الأمريكي» في كل بقاع العالم، وقد كان هدف أمريكان هذه الصداقة أمرين:

الأول: ضمان سوق كبير لها، تشتري منه النفط بأبخس الأثمان، وتصدر إليه أنواع البضائع بأغلى ثمن.

الثاني: أن يقف «إسلام البيت الأبيض» أمام المد الشيوعي في قارتي آسيا وأفريقيا، بالإضافة الى ذلك تكون السعودية عصا غليظة ضد بلدان الخليج، إذا أرادت هذه الدول أن تعصي أوامر السادة الجدد «أمريكا».

فيما تقف عائلة آل الشيخ أي سلالة «محمد بن عبد الوهاب» بتبرير جرائم آل سعود ومنكراتهم بسن التشريعات والفتاوى الكاذبة التي يزعمونها على الاسلام والمسلمين. وهذه أمثلة لفتاويها:

- ١- اسمع وأطع لأميرك وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك.
- ٢- اعط الزكاة لحاكمك ولا تسأله حتى ولو طوق بها عنق كلب.
- ٣- سأل قوم رسول الله فقالوا: يا محمد! أنبئنا عماذا نفعل بالحكام الظلمة؟ فقال: اعطوهم ما لهم واسألوا الله مالكم، فقالوا: ألا نقاتلهم؟ فقال:

لا تقاتلوهم ما أقاموا فيكم الصلاة!.

٤- تحدث رسول الله فقال: ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: هم الضعفاء المغلوبون. وفي رواية أخرى هم: الضعفاء المظلومون! (١).

هذه هي بعض أمثلة للأحاديث الكاذبة التي أقحمها آل سعود وآل الشيخ وأمثالهم على الدين، وكذبوا على الرسول (ص) خدمةً لأهدافهم العدوانية. إنه لم يفسد الدين إلا الملوك وعلماء السوء، أولئك برغبتهم الجاحمة، وهؤلاء باستجابتهم وعدم المحافظة على ما استودعوا عليه من صيانة الدين من التبديل والتحريف، ويتبع فساد دين الناس فساد دينهم، لأن الدين جاء بقواعد العدل التي تصون مصالح الأفراد والطوائف، فإذا أُضيعت هذه القواعد بضياغ الدين، ضيع العدل بين الأفراد والطوائف، وإذا ضيع العدل ساءت الأحوال وفسد أمر الدنيا.

هذه الأمانة التي في أعناق العلماء إذن أمرها عظيم، وخطرها جسيم، إذا أدت صلح الدين والدنيا، وإذا ضيعت فسد الدين والدنيا، لذلك عظم الإسلام أمرها، وزين أداؤها في قلوب الناس.

قال النبي (ص): «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» (٢).

إن قيام العلماء بما حملوا من أمانة ونصيحة أئمة المسلمين وعامتهم أين على المسلمين من بركات الأرض والسماء، وإن تضييع العلماء أمانتهم وغش المسلمين أئمتهم وعامتهم أشأم من الصواعق المحرقة والطواغين المدمرة.

إن حوادث «المسجد الحرام» و«المنطقة الشرقية» عام ١٤٠٠ هـ أثبتت لأمریکا والإنكليز والصهبانية أنهم لا يتمكنون من استعمار الشعوب طويلاً،

(١) ناصر السعيد «تاريخ آل سعود» ج ١.

(٢) رواه الطبري في «التاريخ» وابن الأثير في «الكامل» وغيرهما.

خصوصاً الشعب المسلم، فقد ولّت أيام الاستعمار، وإن تغلّف بمذهب ابن عبد الوهاب الذي أوجده المستعمر بنفسه، فإن الاستعمار يعمل في جميع الأبعاد، حتى في بعد منع المذهب، ثم يربيّه ويغذّيه ويؤيده بالمال والحكومة، حتى يزعم الغافل أنه مذهب.

فقد فعل المستعمر في إيران ذلك، فاخترع «البابية» حيث رأى أنه يلائم الجهال في إيران الذين سمعوا باسم الإمام المهدي عليه السلام، وهم جاهلون عن تفاصيله، كما أنهم لا يعرفون اللغة العربية، مما يمكن إغفالهم بالكلمات المخترعة مثل «الدائم الديموم الديمان الديمنون الدمنان...» وإلى آخر هذه الحزعات التي جاء بها الباب.

كما فعل في الهند ذلك، فاخترع «القاديانية» إذ أن طبيعة الهند المشتملة على الأديان المختلفة قريبة من تقبل دين يأخذ في الجميع، فهو مسيحي محمدي برهمي... و..

كذلك فعل في الجزيرة العربية، فاخترع الحركة «الوهابية» الجافة التي تناسب جفاف الصحراء من جانب، ونضوب العمق العملي من جانب آخر، بينما كل جاهل من أهل الجزيرة يفهم «الإله الواحد».

وقد قام المسلمون في الهند وإيران والحجاز بتكفير أصحاب هذه المذاهب المخترعة، مما جعل «الباب» و«القادياني» في قائمة الكفار، وجعل أتباعهما في قائمة المرتدين.. لكن الحجاز لم يتمكن من ذلك لأمرين:

الأول: قلة العلماء فيه.

الثاني: قوة المال الذي جعل الجهال يرضخون للكفرة، أمّا في غير الحجاز، فقد كفر العلماء «محمّدين عبد الوهاب» وجعلوا أتباعه في قائمة المرتدين.

وسياتي اليوم القريب الذي يرفض الحجاز هذا المذهب المخترع، كما رفضت إيران والهند «الباب والقادياني» وليس ذلك على الله بعزير.

الفصل الثاني

محطات تأمل في السياسة السعودية

دور السعودية في خدمة الصهيونية:

لا حاجة للإجتهد كثيراً من أجل معرفة نوايا حكام السعودية والمخططات الصهيونية ضد العرب والمسلمين عامة وضد الفلسطينيين منهم بصورة خاصة، فقد أصبحت الأمور على درجة كافية من الوضوح.

لقد شغل انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران قيادة الكيان الصهيوني كما يلاحظ ذلك من تصريحاتهم وتعليقاتهم، فقد أعلن عضو الكنيست «إسحاق رابين» إن تغيير نظام الحكم في إيران هو ضربة قاسية جداً للولايات المتحدة والعالم الحربي الشرق الأوسط، ومن المحتمل أن تهدد الموجة الإسلامية المتطرفة المملكة العربية السعودية (١).

وقد يكون من المناسب الإشارة إلى ما قاله عضو مجلس الشيوخ الأمريكي «هنري جاكسون» من أن إقامة حلف مصري-إسرائيلي-سعودي بعد أحداث إيران لضمان استمرار تدفق النفط للولايات المتحدة هو اقتراح مضر لأنه لوقام حلف كهذا فانه من المتوقع قيام ثورة إسلامية شاملة ضد حكومتي مصر والسعودية (٢).

(١) صحيفة «دافار» العبرية في ١٣/٢/١٩٧٩ م ص ١.

(٢) صحيفة «عل هشمار» العبرية الصادرة في ١٣/٢/١٩٧٩ م ص ٧.

ونقل عن منحيم بيغن قوله: «إنه في هذه الأيام التي يشعر فيها أن العصور الوسطى تعود الى الشرق الأوسط في ذروة القرن العشرين» (١) ويقصد به انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

وذكر مصدر أمني في لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست الإسرائيلي - يوم ١٤/٢/١٩٧٩ م مايلي: هناك اعتقاد بأنه إذا استقرّ نظام الحكم الحالي في إيران - نظام آية الله الخميني - فإن إيران سترسل وحدات مقاتلة إلى الحدود الشرقية مع إسرائيل. ومن هنا تكتسب أحداث إيران أهميتها بالنسبة لإسرائيل، وهي أحداث لم يسبق وقوع مثلها خلال المائة سنة الماضية. وقد تتسع أحداث إيران في المنطقة لتنتقل إلى تركيا، فإذا لم يتدخل الغرب وهب لمساعدة تركيا فإنها ستسقط أمام الموجة الإسلامية المتعصبة (٢).

وعندما زار وزير الدفاع الأمريكي «هارولد براون» الكيان الصهيوني، «قام الوفد المفاوض الإسرائيلي بتحذير براون من أن تؤدي أحداث إيران إلى يقظة الوعي الإسلامي في المنطقة، ويرى الاسرائيليون أن أحداث إيران ستزيد في حالة عدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط. وأنها ستشجع العناصر الإسلامية المتطرفة» (٣).

وتعكس الشواهد السابقة على قلتها بعض ملامح الدور الإسرائيلي سواء في تنظيم الحرب ضدّ التطلّعات الإسلامية والثورية لشعوب المنطقة، كما تعكس أيضاً استثمار إسرائيل لكافة التطورات من أجل تحقيق المشروع الصهيوني وتطويره، وهي تعكس بالإضافة إلى ذلك أيضاً موقف الدول العظمى التي تدعم إسرائيل في حدّ ذاتها، أو من أجل مراعاة اليهود، وإنما من أجل الدور

(١) صحيفة «يديعوت احرنوت» الإسرائيلية الصادرة في ١٢/٢/١٩٧٩ م ص ٧.

(٢) صحيفة «دافار» الإسرائيلية الصادرة في ١٥/٢/١٩٧٩ م ص ١.

(٣) صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية الصادرة في ١٥/٢/١٩٧٩ م ص ١.

القمعي الذي تمارسه إسرائيل.

وكتبت صحيفة إسرائيلية أنه «أعلن عضو الكنيست شمعون بيرس: إن انتصار الحميني في إيران قد يضع الصعوبات أمام إسرائيل، ويخلق عقبات خطيرة لم تعرفها منذ زمن بعيد» (١).

ومن ذلك ما ذكر «من أن المصادر الأمريكية قد أعلنت أنه بسبب أحداث إيران، فانه من المحتمل أن تجري مداولات بين إسرائيل والولايات المتحدة لعقد معاهدة دفاعية بينهما لا تشمل تواجداً أمريكياً عملياً، لكنها تلزم الولايات المتحدة بأن تهت لمساعدة إسرائيل في حال تعرضها لخطر نووي أو التدخل من قبل دولة كبرى أو تهديد وجودها. وذكر أن وزير الدفاع الأمريكي - هارولد براون - أعلن يوم ١٩٧٩/٢/٢٠ م أنه أبلغ إسرائيل والسعودية والأردن ومصر بأن الولايات المتحدة ستمارس دوراً أكثر نشاطاً في الشرق الأوسط عقب أحداث إيران» (٢).

لم تفاجئنا الاتصالات السرية وغير السرية بين «الشیطان الأكبر» و«خونة الحرمين الشريفين» رغم التصريحات المعادية والصاخبة التي تصدر من هنا وهناك ، كما لم تفاجئنا شحنات الأسلحة التي أمر ريغان بإرسالها الى نظام آل سعود. ذلك إننا نعرف منذ البداية أن الذي جاء بآل سعود الى عرش الحجاز هو «الشیطان الأكبر» ومن يلوذ به من الشياطين الصغار بهدف محاربة الاسلام والمسلمين سابقاً والقضاء على الثورة الإسلامية في إيران لاحقاً، من حيث إنها ثورة إسلامية تحريرية أصيلة، تسعى لوضع أسس راسخة لمستقبل

(١) صحيفة «دافار» الإسرائيلية الصادرة في ١٩٧٩/٢/٥ م ص ١.

(٢) صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية الصادرة في ١٩٧٩/٢/٢١ م ص ١، راجع كتاب «خنجر إسرائيل والمستقبل» للكاتب الهندي ر. ك. كراغيا شرح وتعليق بسام العسلي ١٩٨٠ م دارالسيرة (بيروت)، ص ١٢٩.

إسلامي مشرق.

كما أننا لم نفاجأ. لا الآن ولا منذ سنوات طويلة. بالتعاون القائم بين الكيانين الصهيوني والسعودي، سواء في ميدان التسليح أو غيره من الميادين، بما فيها السمسرة بين أمريكا والسعودية، رغم التصريحات التي تصدر عن خونة المقدسات الإسلامية ضد الكيان الصهيوني، وتبجحهم المستمر بتصميمهم على تحرير القدس من غاصبها. ذلك لأننا نعلم أن الكيان الصهيوني لا تخيفه التصريحات والشعارات ولا التبعجحات، وإنما الذي يخيفه هو العمل المستقبلي الجاد في أية بقعة من أرض الإسلام.

ولكن من حقنا أن نفاجأ. حقاً. في أن يكون حتى الآن سواء في صفوف العرب أو بين المسلمين من لا يزال يرى في «فهد» زعيماً للإسلام، وفي حكمه المشبوه حكم إسلامي. ولسوف نفاجأ أكثر إذا ما وجدنا أن هناك من يصدق. سواء بين السعوديين أو غيرهم. أن الكيان الصهيوني أو حليفه الأمريكي يمد نظاماً هدفه تحرير القدس.

ونحاول من خلال هذا الموضوع إلقاء نظرة بسيطة على تصريحات آل سعود ودورهم في خدمة الصهيونية.

١- أبدت إسرائيل استعدادها للتفاوض مع المسؤولين السعوديين حول مشروعهم «مشروع فهد» (١).

٢- تصريح الأمير عبد الله بن عبد العزيز لمجلة «التايم» الأمريكية الذي اعترف صراحةً بإسرائيل وأكد على حقها في الوجود!! حيث قال: «اقترح هذا المشروع بعد أن اعتبرت اتفاقية «كامب ديفيد» ميتة أو قاربت على الإنتهاء على الأقل إقراراً بحق إسرائيل في الوجود بعد القبول بالدولة الفلسطينية

والعودة الى حدود عام ١٩٦٧م، وانتهاء حالة الحرب، وعند استيفاء هذه الشروط فسيتّم الاعتراف بإسرائيل بحكم الواقع، وكيف ننكر عليها هذا الحق؟!...» وقد ذكرت هذا التصريح أغلب الصحف أيضاً (١).

٣- وهذا تصريح آخر أدلى به مندوب آل سعود في الأمم المتحدة بالوكالة «جعفر اللقاني» لصحيفة «نيويورك تايمز» قوله: إن مشروع فهد يعترف بإسرائيل... إنه يقول: «جميع الدول» ولسنا خائفين من القول أنه يعترف بإسرائيل (٢).

ولاشك أن الإسرائيليين وعملاء أمريكا تأكد لهم أن السعودية ليست دولة مواجهة، ولا تهدف للقضاء على إسرائيل!!

٤- الحكومة الإسرائيلية من جهتها علّقت بأنها ستبحث حول تصريحات الدبلوماسي السعودي. ومندوب إسرائيل في الأمم المتحدة «يهودا بلوم» علّق على التصريح بقوله: «إن مشروع فهد يعترف بإسرائيل وليس فيه جديد؟! (٣). فالاعتراف السعودي بإسرائيل لا يثير اهتماماً!! كما في تعليق «يهودا بلوم» وهو أمر عادي. وهذا يدلّ دلالة واضحة أن السعودية قد اعترفت مسبقاً بإسرائيل وقبل طرح المشروع الفهدي. لذا ليس فيه جديد!!

٥- وأكد الرئيس المصري «حسني اللامبارك» أمله في أن تساعد الدبلوماسية السعودية على مصالحة مصر مع الدول العربية، وكرر استعداده لزيارة السعودية في وقت قالت مجلة مصرية: «إن شخصية سعودية كبيرة «فهد» ستقوم بزيارة القاهرة قريباً لتقديم العزاء للرئيس والإجتماع بالمسؤولين

(١) المسألة الفلسطينية في النظار السعودي ص ٣٣ نقلاً عن صحيفة «القبس» الكويتية. في

١١/١/١٤٠٢هـ.

(٢) و(٣) المصدر السابق: نقلاً عن صحيفة «الوطن» في ١٩/١/١٤٠٢هـ.

المصريين» (١).

٦- في نفس الوقت أكد «أشرف غربال» سفير مصر لدى أمريكا أن الاتصالات لم تتوقف مع السعودية (٢).

٧- سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي أعرب عن أمله في عودة العلاقات بين مصر والعالم العربي الى حالتها الطبيعية (٣).

٨- مرة أخرى أعلن «اللامبارك» أن خطة «فهد» تتضمن اعترافاً ضمناً بإسرائيل وتحتوي على بعض النقاط المشجعة، وأضاف قائلاً: «ربما تكون أساساً للحوار في المستقبل...» (٤).

٩- وبعد مصرع الطاغية «فيصل» وقيام «آل فهد» بتنصيب خالد ملكاً أرادت صحيفة أمريكية التعرف الى وجهة نظر الملك الجديد «خالد» وولي عهده الجديد «فهد» بل «الملك الحقيقي».. فخرجت منها بتصريح قال فيه: «بأن السعودية على أتم الإستعداد للاعتراف بإسرائيل... ولكن على إسرائيل أن تحل مشاكلها مع جيرانها وتتدبر أمرها مع الفلسطينيين» وعندما سألتها عن معنى تدبر الأمر... قالت: إن فهداً قال: «إسرائيل أدرى في شؤونها! (٥).

١٠- وحول تصريحات الملك خالد للاعتراف بإسرائيل كتب فيصل حوراني يقول: «التصريحات التي أدلى بها الملك السعودي لمجلة «الواشنطن بوست» حول استعداد السعودية للاعتراف بإسرائيل جاءت لتساعد على إظهار موقف المتحمسين للحل عن طريق أمريكا بمظهر موحد وخاصة في هذه المسألة الكبيرة المتعلقة بالاعتراف بإسرائيل.

كان فيصل مع حماسه الشديد ومع جهوده الكبيرة لربط العرب بعلاقات

(١) مجلة «روز اليوسف» في ١٤٠٢/١/٥ هـ. (٢) صحيفة «السفير» اللبنانية في ١٤٠٢/١/٥ هـ.

(٣) صحيفة «الرأي العام» الكويتية في ١٤٠٢/١/١٢ هـ.

(٤) جريدة «السفير» اللبنانية في ١٤٠٢/١/٥ هـ. (٥) صحيفة «الواشنطن بوست» في ١٩٧٥/٦/١٥ م.

وثيقة مع أمريكا يتحفظ أزاء الاعتراف بإسرائيل بعض الشيء تغطيةً لمواقفه الأمريكية.

بالطبع ما من أحد يجهل أن السعودية ظلت تمارس عملياً تلك السياسة التي تدفع إلى التسوية الأمريكية، وليس فقط إلى التسوية التي عبر عنها القرار (٢٤٢) وأن تمسكها في ظلّ حكم الملك فيصل برفض الاعتراف بإسرائيل كان شكلياً. والآن جاء الملك خالد وتجاوز هذه المسألة مثيراً بذلك دهشة بعض قادة حركة المقاومة.

أما القادة الذين لم يندهشوا فهم الذين رأوا في موقف الملك الجديد تحصيل حاصل بالنسبة للسياسة السعودية المعروفة. ومهما يكن من أمر فإن تصريحات الملك خالد تثير ملاحظتين:

الأولى: إن حلقة الدول العربية الداخلة في مباحثات التسوية والمستعدة للاعتراف بإسرائيل مقابل استجابة إسرائيل لمطلي الإنسحاب وضمن الحقوق الوطنية «المشروعة» للشعب الفلسطيني قد اكتملت الآن بانضمام السعودية إليها!... بل انضمامها للسعودية بالأصح (١).

مشروع «فهد» وما أدراكا فقد يضمربنا المستقبل المنظور عشرات المشاريع على شاكلة المشاريع السابقة، ولكن بديكور جديد وبوجه جديدة. فمشروع «فهد» لم يختلف في جوهره عن قرار الأمم المتحدة (٢٤٢) والذي رفضته في حينها كل الأطراف «الثورية» والرجعية. واتخذ الكيان الصهيوني الرفض غطاءً لإظهار مظلوميته أمام الآخرين، ومن ورائه الإعلام الغربي المسيّر من قبل الأخطبوط، في حين كان قوماً يقابلون ذلك بالصمت أو بإحياء الليالي الحمراء أو الانكفاء على الذات، في الوقت الذي قام فيه مايسمى بـ «مجلس التعاون

(١) تاريخ آل سعود: ج ١ ص ٨٨٦ نقلاً عن صحيفة «السفير» اللبنانية.

الخليجي» بتبني مشروع فهد، ورحب بالمشروع آخرون وأيدوه، ورفضه البعض لغاية في نفس يعقوب، وإرجاء البعض إعلان موقفهم حين عقد مؤتمر القمة في «فاس».

أما الكيان الصهيوني فانه ينظاهر برفضه للمشروع، وقد قصفت مدفعيته جنوب لبنان الجريح واخترقت طائراته أحواء السعودية. ثم يهب شهادة «حسن السلوك» لأصحاب المشروع، ويضفي عليهم طابع الإستقلالية ومعاداة إسرائيل، بل يوحى للآخرين من النائمين مدى خطر المشروع الفهدي على أمن إسرائيل ومستقبلها ووجودها يزيع العملاء اللثام عن وجههم الكالح، فإذا لم تكن مهمة «الأواكس» تغطية منطقة شمال غرب المملكة- القريبة من العدو الصهيوني- فما هي مهمتها إذن ياترى؟!!!

إنها مكلفة بمراقبة أجواء شمال شرق المملكة القريبة من ايران. فقد توصلنا إلى سر إصرار «بيغن» رئيس وزراء العدو الصهيوني الأسبق الغريب على بيع طائرات «الأواكس» إلى السعودية قد انتهى تبني كثير من «الثوريين» أسلوب الكفاح المسلح لتحرير الأرض فأمسوا «ثوريين» يؤمنون بالكفاح الدبلوماسي. لانريد أن نذكر بالغزو الصهيوني للبنان مستفيداً من انهماك ايران الإسلام في ردّ الهجمة البعثية الصليبية عنه، ومعتمداً على رجولة وكبرياء «فهد». فتلك أصبحت معروفة حتى للمكابرين، ولكننا نذكر بالأطماع الصهيونية في الوطن الإسلامي، وبالأهداف المعلنة للحركة الصهيونية في تقسيم هذا الوطن إلى دويلات طائفية ومذهبية وعرقية، يكون وجود الكيان الصهيوني بينها طبيعياً ومبرراً، والتي تلتقي مع أهداف آل سعود والبعث الصليبي منذ سبع سنوات. نذكر بذلك لعلّ التذكير ينفع، فتفتح بعض العقول التي مازالت مغلقة، والأعين مازالت مغمضة فترى الحقيقة كما هي، فتتعامل معها... لامع الأوهام.

ماذا ينتظر العرب والمسلمون بعد كل الذي يقرأونه ويسمعونه عن التواطؤ الأمريكي الصهيوني مع نظام آل سعود؟ وهل بقي لمسلم، بعد اليوم- سواء كان مسؤولاً أم شخصاً عادياً من عذر إن هو لم يقف إلى جانب ايران الاسلام بسلاحه وماله وكل ما يملك من قوة أو طاقة؟

إذا كان البعض قد انخدع في شعارات «الوهابية اليهودية» عند بدايتها، فهل هناك من مجال للإخضاع أو للتردد في نجدة ايران الاسلام، بعد كل ما تكشف ويتكشف من تواطؤ هذا النظام السعودي مع الصهيونية والإمبريالية، إلا للذين في نفوسهم انحراف، أو مرض يصل حد الانحراف؟؟.

إن ايران الثورة لا تتصدى للهجمة البعثية البربرية العنصرية المتعددة الأطراف، دفاعاً عن نفسها فقط، وإنما دفاعاً عن مستقبل الأمة الإسلامية بأسرها، فهل يُعقل أن تظلّ وحيدة في هذه المواجهة؟ وهل يُعقل أن تظلّ المواثيق والمعاهدات الإسلامية حبراً على ورق، بعد كل ما نسمع ونرى؟.

إن التاريخ لا يرحم أحداً، وعلى المسؤولين العرب والمسلمين قبل غيرهم أن يحددوا هويتهم الآن. فإذا كانوا عرباً ومسلمين حقاً عليهم أن يتحركوا فوراً للوقوف دون تحفظ مع الثورة الإسلامية في ايران، وأن يعزلوا من صفوفهم أولئك الذين يتحالفون مع الصهيونية وحلفائها. وإلا فانهم يعطون لأنفسهم هوية أخرى، عنوانها التواطؤ مع الأعداء، ضد الإسلام وضد أمّتهم.

وتبقى ايران الاسلام التي أذهلت العالم بصمودها الاسطوري، وأربكت معسكرات الأعداء فاضطرته الى الكشف عن تحالفاتهم المشبوهة- أقوى من كل المؤامرات وأمنع من أن تؤثر على صمودها كل قوى الشر، لأنها الضمير الحي للأمة الإسلامية، وتستلهم تراثها الروحي والحضاري، ولأنها المؤهلة لحمل رسالتها، والجديرة بصنع مستقبلها المشرق، أما الآخرون فليس لهم سوى العار للخنوة والمنحرفين، والأماكن الهامشية للمتخاذلين والمتفرّجين.

لقد رفعت الجمهورية الإسلامية في إيران قيمة البترول للبرميل الواحد من ١٢ دولاراً الى ٣٦ دولاراً، حينما قامت بإغلاق أنابيب النفط من أن تصبّ في مخازن اللصوص الدوليين، بينما نجد شيطاناً صغيراً في الحجاز يحاول اليوم أن يجهض هذه الخطوة المباركة عن طريق رفع إنتاجه النفطي من ٧ ملايين برميل يومياً إلى ١١ مليون برميلاً، وما ذلك إلا ليمنع السقوط الأمريكي من أن يحدث في المنطقة.

ثم ها نحن نتساءل: هل كان باستطاعة إسرائيل أن تقصف المفاعل النووي في العراق لولا علم ومساعدة أمريكا؟ وهل كان باستطاعة الطيران الإسرائيلي الوصول الى بغداد من دون عبور الأجواء الأردنية أو السعودية؟ أين كانت طائرات «الأواكس» التي أريد لها أن تساعد العدوان البعثي الصهيوني على حرب دولة الإسلام في إيران حين قام الطيران الإسرائيلي بشن غاراته؟ وهل كان باستطاعة العدو الصهيوني الاغارة الوحشية الهمجية على لبنان المظلوم وعلى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين المحرومين لولا علم العملاء الجرمين؟ فلماذا التجاهل عن حقيقة دور الشياطين الصغار والأصغر في مثل هذه المؤامرات؟ ولماذا لا يكون «فهد» الكافر، وهو الذي يفتخر بصداقته وتحالفه مع الشياطين الصغار هو المتهم الأساس في هذا العدوان؟ وماذا على السعودية لو استخدمت نفطها كسلاح لتحطيم الصنم الأمريكي كما هو الحال في موقف الثورة الإسلامية من نفطها، علماً بأنه لا يوجد في الدول الأخرى بترولاً آخر يمكنه أن يقابل سلاح البترول الإسلامي؟ ألم تكن من نتائج ذلك أن نتخلص من العدوان الإسرائيلي وأمثاله؟.

الدور السعودي في الحرب الصليبية- الإسلامية :

بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران فقد العميل «صدام» صنوه

في العمالة، ولم تجد أمريكا أكثر من صدام مخلصاً ومنقذاً للمخطط الأمريكي الإستعماري عملاً بوصية شريكه الأكبر الشاه القبور الذي أثبت لأسياده بأن صداماً مطيع ووفي، وكيف أنه وقع على يديه يقبلها في الجزائر عام ١٩٧٥ م. وبعد أن فشلت أمريكا في كل مؤامراتها ضد الجمهورية الإسلامية الفتية في كردستان وخوزستان والمقاطعة الاقتصادية وأخيراً في صحراء طبس كما مني به أصحاب الفيل الذين جعل الله كيدهم في تضليل.. حركت أجبرها صدام ليشن حربه على الجمهورية الإسلامية مريدة بذلك أن تطفأ نور الله «ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» (١). «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون» (٢).

لقد أسفر النظام العفلي في العراق عن عدائه الحقيقي للإسلام وهذه الثورة التي أرعبت العملاء في المنطقة... فطرح نفسه مدافعاً عن العروبة التي لا ينوي بها إلا محاربة القرآن وقادة الإسلام من العلماء والمفكرين، وقد نسي التزاماته القومية مع أثيوبيا الصليبية وهي تقوم بذبح أبناء الشعب الأريتري العربي المسلم.. وأمام إسرائيل التي احتلت فلسطين العزيزة وشردت أبناءها البررة (٣).

وكيف يجراً على ذلك وهو القائل: «إن إمكانات العراق وطاقاته لم تكن مهيأة لأن توضع بالضد من الكيان الصهيوني من حيث الجغرافيا (٤)»؟ ونحن بدورنا نبارك للرفيق التكريتي هذا الزواج الكاثوليكي.

ولم يتحرك صدام بدافع القومية أمام الدم المراق الذي يسيل يومياً في لبنان... ألم تشبه عبارة صدام التي ألقاها في عدد من قادة حزب البعث

(١) سورة التوبة/آية ٣٢. (٢) سورة الصافات/آية ١٧١-١٧٣.

(٣) طالب الخرسان «حكم الإسلام في القومية» ص ٧٧.

(٤) صحيفة «الثورة» العراقية في ٢٠/١٢/١٩٧٩ م.

الصلبي الكافر» «إن أي شخص يبدي مقاومة أو معارضة أمام إرادة حزب البعث ومخططاته سوف يواجه الموت» (١) مقالته مناجم بيغن من «أنه لن يدع الفلسطينيين على قيد الحياة إذا استمرت المقاومة في جنوب لبنان...» (٢).

وبما أن رسالة إيران الثورة تدعو لتحرير فلسطين من براثن الصهاينة والاستكبار العالمي، إذن أمريكا تعتبر أول عدوها... وخير شاهد على قولنا مقالته الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد: «إننا لانستطيع أن ننسى بأن الثورة الإسلامية التي انطلقت من إيران قد بدلت إيران من دولة معادية للأمة العربية الى دولة مساندة لها. وأضاف: كيف يمكن أن ننسى رفرفة العلم الفلسطيني في سماء طهران بدلاً من العلم الإسرائيلي...» (٣).

إن ظاهرة الخميني ليست غريبة عن النضال العربي، وكذلك الثورة ليست غريبة عن الدين الإسلامي، لكن بعض المسلمين العرب اليوم هم الغريبون عن ظاهرة الخميني، كما هم غريبون عن الثورة لأنهم غريبون عن الاسلام الحقيقي...»

وأستطع دليل هو شعارها الهادف الى تحرير الأرض الفلسطينية الإسلامية وخاصة القدس...

فالجماهير المسلمة في إيران آمنت منذ اللحظة الأولى لانتصار ثورتها بشعارات والتي منها «لأشرقية، لأغربية، جمهورية إسلامية».

سئل الامام الخميني: ماذا تعني بالدولة الإسلامية؟ وماهي سياسة هذه الدولة؟ فأجاب بهدوء مذهل: إنها كالزيتونة التي وصفها القرآن لأشرقية

(١) صحيفة «الجمهورية» البعثية في ١/١/١٩٨٠م. (٢) صحيفة «بديعوت احرنوت» في ٢٧/١٢/١٩٧٩م.

(٣) في معرض حديثه لمجلة «المستقبل» نقلاً عن كتاب «جرائم صدام.. وصدام الجرائم الى أين؟؟» ص ٧.

ولاغربية.

فالثورة الإسلامية في ايران ليست خطراً على إسرائيل فحسب بل أوجدت لاسرائيل عدواً حضارياً كانت تخشاه دوماً وهو الإسلام المحمّدي، فالصراع مع إسرائيل صراع مع حضارتين، الإسلام والكفر المتمثل بأمريكا وإسرائيل كما صرح به الامام الخميني.

فبذ اللحظات الاولى لانتصار الثورة الإسلامية كان صدام وأسياده يعدّون العدة الحربية للهجوم على ايران، واشتدّ الضغط على حركة المستضعفين في كل العالم، فالسعودية قررت أن تتخذ سياسة القمع والتنكيل بحقّ كل من يفكر بالتححرر أو بالنهوض، فأسفرت عن القضاء التام على حركة التمرد في الجيش وثورة المسجد الحرام وانتفاضة المنطقة الشرقية والقطيف وغيرها. والكويت هي الأخرى شددت على كل المعارضين وعلى علماء الدين الثائرين وتعاونت مع الإرهاب البعثي العراقي في مطاردتهم وملاحقتهم. وحصل ذلك في البحرين ودبي ومسقط وغيرها.

وفي داخل العراق كان للثورة الإسلامية تأثير كبير على نفوس المؤمنين، ففي بغداد وكربلاء والنجف والكاظمية والبصرة والثورة سرت موجة شديدة من الوعي الإسلامي وخرجت مظاهرات صاخبة تطالب بقيادة الحكم الإسلامي العادل وتهتف بحياة الامام الخميني وتؤيد الثورة الإسلامية في ايران ولم يرق هذا لعملاء أمريكا المجرمين بطبيعة الحال فقابلوا تلك الروح الإسلامية بكل وحشية وضراوة ليس لها نظير في التاريخ.

ونحن نرى أن «مؤتمر الطائف» قد تأمر على الأمة الإسلامية حين تمشّي مع مزاعم صدام وكونه محقاً في حربه مع الجمهورية الإسلامية فيما يتعلق بالسيادة على الأرض والمياه، وهو بقادسيته الخرقاء امتداد لقادسية المسلمين الأوائل ... ذلك أن الخطّ الرسالي الواضح يأبى أن يكون ماجريّ ويجري على

يد العفالة والصهاينة هو نتيجة أو امتداد لذلك الخط.

إن حرب صدام والدعم اللامحدود من العملاء في المنطقة وخاصة السعودية والكويت والاردن ضد الجمهورية الاسلامية وانشغالهم عن القضية المركزية «فلسطين»، والإرتباط المشبوه مع وكالة الاستخبارات المركزية في «كامب ديفيد» وغيرها، وتسليم السادات المقبور أراضي مصر وتسليم آل سعود كلاً من الرملة واللد لإسرائيل عام ١٩٤٨م، ليس موقفاً إنسانياً على أقل تقدير، فكيف يكون إسلامياً وينتسب الى أصالة المواقف الإسلامية وأفذاذ رجالها؟.

وبعد ما بدأ العدّ التنازلي في أقول نجم الارهاب والاجرام «صدام» العفلي، نتيجةً للخسائر المتلاحقة التي منيت به قواته ابتداءً من كسر طوق الحصار العراقي عن عبادان وتحرير مدينة بستان والأراضي الشاسعة غرب دزفول وشوش إلى فكّة الحدودية، وانتهاءً بتحرير المناطق الإستراتيجية- يعني هويزة ومعسكر حميد وشملجة وكوشك- والهجوم الموفق الناجح على خرّم شهر، أدركت الدوائر الاستعمارية التي ساندت صداماً مادياً ومعنوياً في الحرب حجم الفضيحة التي لحقتها نتيجة اندحار حصانها الخشي «صدام» ومدى الهستريا والذعر الذي ألّم بها خوفاً على عملائها في المنطقة، ومصالحها المعرضة للخطر من الزوال الى الأبد بسطوع فجر الإسلام من جديد، حيث نلاحظ بعد حصار خرّم شهر أن وكالة رويتر (١) تنقل عن دبلوماسيين غربيين من لندن: «أن نتيجة الحرب في خرّم شهر ستقرر نتيجة حرب الخليج- كما يسمونها- والتي بدأت في سبتمبر أيلول ١٩٨٠م».

والنتيجة تعني حسب مفاهيم هؤلاء هو بداية النهاية للأنظمة العميلة وللمصالح الامبريالية. هذا ما نلاحظه أيضاً بعد تحرير المدينة حيث صرح

(١) التابعة للكارتل الاحتكاري الصهيوني في ٢٣/٥/١٩٨٢م.

المسؤولون الأمريكيون وعلى رأسهم وزير الخارجية «الكسندهيك» بالقول «إن الانتصار الإيراني عامل خطر وتهديد لمصالح أمريكا والغرب في الخليج» (١).

وأما أنظمة الغدر والخيانة، الكيانات الحاكمة في المنطقة، فهي الأخرى أصيبت بالذعر والخوف مما أفرزته الانتصارات الإسلامية في مسار الحرب البعثية الصليبية المفروضة على إيران الإسلام، فقد اندفعت الجهات الرسمية تدعو لوحدة الصف والتآزر مع النظام العراقي في حربه العدوانية ابتداءً من تحركات شاه الأردن المكوكة، ومواقف زميله في العمالة الحسن الثاني، وتهديدات المنبوذ حسني اللامبارك، وتصريحات وزارات المأجور قابوس، وانتهاءً باجتماعات الفسقة والمنحرفين في شبه الجزيرة العربية للبحث في سبل النجاة من المأزق الذي أوقعوا أنفسهم به جرّاء مصارعة الحق الاسلامي.

فالوقائع والأحداث تشهد بأنّ هذه الحرب هي في صالح أمريكا والصهيونية، وهو ما أشار إليها وأكدّها المسؤولون الإسرائيليون أنفسهم، حيث جاء في تصريح لـ «وايزمن» وزير الحرب الصهيوني السابق والمفاوض العنيد في معاهدة «كامب ديفيد» الخيانية «إن الحرب تخدم إسرائيل بشكل جيّد، وإنها قد خفّضت من وطأة الضغوط الموجهة ضدّ إسرائيل في الجهة الشرقية، وعليه فإن إسرائيل ستبقى شاكراً «لصدام» إعلانه الحرب على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، إذ أن تخطيط إسرائيل ليس بأفضل مما يقوم به العراق في مهاجمة إيران وإضعافها الآن» (٢).

وهذا الكلام كان بعد ثلاثة أشهر من ابتداء الحرب، ولسنا هنا في صدد

(١) وهو ما نقلته وكالة الأنباء الفرنسية مساء ٢٥/٥/١٩٨٢م من واشنطن.

(٢) نشرته صحيفة «نيوزويك» الأمريكية بتاريخ ١٢/٧/١٩٨٠م

التكلم عن حجم المساعدات الإسرائيلية لصدام ودعمها ومساندتها المبدئية له من السماح للبواخر الأجنبية بنقل الأسلحة والمعدات للعراق تحت إشراف ونظر المسؤولين الإسرائيليين وتفريغ شحناتها هذه في ميناء العقبة، هذا مثلاً، ولا عن سكوت وتجاهل إسرائيل للدعم الأردني المباشر للعراق، وتقاربها الكبير وهو ما تتخوف منه دائماً لكونها يشكّلان الجبهة الشرقية و... ولكن يهّمنا أن نعكس موقف إسرائيل في تحرير خرمشهر.

لقد جاء في الأخبار كما نقلتها وكالات الأنباء عن الاجتماعات العاجلة للكنيست الإسرائيلي في بحث التطورات الأخيرة، وتأثيرها على إسرائيل، حيث صرح المسؤولون «إن الانتصار الإيراني في تحرير خرمشهر يشكل خطراً جديداً على أمن ووجود إسرائيل» (١).

نعم هذه الحقيقة، وهي التي أفلح فيها المسؤولون الإيرانيون عندما ربطوا مصير خرمشهر بتحرير الأراضي المغتصبة في فلسطين من براثن الأوغاد الصهانية، عندما أطلقوا على عملياتهم الأخيرة إسم «طريق القدس». لقد حدا الأمر بأمريكا أن تصرّح بأن مصالحها لا تناقض مصالح العراق في المنطقة، وهي إشارة الى أذيالها في المنطقة لمساعدة العراق بأكبر قدر ممكن. فقد جاء اعلان ذلك على لسان «بريجنسكي» معقّباً على موقف النظام العراقي من المصالح الأمريكية في المنطقة: «إننا لانرى تناقضاً في المصالح العراقية- الأمريكية مطلقاً» (٢).

إثر ذلك انهالت على النظام البعثي المساعدات من كل حذب وصوب وكل على قدره- إن لم نقا، أكثر- لتعيد روح الحياة إليه سيّما وأنه يعاني من سكرات

(١) ومنهم وزير الخارجية الإسرائيلي يوم ٢٦/٥/١٩٨٢م. نقلته صحف «دافار» و«هآرتس»

و«بديعوت أحرنوت» الإسرائيلية في ٢٧/٥/١٩٨٢م.

(٢) صحيفة «نيوزويك» الأمريكية بتاريخ ١٠/١٢/١٩٨٠م.

الموت.

فقد كتبت صحيفه «نيويورك تايمز» الأمريكية نقلاً عن مسؤولي الحكومة الأمريكية «إن دراسات مجلس الأمن القومي الأمريكي للأوضاع الداخلية للنظام البعثي قد أظهرت حاجة هذا النظام الى المساعدات المالية الكبيرة لإعادة المعنويات الى قواته وإصلاح الحالة الاقتصادية المتأزمة والتي نتجت عن الحرب. وأضافت- أن حكومة ريغان طلبت من حكومات المنطقة زيادة مساعدتها للنظام البعثي وذلك لأن حكومة ريغان قلقة جداً من هزيمة النظام البعثي في حربه ضد الجمهورية الإسلامية، ولن تحتب السعودية وأنظمة الخليج وبعض الدول الاخرى آمال أمريكا، وقد كانت السعودية على رأس قافلة المساندين للنظام البعثي» (١).

كشفت صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور» الأمريكية عن تورط سعودي جديد في دعم نظام صدام التكريتي في الحرب ضد الجمهورية الإسلامية. إذ أشارت الصحيفة إلى اتفاق سعودي- سوفياتي «يقضي بإرسال موسكو السلاح الى العراق مقابل أموال سعودية.

وقدّرت الصحيفة الأمريكية قيمة هذا الاتفاق وهذه الصفقة بمليارين الى ثلاثة مليارات دولاراً. ولم تحدّد الصحيفة المذكورة تاريخ ومكان عقد هذه الصفقة (٢).

فالسعودية تكسر احتكار السلاح من المعسكر الشيوعي. وهذه المرة من بولندا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا، والسبب هو تزويد النظام البعثي الصليبي بالأسلحة الثقيلة التي يحتاجها للحرب المستنزفة مع الجمهورية الإسلامية

(١) مجلة «الصحة الإسلامية» العدد الثاني ذي القعدة ١٤٠٥ هـ السنة الأولى مقال بعنوان «السعودية والعراق تكاتف ضد السقوط» بقلم السيد طالب الخرسان.

(٢) مجلة «الشهيد» العدد ١٨٦ السنة التاسعة الأربعاء ١٤- رمضان ١٤٠٧ هـ. ١٣/٥/١٩٨٧ ص ١٦.

الإيرانية. والمبلغ عدة مليارات من الدولارات (١).

فبولندا في أزمة اقتصادية خانقة، لن تتردد لمواجهتها في إرسال فائض سلاحها الثقيل في هذه الأيام العجاف مقابل مليارين من الدولارات، تشتري بهما القمح والمواد الغذائية.

وبلغاريا صلة الوصل الدائمة بين الاتحاد السوفياتي وكل بلد عربي يصعد في علاقاته معه أو يتراجع بها، وهي في هذه الأيام تتوج جهودها التي بذلتها وشهدت على أرضها لقاءات ولقاءات بين العراق والاتحاد السوفياتي، وبين حزب البعث العفلي والحزب الشيوعي العراقيين.

أما تشيكوسلوفاكيا فهي تستعيد دوراً لها مضى مع أول صفقة أسلحة عقدها جمال عبدالناصر مع الاتحاد السوفياتي عام ١٩٥٥م، يوم كسر احتكار السلاح الغربي.

هذا عن الذي باع، فإذا عن المشتري «المملكة السعودية» إنها مستعدة للوصول الى الشيطان من أجل استمرار الحرب بين الشعبين المسلمين في العراق وايران، فهذه هي فرصتها التاريخية، لكي تفرض سيطرتها على «مسكينات» الدول النفطية الصغيرة بجانبها.

وإذا كانت الشيوعية هي «بعبع» المملكة السعودية حسب دستورها العرفي فإن انتصار الإسلام هو خطر أشد على آل سعود. لماذا؟ لأن التهديد الشيوعي يسمح لها باستدراة العطف من الكثيرين، وأما اكتشاف زيف إسلامها فهي النهاية الفعلية التي يرتاح لها الرساليون الإسلاميون.

فإذا بقي لأسرة (آل سعود)، بعد أن دفعت أموال المسلمين لشراء أسلحة شيوعية، لتسفك دماء العراقيين والاييرانيين المسلمين على حدّ سواء؟

(١) صحيفة «البراسيون» في ٢١/١٠/١٩٨٢م.

فكما وَرَدَ عن النسرة «لعن الله صانعها وساقها وناقلها» (١). يقال عن السلاح الشيوعي لقتل النفس الإسلامية «لعن الله مشتريه ووسيطه ودافع ثمنه وناقله لأنه يستنزف المال والدم في سبيل استمرار سلطته، لاهمّ عنده إن تقاتل المسلمون، فالمهمّ عند آل سعود أن ثمن الحديد والبارود، أنهار الأحمر القاني، حتى ولو صالحوا الشيوعية التي يتغنون بمحاربتها، وحتى لو ذبح المسلمون سلاح دفع ثمنه السعوديون، وهم الذين يرفعون في النهار راية الإسلام، ويدفعون في الليل ثمن انتكاسته وحربه.

النظام السعودي وشراء الضمائر الميّنة:

يستند النظام السعودي في الحفاظ على وجوده وديمومة حكمه على حقل الإعلام إضافةً لارتكازه لقوى المخبرات والممارسات الإرهابية، وهو في هذا المجال لن يتخلف لحظة واحدة من أجل استخدام شتى الوسائل من أجل تجميل خطواته الاجرامية بحق الإنسانية، وإبراز رموز نظامه أمام الرأي العام العالمي وهم يلبسون مسوح الوداعة والأمانة وهم الذين عرفتهم البشرية أقذر الذئاب شراسةً وهمجية، وأفضل اللصوص المحترفين في نهب وسرقة ثروات المسلمين.

نعم يتظاهر النظام السعودي بمظاهر الاسلام والثورية والجهاد ضدّ إسرائيل وتحرير فلسطين والدفاع عن حقوق المسلمين وغير ذلك من النعوت والأوصاف التي حوتها سجلات السياسة الميكافيلية المستندة الى قاعدة «الغاية تبرّر الوسيلة».

فقد مجت أسباعنا من تهريج وخزعבלات وسائل الإعلام السعودية والأجنبية المتواطئة معها، وتراكمت في المزابل الخاصة للأماكن المعنية بشؤون

(١) انظر «جامع السيوطي» ج ٢ ص ١٣، وابن ماجه: كتاب الأشربة.

الفكر والقلم. تلك الأوراق التي سوّدت صحائفها بإنجازات نظام القتل في الحجاز. ولم تخجل من قرّائها عندما جعلت من طاغية آل سعود «فهد» أسطورة خيالية في شتى العلوم والمعارف الإنسانية والإسلامية تقصر عن محاكاتها العقول وأدمغة العباقرة والمصلحين...

نعم أخي المسلم: «فهد» هذا النزق الغبي استخدم كافة أدوات المؤسسات الرسمية والدعائية وما يرتبط بها من أجل الضحك على ذقون البسطاء والكذب والتزوير وتدليس الحقائق والدجل المشعوذ لوضع مساحيق التجميل بألوانها المختلفة على سواد نظامه الدموي وذلك من قبيل استخدام الوسائل الخبيرة المسموعة والرئية ودور النشر والثقافة وجمعيات الفسق والرذيلة ومكاتب شركات الطيران والخطوط الجوية السعودية والقنصليات والسفارات والبعثات التجسسية تحت ستار البعثات التعليمية والتدريسية والمهنية وغير ذلك.

ولم يكتف بذلك وهو الذي يشعر بحقارة شخصيته الوضيعة بل عمد إلى شراء الضمائر الميتة وأصحاب الأقلام المريضة والمتسولين الباحثين وراء الدرهم والدينار هنا وهناك من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية لتجديد شخصيته القبيحة ووضع رتوش الإنسانية المكرمة عليها. وفي هذا المضممار نتطرق الى الحديث بالأرقام على مدى ضآلة الأقلام المأجورة وأصحابها من الحاقدين والموتورين والمتسكعين والثمالي وراء موائد الأراذل والطغاة. تلك الأقلام الفاسدة المحررة في مجلات النهضة والرسالة وأسرتي ومرآة الأمة والمجالس الصادرة في الكويت والحوادث والدعوة والاسبوع العربي و... و... وأيضاً صحف الكذب والنفاق من أمثال الشرق الأوسط وعكاظ والمدينة السعودية والرأي العام والسياسة والأنباء الكويتية و...

لقد دفع «فهد» لهيئة تحرير المجلات المذكورة أعلاه أكثر من

(٥٠/٤٨٠/٠٠٠) (١) مليون دولاراً أمريكياً ابتداءً من الجريمة البشعة التي راح ضحيتها الحجاج المسلمون الأبرياء في مكة المكرمة يوم الجمعة السوداء ٦/ ذي الحجة الحرام/ ١٤٠٧ هـ، فقط لتمجيد صاحب العطاء وتحريف الواقع بتزويره. وأما الصحف والمجلات الإسلامية التي كانت تساند الثورة الإسلامية في إيران والتي تحلّت عن مساندتها بعد أن قبضت الدولارات السعودية فقد دفع لها «آل فهد» أكثر من (١٥) مليون دولاراً أمريكياً.

فياترى لماذا ينفق «آل سعود» هذه الأموال الطائلة المنهوبة من خزينة الشعب المسلم في الحجاز؟ ولماذا تتقبل تلك المجلات والصحف هذه السرقات وهي تعلن في أوراقها الكالحة من ألفها إلى يائها استقلالها وحصانتها؟. أليست أبواب الباطل سواء؟ والرباط مشترك بين العملاء الأقرام والصلحين المستترين بقديسية الكلمة والقلم.

ومن المناسب أن أشير إلى ماقدّمه الوفد الإعلامي السعودي الى المؤتمر الثامن لوزراء الإعلام في دول الخليج المنعقد في الرياض في الثالث من صفر ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٢ كانون الأول ١٩٧٩ م مذكرة (بشأن التنسيق لتوحيد الإجراءات لمواجهة ماينشر في بعض الصحف الخارجية ضدّ دول الخليج العربية).

وتقول المذكرة: «وحيث إن بعض الصحف والمجلات العربية والعالمية لازالت تنشر أخباراً مفسوسة ومغرضة ضدّ واحدة أو أكثر من دول الخليج العربية ورغبةً في أن يكون اتخاذ الاجراء المضاد منسّقاً وموحداً قدر الإمكان فإننا نقترح أن يقوم وزير الإعلام في المملكة العربية السعودية بوقياً باسم

(١) مجلّة «نيويورك تايمز» بتاريخ ١٩٨٧/٩/٧ م مقالة بعنوان «ما هو سرّ التحرك السعودي الجديد؟» بقلم الكاتب جون كفرن.

الجريدة أو المجلة ورقم العدد وتاريخه والموضوع أو الخبر المنشور ومواطن الطعن والإساءة لدولته الواردة فيه والإجراء الذي يقترح اتخاذه ضد الصحيفة بما يتناسب وظروف الحال ويزود إخوانه وزراء الإعلام لدول الخليج العربية بصورة من برقيته، ويقوم وزير الاعلام السعودي بالتنسيق لاتخاذ إجراء موحد لتشعر تلك الصحيفة أو المجلة بتضامن دول الخليج العربية وأن ما يؤذي أو يسيء إلى إحداها يؤثر ويؤذي باقي الدول الخليجية العربية» (١).

وهكذا فإن التنسيق الأمني الخليجي الذي تزعمه الرجعية السعودية- من أجل قمع القوى الإسلامية والوطنية والتقدمية في هذه الدول- لم يعد كافياً بل تجاوزته الى التنسيق الإعلامي بهدف ترهيب أصحاب المجلات والجرائد التي تعري وتفضح هذه النظم المتهرئة، وتكشف تأملها مع القوى الامبريالية والصهيونية ضد مصالح الأمة العربية والإسلامية.

إن هذه المذكرة تحتوي على عقلية قبلية متحجرة، تلك العقلية التي امتازها الحكام السعوديون على طول تاريخهم. وهذا الأمر يعتبر مفارقة عجيبة، إذ أن حكام السعودية لا يكتفون بمصادرة الحريات في التعبير والرأي والعقيدة للشعب الجزيري. بل يحاولون مصادرة حريات التعبير والرأي لأناس غير سعوديين، وكأن شعوب العالم خاضعة لحكم «آل سعود» الارهابيين.

الأصابع السعودية في إشعال الفتنة الطائفية:

التاريخ مرآة رقي البشر، والمؤرخ هو صاحب تلك المرآة الصافية الذي يرينا ما ينطبع عليها من الآثار التي تصور لنا عقلية أفراد ذلك الشعب أجل تصوير،

(١) نشرتها مجلة «الصحوة الإسلامية» العدد ٣ الاثنين ١٦ ذي الحجة ١٤٠٥ هـ السنة الأولى وفي زاوية خبر وتعليق «الإعلام السعودي والعقلية القبلية المتحجرة»، ومجلة «الحرية» التي تصدر في سوريا في ١٩٨٣/٥/٨ م ص ٢٠ شؤون عربية «المملكة السعودية: حرب على الصحف».

وتمثل لنا نفسيّاتهم أحسن تمثيل.

فالتاريخ هو الذي يصف لنا الأمم والشعوب، وهو الذي يقصّ علينا أخبار الماضي، وهو الذي يعطينا صورة ملموسة عمّا وصلوا إليه من الرقيّ أو السقوط، وما اتصفوا به من حيث السياسة أو الدين أو الأدب، أو غير ذلك ممّا يتحفنا به كل حين كلما استعرضنا حوادثه، أو قلبنا صفحاته.

وليس شيء أعمّ فائدة من التاريخ إذا كان المؤرخ أميناً يحدث بصدق، وينقل بروية وثبّت، ويكتب بقلم نزيه، يورد الأشياء كما هي من غير زيادة ولا نقصان.

لقد اجتمع على المؤرخ في الزمن الغابر عوامل فعالة قضت عليه أن يأتي بالحقائق هوجاء شوهاء:

١- العواطف الدينية أو قل العصبية الذميمة، فلقد شوّهت وجه الحق، وجعلت الحقائق تستشهد على مجزرة العواطف، فقد كنت ترى المؤرخ لا يسوق لنا قضية إلا إذا كان شاهداً على رأيه، ولا يأتينا بشيء إلا ما كان مدعماً ومؤيداً لمذهبه، فهو إذاً لا يبحث عن صحة السند، وإنما يبحث عمّا يوافق ميوله، ويتمشى مع رغباته. فهو دائماً يستغلّ القصص، وينتحل الأحاديث إذا ما أعوزه الأمر.

٢- لما رأى بنو أمية وملوك بني العباس أن ليس لهم مميزات ترفع منزلتهم بين الناس - كما لبني هاشم رهط النبي (ص) وأولى الناس بالخلافة من بعده - أكثروا العطاء عندئذٍ للشعراء، وحملوا كثيراً من علماء السوء - بما بذلوا لهم من الأصفر الرّنان - على مدحهم، ووضع الأحاديث فيمن يحبّون، لتؤمن بهم العامة وليخفوا ما كانت تحويه ضمائرهم من المعتقدات الفاسدة التي ترفضها التعاليم الإسلامية الحقّة كل الرفض.

٣- عدم الوسائط الكافية لحفظ الوقائع والحوادث، فلم يكن ثمة مطابع

تقيّد الحوادث كما هو في العصر الحاضر، بل لم يكن التدوين مستعملاً إلا بعد النبي (ص)، لذلك كانوا يضطرون أن يعتمدوا على محفوظاتهم، وما وعته صدورهم، ولا يخفى ما في ذلك من المصاعب والمشاق، وما يقع فيه من الاشتباه والحيف (١).

وإنّا ما نشاهده اليوم لشاهد صدق على ما أقول، فإنك لتشاهد حادثة ويشاهدها غيرك، فتنقلها بصورة ثم بنقلها الغير بصورة أخرى، وهكذا إلى أن تتناقض الصور وتكون كل منها صورة برأسها.

فهذه عوامل ومؤثرات قد ذهبت برونق التاريخ، وجعلت أفقه مغبراً، وصفحته سوداء حتى انسدت الطرق بوجه الباحث، وكاد لا يميز بين الصحيح والسقيم.

ولا أخالي مبالغاً إن قلت: لو غربلنا التاريخ الإسلامي القديم ووضعناه على محك النقد لبقى بين أيدينا النزر اليسير. والذي يهون الخطب قيام بعض الغيارى من الباحثين الذين أخذوا على عاتقهم نقد التاريخ وتقليه الأحاديث، فإنهم هم الذين مهّدوا لنا الطرق ووضعوا لنا قواعد مرعية استطعنا بواسطتها معرفة الصحيح من السقيم والقوي من الضعيف.

هذه هي حالة التاريخ في العصر الغابر ما عرفت من الغموض، والخبط والخلط، وأمّا في العصر الحاضر فليس ثمّة ما يدعو إلى ذلك فقد كثرت فيه المطابع، وسطعت الحقائق، كما وأن الانسان قد خرج من عصر الظلم والجور الى عصر النور، يستنشق أريج الحرية الفياح، ويستعرض نسמתها العذبة، وقد منح حرية الرأي والتفكير، فهو يكتب ما يوحى إليه ضميره، ويبرز ما يؤدي إليه فكره كما يشاء أو يشاء له الحق من غير أن يسيطر على قلمه مسيطر، أو يعترض

(١) محمد صادق الصدر «الشيعة» طبع بغداد سنة ١٣٥٢ هـ.

طريقه معترض. ولكن بالرغم من ذلك كله تجد الليلة أخت البارحة، فإنك ترى الكاتبين- وهم في هذا العصر- يرتأون ما ارتأى أولئك، يفكرون بما يفكرون، ويتذوقون ما يتذوقون كأنها حلت أرواح أولئك في أجسادهم، وتقمصت في أثوابهم فقيدت أفكارهم بسلاسل الجمود بالرغم مما يتظاهرون به من الحرية في البحث، والتحلل من تلك القيود، والتملص من هاتيك الأغلال التي لا تزال في أعناقهم. بل زاد الكاتبون اليوم على أسلافهم، فإنك لتراهم يفاجئوننا بين كل آونة وأخرى بآراء ونظريات لا يعرفها جهابذة التعصب في تلك الأعصر المظلمة، فهم يزرقون سمومهم القتالة بين طيات أبحاثهم التي صبغوها بلون من العلم والفلسفة، ويضعون بين يديك نظرياتهم ونتائج أفكارهم كأنها حقائق تاريخية راهنة، وكأنها كتبت مجردة عن كل عاطفة، ويسوقون لك القضايا السامة كأنها قضايا مسلمة اجتمعت عليها الآراء، وتضافت على الأخذ بها يد التسليم.

ففي مثل هذه الظروف الأئمة، تجتد السعودية طاقاتها وإمكاناتها ومطبوعاتها في سبيل محاربة التشيع فقط!!

فقد صدر- بعد الثورة الاسلامية المباركة في ايران- كتاب اسمه: «وجاء دور المجوس»!!! وانك ترى «إحسان إلهي ظهير» الكاتب الوهابي يصدر حكمه في كتابه «الشيعية والتشيع» على الشيعة بالكفر. وترى محب الدين الخطيب صاحب «الخطوط العريضة» و«أبوسفيان» يسقط الايمان من حسابها، وترى أحمد أمين صاحب كتاب «فجر الاسلام» والرافعي وإبراهيم السليمان الجهيمان كاتب مجلة «الدعوة» السعودية والندوي الهندي والقصبي و.. و.. يضربون على هذا الوتر. فهم يخرجون لنا نظرياتهم وآراءهم حول الشيعة باسم الفلسفة الحديثة، وباسم التحيص في البحث.

ولاغربة إذا ماشاهدنا «إحسان إلهي ظهير» المرتزق الوهابي ومن رأى رأيه

يخرجون لنا أمثال هذه النظريات الفاسدة، مادام أسلافهم قد مهّدوا لهم هذه الطرق، وعبدوا لهم هاتيك السبل التي أُسّست للقضاء على الشيعة ومعتقداتها، ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون.

ترى أي جنائية بحقّ الله ورسوله يقدم عليها «إحسان إلهي ظهير» عندما يدعي أن عقيدة الشيعة الواقعية ليست مذكورة في كتب العقائد!! وكتب العقائد الشيعية هي كتب إعلامية دعائية للشيعة!! ماذا سيقول هذا الوهابي الحاقد لربه غدًا؟ إن الله وإنّا إليه راجعون.

الكلمات كم هي سهلة ويسيرة على لسان «إحسان إلهي ظهير» و«الندوي الهندي» و«الخطيب» و«إبراهيم الجهمان»، وغيرهم من أعضاء المحافل الماسونية في حين أنها مسؤولة خطيرة في ميزان الله ورسوله، وأمانة كبيرة في معيار الإسلام وأخلاقه. لست أدري هل راجع المدعو «إحسان إلهي ظهير» نفسه عندما تلقّظ بهذه العبارة النابية الوقحة التي لا يقرّها مسلم ملتزم..؟! أم هي نفثات حقد وهابيّ يهوديّ دفين أراد الكاتب المرتزق أن ينقّس بها عن تصوّر خاصّ يحتفظ به في أعماقه إزاء هذه الطائفة من الأمة الإسلامية؟!..

لقد طغى «إحسان الوهابي» في تهكّمه على الشيعة، وحقيقي أن كلماته تلك ليست من بنات أفكاره، بل هي كلمات ابن حجر وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وأحمد أمين والرافعي والشيخ نوح التي قد انخدع بها هو وغيره ممّن يقولون: إنّنا وجدنا آباءنا على أمة ونحن على آثارهم مقتدون. وكأنّ كتب الشيعة في جحر الأفاعي لا يستطيع الباحث الوصول إليها، أو كأنّ على بصره غشاوة كيف ساغ له الخضوع الى الأوهام؟ وكُتب الحديث بأجمعها تذكر ما بشر به النبي (ص) شيعة علي (ع) منها:

- ١- في تفسير الطبري: «إن علياً وشيعته هم خير البرية» (١).
 - ٢- في كنوز الحقائق: «إن علياً وشيعته هم الفائزون» (٢).
 - ٣- وفي الصواعق المحرقة: «قال أمير المؤمنين: قال خليلي (ص): يا علي إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين» (٣).
 - ٤- وأخرج الإمام أحمد في المناقب أنه (ص) قال لعلي (ع): «أما ترضى أنك معي في الجنة، والحسن والحسين (ع) وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن أيمننا وشمالنا» (٤).
 - ٥- وأخرج الديلمي: «يا علي غفر لك ولذريتك، وولدك، ولأهلك، ولشيعتك، ولحبيي شيعتك، فابشر فإنك الأنزع البطين» (٥).
- وكأنه ليس في العالم الإسلامي مشكلة سوى التشيع!! يقول الشيخ محمدجواد مغنية- رحمه الله- أحد كبار الكتاب المعاصرين وأكثر علماء الشيعة إنتاجاً في العصر الحاضر؛ مع غزارة مادة، وسلاسة أسلوب، وكثرة نفع التأليف:- كل شيء تطور إلا الكتابة عن الشيعة، ولكل بداية نهاية إلا الافتراء على الشيعة، ولكل حكم مصدره ودليله إلا الأحكام على الشيعة!.. ولماذا؟ هل الشيعة فوضويون ومشاغبون يُعَكِّرون صفوة الناس وأمنهم؟!..
- الجواب: إن منبع البلية هو كما يقول العلامة الشيخ محمدحسين آل كاشف الغطاء (رحمه الله): إن القوم الذين يكتبون عن الشيعة يأخذون في الغالب مذهب الشيعة وأحوالهم عن ابن خلدون البربري الذي يكتب وهو في أفريقيا وأقصى الغرب عن الشيعة في العراق وأقصى المشرق، أو عن أحمد بن عبد ربّه

(١) تفسير الطبري: ج ٣ ص ١٧١. (٢) كنوز الحقائق: ص ٨٢. (٣) الصواعق المحرقة: ص ٩٢. (٤) نفس المصدر: ص ٩٦. (٥) الصواعق المحرقة: ص ٩٦.

الأندلسي وأمثالهم، فإذا أراد كتبة العصر أن يتضلّعوا ويتوسّعوا في معرفة الشيعة رجعوا الى كتبة الغربيين وكتبة الأجانب كالاستاذ «ولهوسن» أو الاستاذ «دوزي» و أمثالهما، وهناك الحجّة القاطعة والقول الفصل. أما الرجوع إلى كتب الشيعة وعلمائهم فذاك مما لا يخطر على بال أحدهم، ولكن الشيعة الذي هو على بيّنة من أمره، وحقيقة مذهبه إذا نظر إلى ما يكتبه حملة الأقلام في هذه الأيام عن الشيعة وعقائدها وجدها من نط النادرة التي يحدثنا بها الراغب الاصفهاني في كتابه المعروف بـ «المحاضرات» قال: ما يخطر ببالي سئل رجل كان يشهد على آخر بالكفر عند جعفر بن سليمان فقال: إنه خارجي معتزلي ناصبي حروري جبري رافضي يشتم علي بن الخطاب، وعمر بن أبي قحافة، وعثمان بن أبي طالب، وأبا بكر بن عفان، ويشتم الحجاج الذي هو والى الكوفة لأبي سفيان وحارب الحسين بن معاوية يوم القطايف- أي يوم الطائف أو يوم الطف- فقال له جعفر بن سليمان: قاتلك الله! ما أدري على أي شيء أحسدك؟ أعلى علمك بالأنساب أم بالأديان أم بالمقالات!! (١)

ويورد المؤرخ السعودي في مروجه نادرة كهذه: «قال: قال لي رجل من أهل العلم سألتني ذات يوم بعض العامة- كم تطنبون في فلان وفلان؟ فقلت له: ماتقول أنت؟ قال: من تريد؟ قلت: علياً ما تقول فيه؟ قال: أليس هو أبوفاطمة امرأة النبي (ع) بنت عائشة أخت معاوية. قلت: فما كانت قصة علي؟ قال: قتل في غزاة حنين مع النبي» (٢).

لقد أطلعت في بحوثي على كثير من الغث والسمين، ولكن من حسن الحظ وقفت على مقدمة لكتاب عقائدي كتبها أحد العلماء الأعلام والمربين الكرام

(١) محمد حسين كاشف الغطاء «أصل الشيعة وأصولها» ص ١٠٥ و ١٠٦.

(٢) السعودي «مروج الذهب» ج ٢ ص ٧٣.

وهو الاستاذ حامد حفي داود المشرف على الدراسات الإسلامية بجامعة «عليكرة» بالهند، فسّرني تجربته عن العواطف، وآمنت بعد ذلك أن هناك كتاباً موضوعيين، بعد أن كدت أن لاأصدق بوجود أمثاله لكثرة ما اطلعت عليه من مفارقات في كتابات الكثيرين من المتقدمين والمحدثين.

يقول الاستاذ حامد في مقدمته للكتاب العقائدي الإمامي: «يخطئ كثيراً من يدعي أنه يستطيع أن يقف على عقائد الشيعة الإمامية وعلومهم وآدابهم ممّا كتبه عنهم الخصوم، مهما بلغ هؤلاء الخصوم من العلم والإحاطة، ومهما أحرزوا من الأمانة العلمية في نقل النصوص والتعليق عليها بأسلوب نزيه بعيد عن التعصب الأعمى».

أقول ذلك جازماً بصحة ما ادعى بعد أن قضيت رداً طويلاً من الزمن أدرس فيه عقائد الأئمة الاثني عشر بخاصة وعقائد الشيعة بعامة، ممّا خرجت من هذه الدراسة الطويلة التي قضيتها متصفحاً في كتب المؤرخين والنقاد من أهل السنة بشيء ذي بال. وما زادني اشتياقاً إلى هذه الدراسة، وميلي الشديد في الوقوف على دقائقها إلا بعداً عنها، وخروجاً عما أردت من الوصول على حقائقها، ذلك لأنها دراسة بتراء أحلت نفسي فيها على كتب الخصوم لهذا المذهب، وهو الذي يمثل شطر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن ثمّ- اضطررت- بحكم ميلي الشديد إلى طلب الحقيقة حيث كانت والحكمة حيث وجدت والحكمة ضالة المؤمن- أن ادير دفة دراستي العلمية لمذهب الأئمة الاثني عشر إلى الناحية الأخرى، تلك هي دراسة هذا المذهب في كتب أربابه، وأن أتعرف عقائد القوم ممّا كتبه شيوخهم والباحثون المحققون من علمائهم وجهابذتهم، ومن البديهي أن رجال المذاهب أشدّ معرفة لمذهبهم من معرفة الخصوم به مهما بلغ أولئك الخصوم من الفصاحة والبلاغة أو اوتوا حظاً من اللسن والإبانة عما في النفس، وفضلاً عن ذلك فإن

الأمانة العلمية التي هي من أوائل أسس المنهج العلمي الحديث، وهو المنهج الذي اخترته وجعلته دستوري في أبحاثي ومؤلفاتي حين أحاول الكشف عن الحقائق المادية والروحية.

هذه الأمانة المذكورة تقتضي التثبت التام في نقل النصوص والدراسة الفاحصة لها فكيف لباحث بالغاً مبالغ من المهارة العلمية والفراسة التامة في ادراك الحقائق أن يتحقق من صحة النصوص المتعلقة بالشيعة والتشيع من غير مصادرهم؟ إذاً لارتاب في بحثه العلمي على غير أساس متين. ذلك ما دعاني أن أتوسع في دراسة الشيعة والتشيع في كتب الشيعة أنفسهم، وأن أتعرف على عقائد القوم نقلاً عما كتبوه بأيديهم وانطلقت به أسنتهم لا زيادة ولا نقص حتى لا أقع في الإلتباس الذي وقع فيه غيري من المؤرخين والنقاد حين قصدوا للحكم على الشيعة والتشيع، وأنّ الباحث الذي يريد أن يدرس مجموعة مامن الحقائق من غير مصادرهما ومظانها الأصلية إنما يسلك شططاً ويفعل عبثاً ليس هو من العلم ولا من العلم في شيء.

ومثل هذا ما وقع فيه الدكتور أحمد أمين حين تعرض لمذهب الشيعة في كتبه، فقد حاول هذا العالم أن يجلي للمثقفين بعضاً من جوانب ذلك المذهب فورّط نفسه في كثير من المباحث الشيوعية كقوله: إن اليهودية ظهرت في التشيع. وقوله: بتتبعيتهم لعبد الله بن سبأ. وغير هذا من المباحث التي ثبت بطلانها وبراءة الشيعة منها، وتصدّى لها علماء وهم بالنقد والتجريح، وفصل الحديث فيها العلامة محمد حسين آل كاشف الغطاء في كتابه «أصل الشيعة وأصولها» (١).

يروى أنّ بغداد في زمن العثمانيين كانت تعيش حرباً طائفية بين السنة

(١) المظفر «عقائد الإمامية» الطبعة الثالثة ١٩٦٨م النجف الأشرف - المقدمة.

والشيعة، ويروى أيضاً أن الحرب الطائفية فيها كانت تشتد وتستعر بعد كل تملل جماهيري إسلامي ضد استغلال الولاة من آل عثمان لأبناء العراق الأوفياء لتاريخهم القيادي في تركيز لواء الإسلام على أرجاء المعمورة آنذاك .

في الوهلة الأولى يخيل للإنسان أن الحرب الطائفية كانت فقط نتيجة التخلف الثقافي بعد النكسة الحضارية التي منيت بها عاصمة العلم بغداد، أو أنها ناتجة لخلاف عفوي بين جاهلين من جهلة السنة والشيعة. لكن الحقيقة غير هذا، فقد تبين بعد زمن طويل وبعد أن خلفت الحرب الطائفية الملعونة آلاف القتلى والثكالي والأيتام ودمرت عشرات المكتبات الضخمة النادرة التي كانت تحتوي على كتب فريدة صرف عليها الآباء الأفاضل أعمارهم المباركة، تبين بعد كل هذا وغيره كثير.

إن كل ذلك من نسج الطواغيت الولاة فإنهم كانوا يرسلون عملاءهم تحت جنح الظلام ليكتبوا على أبواب مساجد الله سبحانه في المناطق التي كان يرتادها السنة عبارات لا يستسيغونها، وكانت تكتب أيضاً على أبواب المساجد التي كان يرتادها الشيعة عبارات لاتليق بهم، بالإضافة الى بعض المقدمات كي يستحكم الخلاف وتقع الواقعة. عند ذلك يوم الوالي بأوامر من الباب العالي في التدخل لإصلاح شؤون المسلمين وتضميد جراحهم وكأنه لا علم له بكل ما حدث.

ويعيد التاريخ نفسه علينا ليطلع علينا «آل سعود» وأضرابهم من فسقة القرن العشرين ومجموعة من وعاظ السلاطين بلباس الدين والاسلام ليتباكوا على السنة وحقوقهم المغصوبة في ايران، فسألة النقشبندي اعتبرت فرصة سانحة لفتح باب من الحرب المضادة على الجمهورية الاسلامية، فالرجل صوفي سني ومسألة (شيعة- سنة) هي الاطار المناسب لأهداف القوى الإستعمارية الآن ولذا فقد أسرع أمير طاهري الصحفي السابق في «إطلاعات» الإيرانية في زمن

الشاه والذي يعمل الآن في «المجلة» السعودية و«الصنداي تايمز» والذي كان معروفاً تماماً بعلاقته الوثيقة بدوائر السافاك التي كانت تسلمه المقالات الجاهزة لنشرها في الصحيفة، أسرع طاهري الى مقابلة النقشبندي وأسّرت مجلة «المجلة» السعودية الى أفراد صفحتين للمقابلة، والغريب أن ماقصده طاهري من المقابلة كان إثارة الشيعة والسنة. وقضية النقشبندي واضحة لا تحتاج الى مزيد من الاهتمام، ولكن القضية الأهم هي مسألة الشيخ الكردي السّتي احمد مفتي زاده الذي أعلن قائمة بالمطالب للحكومة الإسلامية معطياً إياها مهلة (١٥) يوماً للجابة، وكان من هذه المطالب إنشاء جامعة في «سنندج» تحت إشرافه وعدة مشاريع ثقافية وعمرانية تحتاج الى سنوات للاعداد لها فما بالك بإنشائها. وبناءً على طلب الشيخ احمد وقّرت له الحكومة منزلاً في «كرمانشاه» وصرفت رواتب لأتباعه المتفرغين وكان له كامل الحرية في الاتصال بجماعته بكردستان أو أن يحضروا إليه في أي وقت، فيما قوافل «جهاد البناء» مستمرة في الوصول الى القرى بغير سلاح إلاّ الجرات وأدوات البناء لمساعدة المنطقة المحرومة على النهوض، وكل يوم يسقط من شباب «جهاد البناء» العديد من شهداء معركة النهضة الحضارية الإسلامية في كردستان.

ولكن الأمور لم تستمر على ماهي عليه مع الشيخ مفتي زاده ففجأة عاود همهمات وحديث عن مطالب جديدة، وبدأ أن هناك اتصالات في الخفاء للترتيب لشيء ما، وإذا بالشيخ يعلن أنه دعا بعض العلماء السنة من سنندج وبلوچستان وترکمانستان (من عشرين الى ثلاثين) إضافة إلى حوالي (٢٠٠-٣٠٠) من أتباعه الى اجتماع في منزله بكرمانشاه، ولم يأخذ تصريحاً من الحكومة لعقد الاجتماع بل ان قائد الحرس ومحافظ کرمانشاه نصحوه بان لايفعل مثل ذلك ولكنه رفض طلبهم وأصرّ على عمله. وفي الاجتماع تلا بياناً شديد اللهجة

مطالباً بمجلس شورى جديد يتقاسمه الشيعة والسنة بالتساوي وتعديلات في الدستور وتغيير الأذان في كل أنحاء البلاد يرفع «أشهد أن علياً ولي الله» من الأذان ومهدداً في بيانه باستخدام السلاح ضد الحكومة إن لم تنفذ المطالب فوراً. وقد اعترف بعض أعوان الشيخ مفتي زاده بتلقيهم أموالاً في السعودية وأن المسألة كانت أكبر حتى مما تصوّره الشيخ الذي اندفع تحت ضغط السعودية وعدم تحليّهِ بروح الحكمة والتدقيق في عمل أقلّ ما يوصف به أنه خروج على الحكومة الاسلامية (١).

وعن المذ الشيعي (الخطر) المحتمل المهدّد لإسلامهم (الأمريكي الصهيوني) وقد استأجروا مرتزقة الصحافة والكتاب لذلك. وهذه باكستان العملاقة يُستغلّ فقرها ووضعها الخاص ويستأجر ضعفاء الإيمان فيها لتضرب العمق الإسلامي بالطائفية البغيضة.

أخذ آل سعود يثرون الفتن الوهابية بين أبناء السنة والشيعة ويهدمون مساجد أبناء الشيعة، ولا يقبلون شهادة شيعي ولا صلاته ولا صيامه ولا يصلّون عليه إذا مات ولا يصلّون خلفه ولا يشربون من الماء الذي يشرب منه ولا يأكلون من طعامه، بينما يبيح تجار دينهم طعام المستعمرين الانكليز والأمريكان وإسرائيل التي تمتلئ قصورهم بأطعمتها (٢).

إننا لانريد أن ندخل في سيرة آل سعود الملوك الطغاة وليس من شأننا هنا التعرض لكل جرائمهم وبوائقهم. فإنك كيف قلبتهم انبعثت منهم رائحة الظلم والجور، وإن واحدة من بوائقهم تكفي لإخراجهم عن ربة الإيمان وتدخلهم في زمرة الكافرين الملحدين.

(١) للمزيد راجع مجلة «الطلعة الإسلامية» العدد ٢ التي تصدر عن المركز الاسلامي للدراسات والنشر-لندن.

(٢) م. ص «آل سعود من أين؟ وإلى أين؟» ص ٣٣ إشمال السعوديين الفتن الطائفية.

ففهد السعودي هو من البداية وحتى النهاية صاحب القرار الحقيقي لما اصطلح البعض على تسميته بـ «حرب المحيّمات»! هنا لابدّ من التوقف قليلاً أمام هدف الحرب، فمن غير المنطقي النظر الى هذه المجازر المتلاحقة التي يتعرض لها الشعبين الفلسطيني واللبناني على أنها وليدة هواية لدى البعض أو نزوة لدى البعض الآخر.

إن ما يتعرض له الفلسطينيون واللبنانيون ناجم عن مواقف وسياسات ومخططات وحسابات، أساسها أن النظام السعودي تولى بعد الغزو الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢م ملاحقة الفلسطينيين واللبنانيين وتشتيتهم في منافي عربية ومختلفة وبعيدة عن فلسطين ولبنان، على أن يتواكب ذلك مع حملة تصفية سياسية تشترك فيها أكثر من جهة عربية، ويسهل بالتالي التقدم بمساعي التسوية التصفوية على اختلاف أسمائها وهوياتها، سواء عن طريق تطوير «كامب ديفيد»، أو تنفيذ مشروع «ريغان»، أو مشروع «فهد»، أو السير قدماً بالمشروع الصهيوني الأساسي القائم على تمزيق المنطقة كلها إلى دويلات وكيانات طائفية ومذهبية وعنصرية، سواء ما نفذته السعودية بواسطة أدواتها في القوات اللبنانية بقيادة «إيلي حبيقة» أو ما نفذته النظام السعودي بواسطة حركات محسوبة على الإسلام ومنظمة «ياسر عرفات».

لقد أكد «ريتشارد مورفي» للمسؤولين الصهبانية خلال زيارته الأخيرة الى تل أبيب أن الخيار الوحيد الأكثر فعالية لـلجُم نشاطات الثوار المسلمين في الجنوب ومؤيديهم من اللبنانيين هو الوصول الى تفاهم مع النظام السعودي حول هذه المسألة (١).

(١) صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية في ١٦/٤/١٩٨٦م مقال بعنوان «فلسفة البيت الابيض» بقلم الكاتب:

دينس ليغراس.

وقد تقدم «مارك عولدينغ» النائب الجديد لسكرتير عام الأمم المتحدة الى المسؤولين الصهانية باقتراحات محدّدة بالتنسيق مع الإدارة الأمريكية حول الدور الذي يمكن أن تلعبه «السعودية» في الجنوب اللبناني (١).

وتقول الأوساط السياسية في تل أبيب أن الحكومة الصهيونية تنتظر حالياً نتائج الصراع الذي تخوضه منظمة «ياسر عرفات» بدعم وتوجيه الحكم في السعودية ضدّ الجنوبيين، فاذا أثبتت التطورات أن منظمة فتح قادرة على حسم الوضع لصالحها أمكن التفكير جدّياً بقبول المقترحات الأمريكية وتنفيذ الخطة الأمنية الجديدة (٢).

نعم إن أمريكا وحلفاءها يتهمون الجمهورية الإسلامية في إيران ويهددون بالانتقام منها!! وهذا الاتهام لم يكن الأول من نوعه، فحيثما كانت هناك حركة إسلامية أو كان نشاط إسلامي وحيثما كانت عملية جهادية أو انتفاضة إسلامية اتهمت الجمهورية الإسلامية بذلك، حتى أنّ حركة الاضراب التي قام بها العمال المسلمون في مصانع فرنسا قالوا: إن الجمهورية الإسلامية خلفها!! وهذا أمر يدعو للسخرية.

وراحت الصحف السعودية تكتب مقالاتها حول حرب الخيّمات واعتبرت هجوم منظمة أمل على الخيّمات الفلسطينية هي بتوجيه القيادة الإيرانية باعتبار أن منظمة أمل محسوبة على الطائفة الشيعية.

إن الاسترسال للعاطفة والتمشي وراء الأغراض يدفعان الإنسان لأن ينسب لخصمه كل شيء مادام يصيب بذلك غرضه، فكم طمست من جراء هذه العاطفة معالم، وضيّعت بإزائها حقائق. وإنا لنرجع باللائمة على أمثال

(١) صحيفة «الايكونوميست» في ١٢/٤/١٩٨٦ م.

(٢) صحيفة «التايمز» في ١٤/٤/١٩٨٦ م. مقال بعنوان «خطأ السياسة الأمريكية». بقلم روبرت فسك.

هؤلاء الباحثين الذين حكموا العاطفة الدينية في محرراتهم، ولم يعطونا صورة صادقة تمثل لنا الحق بمظهره الجلي، وكأنهم لم يريدوا بما كتبوا إلا أن يقنعوا أنفسهم أو يغالطوا ضمائرهم، غير معتمدين بإدلاء الحجج الكافية التي تؤيد نظرياتهم وتوطد أحكامهم، وغير معتمدين فيما كتبوا على آراء غيرهم، ولا من شك أن الدعاوى إذا كانت هذه صفتها وهذه منزلتها في سوق السياسة لا محالة تجبه بالرد، ويكون نصيبها الإهمال في نظر المنصف الذي يمشی وراء الحق.

والدعاوى مالم يقيموا عليها بيّنات أبناؤها أدعياء ولو قدر في يوم من الأيام أن تنشر الوثائق عن الحرب اللبنانية فسوف نجد أن المبالغ التي كانت تدفع لإثارة الحرب الطائفية في لبنان للمسيحيين كانت من قبل الحكام العرب وخاصة حكام السعودية، وكان يدفع مثلها للمحسوبين على الخط الإسلامي من نفس المصادر أي حكام العرب ومنهم حكام آل سعود. فهل من وقفة أمام هذه المؤامرة التي تستهدف هويتنا الإسلامية؟

إننا نعيش اليوم في زمن يعاني فيه المسلمون من تسلط الكفار والمشرّكين والمنافقين، فلذلك لا مجال اليوم للصراعات والاختلافات فيما بيننا.

فشكلة المسلمين بأجمعهم واحدة، هي مشكلة طواغيت الأرض الذين انقضّوا على امتنا الإسلامية، وسلبوها ثرواتها المادية والمعنوية. ففي نفس الوقت الذي عملوا به على تأجيج نيران الطائفية عن طريق سفاراتهم ومستشرقهم وعملائهم ووسائل إعلامهم نراهم عملوا فيه على نشر العلمانية في عالمنا الإسلامي.

ولنردّد مع الامام الخميني حفظه الله كلمة قالها: «هناك ما هو أخطر من النعرات القومية وأسوأ منها، وهو خلق الخلافات بين أهل السنة والشيعة، ونشر الأكاذيب المثيرة للفتن والعداء بين الأخوة المسلمين.

في إطار الثورة الإسلامية لا يوجد - والله الحمد - أي اختلاف بين الطائفتين،

فالجميع يعيشون معاً متآخين متحابين. أهل السنة المنتشرون بكثرة في ايران والقاطنون مع العدد الكبير من علمائهم ومشايخهم في أطراف البلاد وأكنافها متآخون معنا، ونحن متآخون ومتساوون معهم، وهم يعارضون تلك النغمات المناققة التي يعزفها بعض الجناة المرتبطين بالصهيونية وأمريكا.

ليعلم الأخوة أهل السنة في جميع البلدان الإسلامية أن المأجورين المرتبطين بالقوى الشيطانية الكبرى لا يهدفون خيراً للإسلام والمسلمين، وعلى المسلمين أن يتبرأوا منهم ويعرضوا عن إشاعاتهم المناققة.

إنني أمد يد الأخوة الى جميع المسلمين الملتزمين في العالم، وأطلب منهم أن ينظروا الى الشيعة باعتبارهم اخوة أعزاء لهم، وبذلك نشترك جميعاً في إحباط هذه المخططات المشؤومة» (١).

فأين الأقلام المخلصة لتعرية المتاجرين بالطائفية وفضحهم وكشف المنتفعين؟ وأين الطاقات الإسلامية الهائلة للوقوف صفاً واحداً في هذا الظرف الحساس؟

أمير الوهابيين (يزيد بن معاوية):

نعم... أخي المسلم لقد أصدرت وزارة المعارف في المملكة السعودية كتاباً بعنوان «حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية». ولا يخفى على المسلم أن يزيد الخمرور ويزيد القروود هو القاتل لريحانة رسول الله (ص) سيد شباب أهل الجنة الامام الحسين بن علي عليها السلام ومعه آل الرسول (ص)، وهو الذي أباح المدينة المنورة ثلاثة أيام لما خرج عليه أهل المدينة بدافع ديني، وقال فيهم رئيسهم عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة، وقد أحسن إليه يزيد في من أحسن

(١) من بيانات الإمام الخميني الى حجاج بيت الله الحرام ١٤٠٠ هـ.

قال: «.. فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة والله لولم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً».

ويزيد هذا أيضاً: هو الذي ضرب الكعبة المعظمة بالمنجنيق، إلى غير ذلك من بوائق تلك الشجرة الملعونة، من قبيل تحويل القبلة، وتفضيل الخليفة على رسول الله والختم على أعناق الصحابة، وتغيير أوقات الصلاة، على ما ذكره الجاحظ وغيره.

لم يثر الحسين من أجل المطالبة بالخلافة فحسب، ولكنه ثار تحقيقاً لكثير من المبادئ والأهداف، فقد ثار ضد أرستقراطية البيت الأموي، واستثثار الأمويين بالخلافة دون سائر الصحابة، وضد تحويل الخلافة من الشورى والانتخاب إلى نظام ملكي وراثي يشبه النظام الكسروي الفارسي أو القيصري الروماني. كما ثار الحسين (ع) ضد خلافة يزيد بن معاوية الذي لم يكن مؤهلاً لتولي الخلافة، ولم تكن صفاته الخلقية أو خبراته السياسية تؤهله لتولي هذا المنصب الخطير، ليخلف الرسول عليه وآله الصلاة والسلام في رئاسة الدولة الإسلامية. وكان الحسين (ع) حينئذٍ هورجل الساعة وبطل الموقف، واستشهد في سبيل آرائه ومثله العليا.

وها هو سيّد الشهداء الامام الحسين (ع) يصف يزيداً في رسالة جوابية لمعاوية عندما بدأ معاوية يمهّد الامور بإقناع العراق والحجاز بالبيعة ليزيد: «وفهمت ما ذكرته عن يزيد... تريد أن توهم الناس في يزيد كأنك تصف محبوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص. وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش والحمام السبق لأتراهن والقيان ذوات المعازف

وضروب الملاهي تجده ناصراً» (١).

عارض كثير من المسلمين البيعة ليزيد بولاية العهد، فإلى جانب غضبهم من أن الخلافة أصبحت ملكية وراثية، وكأنها كسروية أو قيصرية، فقد كانت صفات يزيد وأخلاقه لا ترضي المسلمين، ولا يمكن لهم مقارنتها بما كان عليه الخلفاء الراشدون، بل معاوية نفسه. وقد اعترف معاوية بذلك، فقال: «ولن يأتيكم بعدي إلا من أنا خير منه، كما أن من قبلي كان خيراً مني» (٢).

يقول المستشرق فلهاوزن: «المأخذ الدائم الذي يؤخذ على الأمويين هو أنهم كانوا أصولاً وفروعاً. أخطر أعداء النبي (ص)، وأنهم اعتنقوا الاسلام في آخر ساعة مرغمين، ثم أفلحوا في أن يحولوا إلى أنفسهم ثمرة حكم الدين بضعف عثمان، ثم بحسن استخدام نتائج قتله، هذا، وأصلهم يفقدتهم مزية زعامة أمة محمد (ص).

ومن المحن التي بلي بها حكم الدين أنهم أصبحوا قائمين عليه. مع أنهم كانوا ومافتئوا مغتصبين لسلطانه، وقوتهم في جيشهم الذي هو على قدم الاستعداد في الشام، ولكن قوتهم لا يمكن أن تصبح حقاً» (٣).

«وفي كتاب أوائل الإشتباه أن معاوية أول من ركب بين الصفا والمروة، وأول من أعلن بشرب النبيذ والغناء، وأول من أكل الطين واستباحه، وكان على منبر رسول الله (ص) يأخذ البيعة ليزيد فأخرجت عائشة رأسها من حجرتها وقالت: صه صه هل استدعى الشيوخ بنهم البيعة؟ فقال معاوية: لا فقالت: فيمن اقتديت؟ فخجل معاوية ونزل من المنبر وحفر حفيرة لعائشة واحتال لها وألقاها فيه فأتت» (٤).

(١) ابن قتيبة «الإمامة والسياسة» ج ١ ص ١٩٥. (٢) ابن الأثير «الكامل» ج ٤ ص ٢.

(٣) تاريخ الدولة العربية: ص ٣٧٠. (٤) ابن طائوس «الطرائف» ج ٢ ص ٥٠٣.

ومعاوية هو الذي جدد في المسلمين عقيدة المشركين واليهود بالجبر لبلوغ شهوة من شهواته وهي أن يجعل الخليفة بعده ولده يزيد.

فانظر الى عقيدة الجبر هذه ما فعلت بالمسلمين إلى اليوم فقد نقضت همهم وفتكت بعزائمهم، فبقوا تحت نير المذلة «أذلة خاسئين مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان» (١).

فما وجد الأمويون فرصة التسلل الى القيادة، إلّا وأطلق أبوسفیان قوله المشهورة: «تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الصبيان للكرة، فوالذي يحلف به أبوسفیان، لاجئة ولانار» (٢) وما وجد معاوية ثقة في نفس الوليد إلّا ونقض إليه ما كان يعتلج في صدره، إذ قال له- بعد كلام طويل-: «... وهذا ابن أبي كبشة - يعني الرسول (ص)- مارضي حتى قرن اسمه باسم الله فيصاح به كل يوم خمس مرات على المآذن أشهد أن محمداً رسول الله، فأبي عمل يبق بعد هذا لا أم لك، لا والله إلّا سحقا سحقا، لا والله إلّا دفناً دفناً» (٣).

هكذا وللمرة الثانية يعتدي معاوية فيها على الرسول الأعظم (ص) عندما سنّ سب الامام علي (ع) على منابر المسلمين التي شيدت أعوادها بسيفه وجهاده حتى جعلها وصيته الوحيدة التي لم تسمح له نفسه بتجاوزها عندما ولى المغيرة بن شعبه الكوفة فقد قال له «وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك ولست تاركاً إيصاءك بخصلة: لا ترك شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي والاقصاء لهم» (٤).

(١) من كلام لفاطمة الزهراء سلام الله عليها في خطبتها في أمر فرك تصف حال العرب قبل الإسلام.

(٢) ابن الأثير «الكامل» ج ٤ ص ١٥٠.

(٣) السيوطي «تاريخ الخلفاء» ص ٨٢، وابن كثير «البداية والنهاية» ج ٨ ص ٩١ والمسعودي «مروج الذهب» ج ٣ ص ٤٥٤.

(٤) تاريخ الطبري: حوادث سنة ٥١هـ، الاصبهاني «الأغاني» ج ١٦ ص ٦٠٢.

هذه هي وصية معاوية إلى أحد عمّاله سبّ علي (ع) وجعلها ستة يتداولها بنو أمية إلا ما كان من عمر بن عبدالعزيز الذي رفع السب بعد لأي من عمر الدهر.

وخذ قول النبي (ص) المروي عن أم سلمة رضي الله عنها حيث قالت «سمعت رسول الله (ص) يقول: من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أكبه الله في نار جهنم» (١).

لأن الامام علي (ع) هو نفس رسول الله كما في الحديث النبوي الشريف وكما ينص القرآن الكريم في آية المباهلة حيث يقول: «فإن تولّوا فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم» (٢).

ولقد صحّ عن عمر بن الخطاب أنه قال لعلي (ع) يوم غدير خم: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة» (٣) وقيل له أيضاً كما يحدثنا به ابن حجر: «انه قيل لعمر إنك تصنع لعلي شيئاً لا تصنعه بأحد قال: إنه مولاي» (٤).

وهو حديث صحيح لا غمز فيه، انظر ما أمر به معاوية وما قاله الله في كتابه الكريم وما قاله النبي (ص) وما قاله عمر، واستخرج النتيجة التي ستمدح معاوية بالكفر دون غممة أو اشكال، إنك ستطلقها صريحة لا تأخذك فيها لومة لائم أو عذل حسود أو حقود.

وبعد أن استتب الأمر لمعاوية على البلاد الإسلامية في عام الجماعة أوضح للناس طبيعة حكمه في كلمته التالية: «يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتكم على

(١) ابن كثير «البداية والنهاية» ج ٨ ص ١٦٠.

(٢) آل عمران/ ٦١. راجع تفسير الزمخشري، والفخر الرازي، وصحيح مسلم، ومسنّد أحمد، والدر المنثور للسيوطي.

(٣) تفسير الرازي: ج ٣ ص ٦٣٦. (٥) ابن الأثير «النهاية» ج ٤ ص ٢٤٥.

الصلاة والزكاة والحج؟ وقد علمت أنكم تصلّون وتزكّون وتحجّون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إن كل دم أصيب في هذه مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين» (١). وما وجد يزيد مبرّراً ظاهرياً لضرب القاعدة الأساسية للرسالة والقضاء على عناصرها الأصلية إلّا وبادر الى قتل النخبة الطيبة من آل الرسول في واقعة كربلاء، ثم استهدف النخبة الباقية من أصحاب الرسول بالقتل في واقعة الحرّة، واستهدف البدرين منهم بالذات، فما أبقى على أحد منهم، وأباح المدينة المنورة ثلاثة أيام- وهي حرم الرسول (ص) والقاعدة الأساسية للرسالة- على يد قائد جيشه مسلم بن عقبة... ثم لما خلا الجو للعنصر الأموي، وما بقي من يدافع عن الرسالة أو يخشى منه ذلك، انعطف على الكعبة والقرآن، فضرب عبد الملك بن مروان الكعبة المشرفة بالمنجنيق على يد عامله الحجاج بن يوسف الثقفي. ورمى الوليد بن عبد الملك القرآن بالسهام حتى مزّقه وظهرت هذه الخطة في الكثير من تصرّجات وتصرفات قادة العنصر الأموي.

إن الذين عابوا على معاوية ويزيد وبنو أمية كثيرون من الخاصة والعامة، ونحن نعتمد فيما كتبه الثقات.

١- عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: أول من يبذل سني رجل من بني أمية يقال له يزيد (٢).

٢- وعن رسول الله (ص): إذا أريتم معاوية على منبري فاقتلوه (٣).

٣- قيل لعبد الله بن يحيى: هل تصلّي مع معاوية؟ قال: لا والله لأجد فرقاً بين الصلاة خلفه وبين الصلاة خلف امرأة يهودية حائض، ولذا لو صلّيت خلفه

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٦ ص ١٥ طبع ١٩٥٩م- دار احياء الكتب العربية.

(٢) ابن حجر «الصواعق المحرقة» ص ٩٢.

(٣) ميزان الاعتدال: ج ٢ ص ٧، وتهذيب التهذيب: ج ٥ ص ١١٠.

أعدتها (١).

٤- وقد صرح ابن حجر العسقلاني: «وكان الامام ابن أبي طالب (ع) على الحق والصواب في قتاله من قاتله في حروبه: الجمل وصفين وغيرهما» (٢).

٥- وهذا أبو حنيفة إمام المذهب يقول: ما قاتل أحد علياً إلّا وعليّ أولى بالحقّ منه، ولولا ما سار عليّ فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين (٣).

٦- وأخرج ابن الجوزي عن طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل إمام المذهب قال: «سألت أبي: ما تقول في عليّ ومعاوية؟ فأطرق رأسه ثم قال: أي شيء أقول فيها!! إعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتّش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كياداً منهم لعلي قال: فأشار بهذا إلى ما اختلقوا لمعاوية من الفضائل ممّا لأصل له» (٤).

إن دعاة الوهابية الذين يتظاهرون بالتعصب للحنابلة هم في الغالب من أشدّ الناس تعصباً لوهابيتهم، وهم في الحقيقة أحرص الناس على تحطيم المسلمين كمجتمع، والقضاء على الاسلام كفكرة، ومحو العقيدة الإسلامية من الوجود.

وأنا أجلّ مقام الإمام أحمد بن حنبل عن تلك النزعة (نزعة النصب)، كيف وهو مؤلف كتاب «فضائل الامام علي (ع)». وهو أيضاً صاحب الكلمة المعروفة التي قالها انطلاقاً من تخصّصه في فقه الحديث، وهي قوله: «مالأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثلاً لعلي رضي الله عنه» (٥)، وهو الذي قام في أهل الحديث وجعل علياً (ع) في المرتبة الرابعة.

كما أنني أجلّ غالب حنابلة عصرنا عن النصب.. فقد ثار علماء الحنابلة

(١) ابن طاووس «الطرائف» ج ٢ ص ٥٠٣. (٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج ١٢ ص ٢٤٤.

(٣) مناقب أبي حنيفة: ج ٢ ص ٨٣. (٤) ابن حجر «الصواعق المحرقة» ص ٧٦.

(٥) ابن الجوزي الحنبلي «مناقب أحمد» ص ١٦٣.

ضدّ محمد بن عبد الوهاب وحكموا بانحرافه وبطلان عقائده منذ البداية.

٧- وفيما كتبه الجاحظ قال: «فعندما استولى معاوية على الملك واستبدّ على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة غصباً قيصرياً... ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا وعلى منازل ما رتبنا حتى ردّ قضية رسول الله (ص) ردّاً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر مع اجتماع الأمة أن سميّة لم تكن لأبي سفيان فراشاً وأنه كان بها عاهراً فخرج بذلك من الفجار الى الكفار» (١)

٨- ويكفي معاوية ماجاء على لسان الحسن البصري: «أربع خصال كنّ في معاوية لولم يكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة: انتزأه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها- يعني الخلافة بغير مشورة منهم- وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً وقد قال رسول الله (ص): «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله جبراً ويل له من حجر واصحاب حجر» (٢).

٩- وأودّ أن اشير إليه في هذا الصدد ما أورده العلامة المحقق محمد أبورية حيث قال: «حسبنا ما قدّمنا من أدلّة على بيان حقيقة معاوية، وكيف كان يحكم، وما جناه حكمه الظالم على الناس وعلى الإسلام الى يوم القيامة، وكان لنا أن نجتزئ بما دون ذلك من بيان لأن كتابنا لم يفرد لتاريخ هذا الملك الباغي.

ولكننا اضطررنا إلى شيء من الاطالة والاستطراد لأنه لم يزل يوجد أناس في

عصرنا تحطب في حبله وتمارى في بغيه وظلمه وتبجح بالقول: بأن دولته كانت أعظم دولة عرفها الإسلام وإذا نهض منصف ليبين شيئاً من صحيح تاريخه تصدوا له بالشتم والسب ووصفوه بأنه شيعي، والتشيع في رأي هذه الفئة الحمقاء نزل قوم ليسوا بمسلمين» (١).

١٠- وقد أنصف العلامة بهجت أفندي صاحب كتاب «تاريخ آل محمد» حين قال: «لماذا نلعن نحن- أبناء السنة- الخوارج كحرقوص بن زهير واتباعه، ولانلعن معاوية وأتباعه كعمرو بن العاص وغيره من خواص معاوية، مع أنه لافرق بين الطائفتين في جواز السب واللعن، حيث إن المجوز لسب الخوارج ولعنهم بل الموجب لقتلهم هو خروجهم على إمام زمانهم العادل في الرعية الذي ثبتت إمامته بالإجماع وغيره.

ومن المعلوم أن نفس الملاك متحقق في معاوية وأصحابه بنحو أشد. نعم، هناك فرق واحد بين الطائفتين هو أن معاوية كان موائده منصوبة وعطاياه متدفقة، فقد كان ينفق الأموال على بعض الصحابة كأبي هريرة ونظرائه ليجعلوا الأحاديث، ويمنح الولايات لأمثال عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزيد بن أبيه وأمثالهم... في حين أن رئيس الخوارج لم يكن يملك هذه الوسائل. فما دلّ على جواز سب الخوارج ولعنهم دلّ على سب معاوية وأصحابه على حدّ سواء» (٢).

ومات معاوية وانقضى العهد والميثاق، وأصبح الحسين (ع) وجهاً لوجه أمام دوره التاريخي الذي يتحتم عليه أن يصنعه. وكان على الحسين (ع) أن ينهض بهذا الدور، لقد كانت الثورة قدره المحتوم، أما الآخرون الذين أبوا البيعة ليزيد فلم يكن لهم عند المسلمين ما للحسين من المنزلة، وعلو الشأن.

(٢) بهجت أفندي «تاريخ آل محمد» ص ٨٨.

(١) محمد أبورية «شيخ المضيرة» ص ١٩٠.

كانت ثورة الحسين (ع) السبب في انبعاث الروح الجهادية في الإنسان المسلم من جديد بعد فترة طويلة من الهمود والتسليم، فقد كانت الآفات النفسية والاجتماعية تحول بين الإنسان المسلم وبين أن يناضل عن ذاته وعن إنسانيته، فجاءت ثورة الحسين (ع) وحطمت كل حاجز نفسي واجتماعي يقف في وجه الثورة.

كان الاطار الديني الذي أحاط به الأمويون حكمهم الفاسد يحول بين الشعب وبين أن يثور، فحطمت ثورة الحسين (ع) هذا الاطار، وكشفت الحكم الاموي على حقيقته، فاذا هو حكم جاهلي لاديني ولا إنساني تجب الثورة عليه وتحطيمه.

إن ثورة أبي عبدالله (ع) كتبت بالدم والمآسي، وإن الرسالة التي لا تكتب بالدم والمأساة لا تترسخ جذورها في ضمير الناس، وقد لا تدوم أبداً، لذلك قال الرسول الأعظم (ص): «حسين مني وأنا من حسين» (١) وقال: «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة» (٢).

فلحمة كربلاء بقيت تنير درب الثائرين لأنها كانت تجسيدا لرسالة السماء، ورسالة السماء عبرت عن سمة إلهية، وعكست قانوناً كونياً تجرّها إرادة الله رغم أنف الطغاة والمتجبرين. ذلك هو قانون تكامل الإنسان وتطوره الصاعد بفعل رسالات السماء وثورات المخلصين من أتباعها.

وقيمة الثائرين ليست حينما ينتصرون وتضعف لهم الأيدي، بل حينما يختارون طريقهم وجبهتهم في حين تكون الظروف كلها معاكسة لهم. وتأتي عظمة الإمام الحسين (ع) اختياراً للثورة في مثل هذا الظروف المعاكسة له تماماً.

(١) فضائل الخمسة ج ٣: ص ٢٦٢ و ٢٦٣ عن صحيح الترمذي.

(٢) أسد الغابة، مستدرك الصحيحين، الفصول المهمة لابن الصباغ.

وهنا لابد أن يمارس الإمام الحسين (ع) مسؤوليته في صون الرسالة الإسلامية من خطر الإبادة، وعليه أن يقوم بثورة مسلحة حاسمة متبعاً أسلوب «الكفاح المسلح» سواء كانت النتيجة الموت أو النصر.

في خطبة للإمام الحسين (ع) يعطي خطة العمل لتعرض الإسلام للخطر الماحق حينما يقول: «إن رسول الله (ص) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير «ما» عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» (١).

وتم إن المخططات الأموية لم تكن تستهدف الإمام الحسين (ع) كشخص في زمان يزيد بقدر ما كانت تستهدف الإسلام كدين وكمبدأ. وهل هناك من يجهل الحسين (ع) وجاهة عند الله وعند رسول الله، وفي السماء، وفي الأرض؟

ونتذكر هنا ومضات- بكل اختصار- من ذلك، وإلا فالإمام الكامل بشخصية الحسين عليه السلام وماورد في فضله ومقامه وجاهه لا يستوعبه مجلد كبير، بل يحوجنا الأمر الى مجلدات ضخام.

(أ) منزلة الحسين (ع) عند الله تعالى: عشرات الآيات القرآنية تبجيل وثناء على الحسين (ع) نذكر منها ثلاث نماذج فقط:

آية التطهير: قال الله تعالى: «إنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» (٢) أجمع الثقات من المفسرين والمؤرخين والمحدثين على أن هذه الآية نزلت في رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين

(١) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٠٤.

(٢) سورة الأحزاب / آية ٣٣. راجع الترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٢٠٩، والطحاوي في «مشكل

الأنوار» ج ١ ص ٣٣٥، والطبري في تفسيره: ج ٢٢ ص ٧٠٦ وقال: عن أم سلمة: ومسندها ج ٦ ص ٣٠٦.

عليهم السلام.

آية المباهلة وآيات الأبرار! اتفقت كلمة المفسرين والمحدثين والمؤرخين على أن هذه الآيات نزلت في الحسين (ع) (١).

(ب) منزلة الحسين (ع) عند جدّه (ص): أمّا شأن الحسين (ع) عند جدّه الحبيب المصطفى (ص) وثناء الحديث النبوي الشريف عليه فهو كثير وكثير جداً، ونحن للتبرك بذكر النبي (ص) وحفيده (ع) نذكر بعضها.

١- قال (ص): «من أراد أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فليُنظر إلى الحسين بن علي» (٢).

٢- وقال (ص): «اللهم إني أحبه فأحبه» (٣).

٣- وقال (ص): «حسين مني وأنا من حسين»، «أحب الله من أحبّ حسيناً»، «حسين سبط من الأسباط» (٤).

٤- وقال (ص): «هذا إمام، ابن إمام، أخو إمام، أبو أئمة تسعة» (٥).

٥- وقال (ص): «فديت من فديته يا بني إبراهيم» (٦).

٦- وقال (ص) وهو يطول السجود: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني - يعني الحسين (ع) - ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته» (٧).

٧- وقال (ص): «الحسن والحسين ابناي، من أحبهما أحبني، ومن أحبني

(١) البيهقي في سننه ج ٢ ص ١٥٠، والخطيب البغدادي في تاريخه، ج ٩ ص ١٢٦، والمحَب الطبري في «دخائر العقبي» ص ٢٣، وابن الأثير في «أسد الغابة» ج ٥ ص ٥٢١ و ٥٨٩، ونستدرك الصحيحين.

(٢) صحيح الترمذي: ج ٢ ص ٢٢٠ عن يعلى بن مرة. (٣) ابن الصباغ المالكي «الفصول المهمة».

(٤) فضائل الخمسة: ج ٣ ص ٢٦٢ و ٢٦٣ عن صحيح الترمذي.

(٥) ابن الجوزي «تذكرة الخواص» ص ٢٤٥.

(٦) صحيح الترمذي، وإعلام السورى للطبرسي - فضائل السبطين - ص ٢١٩ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي.

(٧) راجع كتاب «يزيد بن معاوية» لأبي جعفر أحمد المكي.

أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضها أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار على وجهه» (١).

٨- وقال (ص): «وكيف لا احبهما وهما ریحانتاي في الدنيا أشمهما» (٢).

٩- وقال (ص): «ونعم الفارسان هما» (٣).

١٠- وقال (ص): «لقد نظرت إلى هذين الصبيين - يعني الحسن والحسين -

وهما یمشیان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما...» (٤).

أما أمير الوهابيين «يزيد بن معاوية» خبث في النسب وخبث في العقيدة وخبث في الأعمال تفاعلت وتداخلت وامتزج بعضها ببعض فكان التجسيد الخارجي في يزيد بن معاوية.

١- خبث النسب: جد كآبي سفيان، من وصفه القرآن بأنه من أئمة الكفر ومبغض الله ورسوله وأهل البيت. أب كمعاوية، من لعنه رسول الله في مواطن عديدة. وعم كيزيد بن أبي سفيان، من لعنه رسول الله وعم آخر كعتبة بن أبي سفيان، لعنه رسول الله. وجدة كهند، ذات العلم المشهورة بالزنا. وعمّة كحمامة الموعودة في القرآن بنار ذات لهب. هذه السلسلة الخبيثة أنتجت ثمرة اجتمع فيها كل ما في حلقات هذه السلسلة، فكان تلك الثمرة «يزيد بن معاوية» أو «يزيد بن السفاح» (٥).

٢- خبث العقيدة: الكفر الصريح، والاستهزاء بالوحي الإلهي، والتمسخر من أشرف الأنبياء وخير المرسلين محمد المصطفى (ص)، وتكذيب الله والقرآن والرسول. ذلك منطلق يزيد بن معاوية في قولته المشهورة:

(١) الطبرسي «إعلام الورى» فضائل السبطين ص ٢١٩ عن سلمان الفارسي.

(٢) ابن الجوزي «تذكرة الخواص» فصل: حب رسول الله الحسن والحسين.

(٣) فضائل الخمسة: ج ٣ ص ٢٦٢. (٤) الفصول المهمة لابن الصباغ.

(٥) تذكرة الخواص ص ٢٠٣: «كتاب المثالب» لأبي المنذر هشام بن عمّاد بن السائب الكلي.

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل (١)

٣- خبث الأعمال: سلسلة من الموبقات العظام والآثام الكبيرة والجرائم التي سوّدت تاريخ البشرية، وسجلت الرقم القياسي في مدى تحطيم الإسلام ودفن الإنسانية ونكران المعروف والخير.

هذه هي التي ملأت حياة يزيد من الألف الى الياء، فما أجدر يزيد أن يلقَّب بـ «أمير الوهابيين»، وإلا فلن يكون هذا اللقب، وعلى من ينطبق غيره (إلا) لمثل من الإخدر (هو) عنهم من السلالة كجده، وأبيه وعمه وجدته وعمته الخمسة الخبيثة.

إن فاجعة كربلاء قد دخلت الضمير الإسلامي آنذاك . وانفعل بها المجتمع الإسلامي بصفة عامة انفعالاً عميقاً. ولقد كان هذا كفيلاً بأن يثبت في النفس ما يدفعها الى الدفاع عن كرامتها، وأن يبعث في الروح النضالية الهامدة جذوة جديدة. وأن يرسل في الضمير الشلوة هزةً تُحييه...

١- عن ابن عباس «رض» قال: قال رسول الله (ص): «إن جبريل أخبرني أن الله عزّ وجل قتل بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين ألفاً» (٢).

٢- ويورد ابن جرير في تفسيره عن السدي قال: «لما قتل الحسين بن علي (ع) بكّت السماء عليه وبكاؤها حمرتها» (٣).

٣- ويورد الشيخ المفيد رحمه الله في (إرشاده): فما كان من ذلك اليوم الذي خطب فيه عُمر بن سعد بقتل الحسين بن علي (ع) بالمدينة سمع أهل المدينة في جوف الليل منادياً ينادي يسمعون صوته ولا يرون شخصه:

(١) طبقات ابن سعد: ج ٥ ص ٤٧، وراجع «يزيد بن معاوية» لأبي جعفر أحمد المكي.

(٢) ذخائر العقبى: ص ١٥٠.

(٣) تفسير ابن جرير: ج ٢٥ ص ٧٤٠.

أيها القاتلون جهنماً حسيناً
كل أهل السماء يدعو عليكم
أبشروا بالعذاب والتنكيل
من بني وملائك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود
وموسى وصاحب الإنجيل (١).

٤- وروى ابن حجر بسنده عن إمام لبني سليمان عن أشياخ له قال:
غزونا الروم فنزلوا في كنيسة من كنائسهم فقرأوا في حجر مكتوب:

اترجوا أمة قتلت حسيناً
شفاعة جده يوم الحساب
فسألناهم: منذكم بنيت هذه الكنيسة؟ قالوا: قبل أن يبعث نبيكم
بثلاثمائة سنة (٢).

٥- بل غضب قيصر الروم لهذه الفاجعة فكتب الى يزيد: «قتلتم نبياً أو
ابن نبي» (٣).

٦- وروى البلاذري في (أنسابه): «أنه لما قتل الحسين (ع) كتب
عبدالله بن عمر الى يزيد بن معاوية: أما بعد فقد عظمت الرزية وجلت المصيبة
وحدث في الاسلام حدث عظيم ولا يوم كيوم الحسين (٤).

٧- ولما قتل الحسين أعلن ابن الزبير الثورة، فوقف يخطب المسلمين،
فهاجم يزيد في أخلاقه وسجاياه وإقباله على الملذات والشهوات فقال: «يزيد
الخمور، ويزيد الفجور، ويزيد الفهود، ويزيد القروء، ويزيد الكلاب، ويزيد
النشوات، ويزيد الفلوات» (٥).

ثم بكى حسيناً واستبكى الناس عليه، ومدحه وأطنب في الثناء عليه،
وسب أهل الكوفة ولا مهم على تخليهم عن الحسين (ع) (٦).

لقد منح الوهابيون معاوية ويزيد رتبة الإجتهد ولقب أمير المؤمنين، في

(١) إرشاد المفيد: ص ٢٤٨. (٢) مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٩٩.

(٣) البيهقي «الحاسن والمساوي» ج ١ ص ٤٦. (٤) البلاذري «أنساب الأشراف» ج ٤ ص ٢٩.

(٥) البلاذري «أنساب الأشراف» ج ٤ ص ٣٠. (٦) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٦٤.

نفس الوقت الذي لا يخطر في بال معاوية ويزيد طيلة حياتهما أن يثبتا هذه الرتبة لنفسهما، ولكنها منحت لهما بعد موتها كالأوسمة والرتب التي تعطيها وزارة الدفاع العراقية للضباط المقتولين بعد أن لم يكونوا يحلمون بها على الإطلاق. ثم غلوا فيهما وجعلوا آراءهما حجة على الناس الى يوم القيامة، وجعلوا لهما حق التشريع في الدين، وجعلوا لهما سنناً كسنن رسول الله (ص). وما أنسب ما نحن فيه بقول الشاعر في سمية- ام زياد بن أبيه- لما استلحق معاوية ابنها زياداً بأبي سفيان؛ حيث قال:

عاشت سمية دهرأ وهي ما علمت أن ابنها من قريش في الجماهير (١)
فانظر أخي المسلم إلى أي حد وصل النصب بآل سعود والوهابيين أن قدّموا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وذريته عليهم السلام شاربي الخمر والمارقين عن الدين وقاتلي النفوس المحرمة. ونسخوا آية التطهير الواردة في القرآن الكريم الناطقة بتزنيهم من الدنس وتطهيرهم من الرجس.

فلا عجب- إذأ- أن نجد اليهود والنصارى من المستشرقين يجدون الحكم الأموي، ويزيد خاصة، كأسمى من ولي الحكم في التاريخ الإسلامي!! كما جاء ذلك في دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين.

أجل، إن آل سعود والوهابيين يسرون على غير هدى، وقد سلكوا طريقاً ظلماً مملوءاً بالحواجز والعراقيل التي تقف حجرة عثرة في سبيل وصولهم الى معرفة الله وأحكامه.

وحرّى بآل سعود والوهابيين المعتصمين بجبل يزيد وآل يزيد أن يحشروا معهم على حدّ تعبير الحديث الشريف! «يحشر المرء مع من أحب» (٢).

(١) بحوث مع أهل السنة والسلفية: ص ٣٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٣٦٦، وفي الكافي ج ٢ ص ١٢٧. عن مولانا الباقر (ع) «المرء مع من أحب».

الموقف السعودي من القضية الفلسطينية:

لآل سعود في الوقت الحاضر المصلحة العظمى في إنهاء القضية الفلسطينية التي أجادوا في استخدام ورقتها الراجحة والرائجة سنين طوال بعد أن أحكموا تشبثهم بالسلطة وبعد ما أخذ الوعي الفلسطيني شوطاً كبيراً في التحسّس لحجم المؤامرة السعودية التي تحاك باسمه ومن خلفه، رعاية للمصالح الامبريالية وخدمتها.

إن إشاعات الثورة الإسلامية في ايران اخترقت كافة الحواجز المصطنعة وعمت الآفاق وأخذت في القلوب موقعها فكان الصدى والأثر نهوض المسلمين من سباتهم بعزيمة قوية لتحقيق الأهداف المشروعة ممّا أقلق هؤلاء الطغاة وأرق مضاجعهم، فسعوا لإخماد هذا اللهيب المقدس، فاجتمعوا في «فاس» (١) كي يبيّنوا السبل والطرق في مواجهة الإنذفاع الاسلامي الجديد.

إن النظام السعودي الذي ينافق بالإسلام ماهو إلا أداة امبريالية تستخدم عند الحاجة في الظرف والمكان المناسبين لأداء الدور المرسوم الذي يوكل إليه. لقد استبانت الحقيقة المرة للجماهير المضطهدة وخاصة غير المتعلّمة منها من أن هذا الكيان السعودي الذي خدعها طويلاً وتشدق بتحقيق مصالحها المشروعة في الاستقلال والسيادة، وكذلك شعاراته الكثيرة في مناهضة الاستعمار والصهيونية. فها جاء في حصيلة قرارات مؤتمر فاس الذي انعقد بمبادرة ومساعي سعودية أثبت أن النظام السعودي وحلفاءه من الأنظمة الرجعية عملاء أجراء مخادعون مخاتلون، انتهازيون مصالحيون، هدفهم الرئيسي والنهائي إنهاء القضية الفلسطينية بقوة المال والسلاح تحت الرعاية الامبريالية.

(١) مؤتمر فاس الذي انعقد في المغرب للفترة من ١٠-١١/٩/١٩٨٢ بمبادرة سعودية.

وقد تكللت جميع المشاريع والمؤامرات الامبريالية القديمة والجديدة بالنجاح الساحق، فما خابت ولا ضاعت سدى جهود ومساعي هرتزل وابن غوريون وعبد العزيز آل سعود وبلفور ولينين ودالاس وهمرشولد وجونسون ونيكسون وبريكنيف وروجرز وكيسنجر وغيرهم ممن يدعون الرأسمالية أو الاشتراكية، فكلهم قدموا جهوداً ومساعي لإسرائيل. هذا يدفع المال والسلاح وذاك الدعم السياسي والإعلامي، وآخر بتشجيع إسرائيل بالدعم البشري المتواصل عن طريق السماح بالهجرة إليها، كلهم ارادوا لإسرائيل البقاء وللعرب المسلمين الذلّة والمهانة، نقول: تكللت تلك الجهود بالنجاح الباهر مع المكافأة الجزيلة مناطق نفوذ ومصالح وكلمات نافذة في عمق السياسة الحكومية العربية.

وأما بخصوص القيادات الفلسطينية التي شاركت في المؤتمر قد أسقط ورقة التوت التي كانت تستر بها، وأدّى إلى تعريضها أمام الجماهير من أنها أدوات ذيلية ليس لها من الرفض والاختيار وأنها بالمصادقة على تلك القرارات قد أثبتت عملياً فشلها في الاستمرار في حمل البندقية المقاتلة ومواصلة الطريق في التصدي للصهيونية، وكذلك بأنّ تخاذلها وعجزها عن مواجهة التحديات، وثبت خيانتها لسيل الدماء الكثيرة مع الأُمّ الدفين الذي شاركت الجماهير الفلسطينية المسلمة إرواءه طيلة سنيّ الجهاد المقدّس، وكذلك فشل القيادات غير الاسلامية في إثبات استغلالها السياسي، وأيضاً تنكّرها للآمال والتطلّعات الجماهيرية.

واثبت المؤتمر أيضاً عن حجم الهلع والخوف الشديد الملازم للأدْمَغَة المتحجرة من أصحاب الجلالة والسمو طواغيت الشعوب المغلوبة جراء إفرازات الثورة الإسلامية في ايران، فراحوا يضعون الخطط ويحكون المؤامرات للقضاء على روح التمرد الإسلامي الساري في أوساط شعوبها والتصدي للجمهورية الإسلامية الفتية في إيران. حيث بدأ هذا المدّ الثوري يشكل خطراً جدياً

لاعلى الكيان الصهيوني فحسب وإنما على جذوره المتمثلة في الحكومات الرجعية المرتبطة بالإستعمار.

«وقد حاول الإستعمار أن يجعل من قضية فلسطين قضية عربية ليحجّم الصراع وفق اطر ضيقة، ويتمّ من ثمّ السيطرة على المنطقة عن طريق عملاء الشرق والغرب من الأنظمة العربية وفق المعادلة الدولية.

وظنّ الاستعمار وأعدائه وعملاؤه أن المهمة قد نجحت وتمّ كل شيء ولكنهم نسوا شيئاً مهماً له أثره الفعال في الساحة وله القدرة على قلب كل الموازين والمعادلات الدولية، نسوا مايجب أن لاينسوه أبداً: (الجماهير المؤمنة)»(١).

لقد اقترحت الجمهورية الإسلامية في ايران بمناسبة يوم القدس الثالث جملةً من الأمور:

١- أن يكون يوم القدس في آخر جمعة من رمضان، تعزيزاً للمقدسات، ومناصرة للشعب الفلسطيني.

٢- الأمل أن يتكاتف الجميع مع جمهورية ايران الإسلامية لنصرة الشعب الفلسطيني بالعمل على:

(أ) تأسيس مركز عام للإنقاذ.

(ب) تنويع أغراض المركز.

(ج) الالتزام بتنفيذ القرارات.

(د) جعل الجهاد الإقتصادي- ومنه النفذ- واحداً من أهداف المركز.

(هـ) المضي في تهيئة قوات عسكرية مشتركة، أو مايسدّ فراغها.

(و) النضال ضدّ إسرائيل جنباً الى جنب مع النضال ضدّ أمريكا.

(ز) توقع النتيجة المرجوة.

٣- حربٌ صدام لنا ليست بالحرب العفوية، وإنما هي لصالح إسرائيل، وإشغالنا عن الوقوف ضدها (١).

نعم كان الأجدر بالصهاينة الذين يتحكمون على رقاب شعبنا في العراق أن يوجهوا صواريخهم «أرض- أرض» الى ديمونة وتل أبيب وإلى قواعد الطيران التي حلقت لتدمير المفاعل الذري في بغداد.

كان الأجدر أن ترسل مبالغ الدعم والمليارات السعودية الى أبناء فلسطين لتحريرها بدلاً من دعم الصليبيين في العراق.

كان الأجدر أن تتوجه جيوش المرتزقة إلى ثاني الحرمين الشريفين لكنها أرسلت لحماية إسرائيل ووجودها.

كان الأجدر بنظام آل سعود أن يعقد مؤتمراته لانتشال الشعب الفلسطيني أثناء ذبحه في لبنان بدلاً من أن تعقد للتأمر على الإسلام في إيران.

«إن الفلسطيني العربي المسلم يحرم عليه دخول دول البترول أما الإفرنجي إذا كان أوروبياً فبإمكانه أن يدخل أي بقعة من الأراضي التي تُحكم من العملاء وبدون تأشيرة لكن العربي المسلم محروم من دخول أرضه. إن القوانين الجديدة في دخول دول البترول تشجع استخدام الأوربيين بدلاً من أبناء لغتهم من العرب، فاذا تقدم إنسان عربي مسلم وإنسان صليبي كافر تعطى الأولوية للكافر!!» (٢).

هؤلاء حكام آل سعود- زنادقة هذه الأمة- القضاء عليهم واجب على كل

(١) من الخطبة العربية لسماحة الشيخ المجاهد الرفسنجاني إمام جمعة طهران المؤقت في ٢٩ رمضان

١٤٠١ هـ - ٣١ تموز ١٩٨١ م.

(٢) من رسالة الدكتور أمين الشنطي- رئيس قسم الأطفال في مستشفى رام الله في فلسطين المحتلة- الى الامام القائد، نشرته مجلة «الفتح الإسلامي» في العدد (٢٤) السنة الثالثة ١٤٠٤ هـ.

مسلم، ويعتبر أفضل جهاد وأعلى عبادة في هذا العصر.
لم يجد التاريخ لآل سعود دوراً واحداً مشرفاً في حلّ القضية إبان الاحتلال الأنكليزي ولا في حرب ١٩٤٨م ولا في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م ولا في حرب ١٩٦٧م، بل سيذكر التاريخ دورهم المخزي في إجهاض ثورة ١٩٣٦م وتحاذلهم في حرب ١٩٤٨م، وتآمرهم في حرب ١٩٦٧م. حتى أن لهم الدور الرئيسي في قضية كامب ديفيد الخيانية التي كشف السادات عن خيوطها وكيف حصل على موافقة ودعم السعودية قبل زيارته لإسرائيل.

وما مشروع فهد الأمريكي ذي الثمان نقاط إلا اعترافاً صريحاً بإسرائيل التي اغتصبت منذ سنين طوال أراضي المسلمين وقامت بمجازر جماعية في فلسطين ولبنان وأماكن أخرى، ووصلت إلى أهدافها الشريرة.. واحتفاظها بالأماكن التي احتلتها ما قبل حرب ١٩٦٧م فهذا المشروع الذي وضع في أماكن مقفلة دون الإهتمام برأي الشعب الفلسطيني المسلم سيحوّل الفلسطينيين أسراءً وعبيداً لإسرائيل. لقد أجهضت الثورة الإسلامية المباركة في إيران هذا المشروع «الفهدي- الصهيوني». وحذّرت الجميع منه واعتبرت أن نجاح المشروع يمكن إسرائيل من اخراج مكة والمدينة من أيدي المسلمين.

فلا شيء جديد يضاف الى موقف آل سعود من القضية الفلسطينية، فالحكم يؤيد التعايش السلمي مع إسرائيل والإعتراف بها كدولة واقعية ذات سيادة، والذي ترجم عملياً في مشاركة السعودية وتأييدها لما يسمى «مشروع السلام العربي» الذي هو أحد إفرازات مؤتمر قمة العملاء العرب في فاس- المغرب. وإضافة الى ذلك فنحن ننقل نماذج نبين فيها مدى عدوانية الحكم السعودي على فلسطين والشعب الفلسطيني، وتنگره للدماء المسالة طيلة سنين المقاومة من أجل أن تبقى إسرائيل وليست فلسطين.

١- كتب جون فيليبي- صانع العرش السعودي- يقول: «إن خدمات

عبدالعزیز بن سعود لبریطانیا هي التي حملت المستر «ونستون تشرشل» على التفوه بالعبارات التالية عندما اجتمع بابن السعود عام ١٩٤٥م في «أوبرج الفيوم» بعد مؤتمر يالطة إذ قال: إنه شرف عظیم وسرور مابعدہ سرور أن أجمع الى الرجل الذي برهن حقاً على أنه صديق في الشدة والضيق، وأنه لولاه ما وصل اليهود لأذنی حقوقهم».

وقال فيليبی: «وقد أبدى عبدالعزیز استعدادہ للمضي في خدمة بريطانيا، ومن الجدير بنا أن نقول، إنه في الوقت الذي عانت فيه بريطانيا وأمريكا الكثير من المتاعب لتكثيف أوضاع الشرق الأوسط لمجهودهما الحربي الطويل، كانت المملكة السعودية الدولة الوحيدة في العالم العربي التي لم تسبب للحلفاء أي قلق أو ازعاج، وقد مضى على الحكومة البريطانية نحو من عشر سنوات طويلة بين عامي (١٩١٧م-١٩٢٧م) وهي مدركة عظمة ابن سعود بالنسبة لها وأهمية آل سعود في هذه المنطقة لمصالحها ومصالح اليهود ومصالح الغرب كله» (١).

٢- ولم يمتنع ابن سعود حين طلب إليه «برسي كوكس» أن يوقع على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود «إن اعتراف عبدالعزیز جاء قبل إعلان وعد بلفور المشؤوم» بل أجابه قائلاً: «إذا كان لاعتراضي هذه الأهمية عندكم فأنا أعتز ألف مرة بإعطاء اليهود وطناً في فلسطين أو غير فلسطين، وهذا حق وواقع!!». وكتب السلطان بخط يده، يقول: «أنا السلطان عبدالعزیز بن عبدالرحمن الفيصل السعود أقرّ وأعتز ألف مرة للسیر برسي كوكس مندوب بريطانيا العظمى لامانع عندي من إعطاء فلسطين للمساكين اليهود أو غيرهم، كما ترى بريطانيا التي لا أخرج عن رأيها حتى تصبح الساعة» (٢)!! وقد وقعها عبدالعزیز بفص خاتمه!

(١) جون فيليبی «آيام عربية» ص ٢٦٢. (٢) ناصر السعيد «تاريخ آل سعود» ج ١ ص ٩٥١.

٣- كتب عبدالعزيز آل سعود الى زعيم صهيوني يقول: «كما تعلم أشعر دوماً بحق اليهود في وطن قومي يستتبون فيه ويعيشون مستقلين واني لاؤكد لك أن موقفي سيظل على ما هو عليه» (١).

٤- وكشف عبدالعزيز عن أوراقه للأصدقاء الانكليز: «لكي يعلم القاصي والداني بموقفي فأني أرسيت دعامة إسرائيل ... إني اتقدم العالم في الترحيب لشعب يستأهل الحرية والحياة ... إننا نعتز باسرائيل ونفخر بأننا كنا أول من مدّ لها يدنا وأقنعنا الأمم المتحدة بوجوب اقرار التقسيم ... إننا نوافق على إسرائيل التي عينتها الأمم المتحدة في قرارها، ونرى أنه لايجوز تعديل هذه الحدود إلا بموافقة إسرائيل، إننا نتطلع الى اليوم الذي تجلس فيه إسرائيل معنا في الأمم المتحدة. ونأخذ على عاتقنا مساعدتها في النهوض باقتصادها، ونود أن نعيد النظر في أمر حظر الأسلحة حين تهيأ لإسرائيل فرصة الدفاع عن النفس ... إنني اعاهد نفسي على شدّ أزر إسرائيل حتى تصبح بلداً كبيرة حرة مستقلة قادرة على كفاية نفسها» (٢).

٥- ولما أعلن (استقلال هذه العصابات تحت اسم إسرائيل) كانت السعودية سبّاقة على حيازة رضا هذا المولود الصغير وهي تريد حمايته من عاديّات الزمان فلم يتوان «عبدالعزیز» لبضع ساعات بل في خلال دقائق معدودة وفي أثناء إذاعة البيان أعلن اعتراف بلاده بالخلق الجديد في بلاد العرب، وسارعت الدول في حيازة أمريكا باعترافها به ككيان مستقل .
فقد كتب روبرت سان جون في كتابه «بن غوريون» يصف هذه الفترة:
وبعد انتهاء اجتماع المجلس الوطني المكوّن من ٣٧ عضواً الذي دعا إليه ابن

(١) جون بتي «الصهيونية لعبتها أمريكا». ترجمة دارالنشر للجامعيين- بيروت- ص ٩١.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٩٢.

غوريون في تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة ١٤ مايو سنة ١٩٤٨م والذي وقف فيه ابن غوريون يلقي إعلان البيان المتضمن قيام إسرائيل، اشترك عبدالعزيز سعود مع أربعة وزراء من حزب العمال في إرسال برقية الى الدكتور «حاييم وايزمان» في نيويورك يهنئونه فيها على المجهود الذي بذله والذي أدى الى قيام دولة إسرائيل «(١)».

٦- كتب الكاتب الفلسطيني «وجيه أبو ذكري» ضمن مقالة طويلة بعنوان «هكذا ضاعت فلسطين وهكذا تعود» يقول تحت عنوان «ملوك الذهب والصحراء»: يأتي الدور الخطير الثالث من أسباب هزيمتنا عن أرض فلسطين... وهودورعبدالعزیز آل سعود، فلم يكن الشعب العربي يطلب منه رجالاً أو سلاحاً... كل ما كان يرجوه أن يضغط على أصدقائه الأمريكان لكي يضغطوا بدورهم على العصابات الصهيونية، وكانت وسيلة الضغط: ذلك السلاح الرهيب الذي يملكه العرب حتى الآن ولم يحاولوا إشهارة في وجه العدو... سلاح البترول «(٢)».

٧- وفي الستينات سلّطت الأضواء- من إذاعة صوت العرب وإذاعة الثورة اليمنية في صنعاء- على يهودية آل سعود.

ولم ينكر ذلك فيصّل حيناً قال: «إن قرابة آل سعود هي قرابة سامية»! (٣). وتناقلت عدد من الصحف العربية تصريحات فيصّل بقوله: «إننا واليهود أبناء عمّ خلّص ولن نرضى بقذفهم في البحر كما يقول البعض، بل نريد التعايش معهم بسلام»!.. واستدرك يقول: «إننا واليهود ننتمي الى «سام» وتجمعنا السامية كما تعلمون إضافة الى روابط قرابة الوطن، فبلادنا منبع اليهود

(١) وولتر ايتان «السنوات العشر» ص ١١٠ و١١١.

(٢) مجلّة «آخر ساعة» العدد ١٦٣٧ الصادر في ١٨ مايو ١٩٦٦م.

(٣) من خلال تصريحاته لصحيفة «الواشنطن بوست» في ١٧ سبتمبر ١٩٦٩م.

الأول الذي منه انتشر اليهود إلى كافة أصقاع العالم» (١).
 فيم التعجب إنهم سرقوا من العجل النضار فيم التعجب واليهود هم العمومة والجوار
 ٨- خلال الحرب الاجرامية التي شتها الارهابي الصهيوني «بيغن» ضد
 الشعبين اللبناني والفلسطيني، وما أثارته من موجة عالمية عارمة من التنديد
 والاستنكار وشملت حتى المعارضة الصهيونية داخل «إسرائيل»... طلع
 علينا «فهد» ليحمل الفلسطينيين واللبنانيين مسؤولية الحرب قائلاً: «إن ما
 فعلته إسرائيل في لبنان كان رهيباً لكن الذين اتخذوا القرار بقصف
 المستوطنات الإسرائيلية بالصواريخ فعلوا كذلك شيئاً رهيباً لأنهم تسببوا في
 كل هذا الدمار لشعبهم»!!

هذه السياسة السعودية في بلادنا، حيث سهلت للغرباء اقتطاع أعز جزء
 من العالم الإسلامي (فلسطين) بانية لهم كيانا على جماجم الشهداء ودماء الأبرياء.
 ولكن الذئاب قد تفترس الشاة في ظلمة الليل وأما آثار دماؤها تبقى على
 الرمال حتى مجئ الفجر وتطلع الشمس وعندها سيشق الفلسطيني المسلم
 بسكينه قلب عدوه بدل أن يشق بمحراثه أرضه ليستنبت الزرع لأنه اكتشف
 ناب الذئب تحت جلد الحمل.

وأما أولئك الذين جاءوا يحملون لحاهم الكثة وثيابهم الرثة وآمالهم الغثة
 ليدفنها جميعاً في أرض الميعاد فلم يجدوا من ولي ولا نصير. وعندها فان الشيوخ
 التناقلة القذرين الذين يمضون السنين في قراءة الأسفار وكتابة الحجب الهائمين
 في أخيلة التوراة والذين سعدوا- الآن- بأرض إسرائيل قرب الهيكل المفقود لن
 يجدوا بدءاً من حمل أسفارهم والعودة ثانية من حيث أتوا إلى أرض (المنفى)
 فلا يطعموا في أرضنا قطعياً ولن يكون لهم فيها أبدية الاستقرار.

(١) ناصر السعيد «تاريخ آل سعود» ج ١ ص ٤٥٤. نقلاً عن صحيفة «الحياة البيرونية».

الفصل الثالث

طبيعة النظام من حيث الحكم

الذي يجب أن لا يغفل عنه الباحث أن طريقة الحكم الإسلامي غير طريقة الملكية التي تجعل مال الله فيئاً لصاحب العرش، وعباد الله أرقاء له، يفعل بهم ما يشاء، ويحكم فيهم ما يريد، وليست هي من قبل الطرق الإجتماعية ونظم الحكم المتعارفة التي وضعت وقيمت على أساس التمتع المادي كالديمقراطية وغيرها. فان بينها وبين الإسلام فروقاً بيّنة مانعة من التشابه والتماثل.

ومن أعظم هذه الفروق أن نظام الحكم السائد في الحجاز لما بني على أساس التمتع المادي فقد نفخ فيه روح الاستغلال والاستكبار الذي يجعل كل شيء تحت إرادة «آل سعود» وخاضعاً لمصلحتهم حتى ينتهي إلى استغلالهم للإنسان، ويبيح لهم في طريق الوصول إلى مآرهم والتسلط على ما يهوونه ويأملونه منه لأنفسهم فعل كل شيء. وهذا بعينه الاستبداد المملوكي في الأعصار البالغة وعلى ماهو في ذاكرتنا من أعمالهم المضبوطة في التواريخ. وأما الإسلام فطريقته في الحكم والولاية بريئة من هذه الأهواء، ودليله السيرة النبوية في فتوحاته وعهوده.

وما دامت الشورى صفة لازمة للمسلم فهي إذاً فريضة إسلامية واجبة على الحاكمين والمحكومين، ولقد أوجب الله على رسوله الكريم (ص)- وهو الذي ينزل عليه الوحي بالتشريع والتوجيه وحلّ المشكلات- أن يستشير المسلمين.

فقال جل شأنه: «وشاورهم في الأمر» (١). فأمره أمراً جازماً بأن يستشيرهم، وما أمر الله نبيه (ص) بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشورة من الفضل، وأن يحملهم على الإقتداء بالرسول (ص) وأن يرفع من أقدارهم بإشراكهم في الحكم وتعويدهم على مراقبة الحكام، وأن يحول بين الحكام والاستئثار بالحكم والتعالي على الناس.

وروي عن الرسول (ص) أنه لما نزلت «وشاورهم في الأمر» قال: «أما إن الله ورسوله لغنيان عنها- أي عن المشورة- ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن استشار منهم لم يعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غيًّا» (٢).

يقول تعالى في سورة الشورى: «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون» (٣). ومن هذه الآيات نلاحظ الآتي.

١- أن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي جاء الامر بالشورى كواحد من تعاليمه ومبادئه.

٢- أن الشورى في الإسلام جاءت مرتبطة بالعبادة وقرنت بالصلاة فقليل «وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم».

٣- أن تخصيص سورة في القرآن تسمى سورة الشورى هو نوع من التأكيد المقصود من الله تعالى لإظهار أهمية هذا المبدأ وخطره في حياة وكيان الأمة الإسلامية.

فالشورى تعني حق الشعب في انتخاب حكّامه، وحق محاسبتهم بالأجهزة النيابية والإعلامية، وحق عزهم حسب قواعد الدستور.

(١) سورة آل عمران/ آية ١٥٩.

(٢) راجع «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: ج ٤ ص ٢٤٩، وتفسير الطبري: ج ٧ ص ٢٤٦، وتفسير

ابن كثير: ج ١ ص ٤٢٠ في تفسير أحكام الشورى. (٣) سورة الشورى/ آية ٣٧.

والشورى تعني جماعية القيادة، وعدم استئثار فرد واحد اوفئة معينة أو طبقة بالحكم.

والشورى تعني التزام الحكم برأي الأغلبية.

والشورى تعني حرية الرأي السياسي، وحرية الصحافة وكل وسائل الاعلام وانعدام الرقابة.

والشورى تعني حرية تشكيل الجماعات التي هدفها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ركن من الشورى.

والشورى تعني حرية المعارضة واحترام الحاكم لها.

وقد طبق الرسول (ص) مبدأ الالتزام بالمشورة في أكثر من مناسبة.

ومن المشورات التي نفذها الرسول الأعظم (ص) برغم مخالفتها لرأيه ما حدث في أحد، فقد كان الرسول (ص) يرى أن يتحصن في المدينة ويقاثل الكفار فيها، ولكن رأي الأغلبية من الشباب كان الخروج لملاقاتهم خارجها.

قال لهم محمد (ص): «إني أخاف عليكم الهزيمة» فأبوا مع ذلك إلا الخروج، فلم يكن له إلا أن نزل على رأيهم، وكانت الشورى أساس نظامه لهذه الحياة فلم يكن ينفرد بأمر إلا ما أوحى به إليه من عند الله (١).

لقد عمل رسول الله (ص) برأي الجماعة والتزم بنتيجة الشورى، وكان رأي الجماعة خاطئاً وكان رأيه (ص) هو الصواب، وقد أدى رأي الجماعة الى الهزيمة في معركة أحد. ولكن هل هذه النتيجة تغير من نظرة الإسلام لمبدأ الشورى؟ وهل قال له الله سبحانه لا تطعمهم بعد اليوم؟

كلاً، فالقرآن لم ينزل من أجل محمد (ص) وحده ولا لأيام محمد (ص) وحده بل نزل لآلاف الأجيال والقرون من بعده، ولذلك نراه بعد معركة أحد

(١) د. محمد حسين هيكل «حياة محمد» ص ٢٩٢.

يعيد التأكيد على مبدأ الشورى، ويطلب من الرسول (ص) العفو عن أصحابه وحسن معاملتهم. ثم أيضاً لا يتخلّى عن مشاورتهم فيقول الله تعالى: «فما رحمة من الله إني كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر».

وهكذا صدق الشيخ محمد عبده في تعليقه على من يقولون: إن الشورى غير ملزمة بقوله: «فما معنى الشورى؟ ولماذا أمرنا الله بها إذا كان الحاكم لا يتبعها أو يلتزم بها؟» (١).

إننا نرى في القرن العشرين الكثير من الحكام المستبدين الذين يعلنون الحرب باسم شعوبهم والشعوب لا تعلم من الأمر شيئاً، ويجرّونها إلى مغامراتهم العسكرية كما تجرّ النعاج إلى المذبحة وهم لا يملكون من الأمر شيئاً، ومن يعارض يقصونه من الحكم أو يرمونه في السجون، فأين هذا من نظام الحكم في الاسلام؟!

وبعد ذلك تعالوا نسأل: هل الاسلام يقرّ النظام الملكي الوراثي في الحكم؟ إن نظام الحكم السعودي- كما هو معروف- ملكي وراثي، فأُسرة آل سعود تتوارث الحكم الولد بعد الأب، والأخ بعد أخيه، فهل هذا من الاسلام؟!

فالاستبداد بالحكم وظلم الرعية معصية، والتغاضي عن الفساد والرشوة ومشاكل الروتين معصية، وإهمال مرافق الدولة وعدم تزويد الرعية بالخدمات معصية، وحرمان الأكفاء من أبناء الأمة من فرص العمل والمشاركة في الحكم محاباة للأقارب والمحاسيب معصية.

وقد كانت التهمة التي وجهها أبناء الصحابة الى الخليفة عثمان هي تعيينه

(١) د. أحمد شوقي الفنجري «الحرية السياسية في الإسلام» ص ٢١٣.

لأقاربه في المناصب وعدم محاسبته لولائه على الأقاليم... فسحبوا البيعة منه وطلبوا منه أن يتنحى، وظلوا يحاصرون بيته ثلاثة أيام حتى يتنازل عن الخلافة لأن عمله ذلك عصياناً لكتاب الله.. (١).

نخرج من هذا بحقيقة هامة.. وهي أن الإسلام يعتبر الحاكم إذا أفسد أو انحرف أو ظلم معزولاً.

والسؤال الآن: ما هو حكم الشرع في الحاكم المسلم الذي تجمع اكثريّة الشعب على سحب الثقة منه ثم لا يقبل أن يتنحى ويستبدّ بالحكم ويلقي بالمعارضة في السجون.

ويحجب رسول الله (ص) على ذلك بقوله: «ألا إنّ رحي الإسلام دائرة فدوروا مع الإسلام حيث دار... ألا إنّ القرآن والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب... ألا إنه سيكون عليكم أمراء مضلون يقضون لأنفسهم مالا يقضونه لكم، إن أطعتموهم أضلّوكم وإن عصيتموهم قتلوكم قالوا: وما نصنع يا رسول الله؟ قال: كما صنع أصحاب عيسى، نشروا على المناشير وحملوا على الخشب، والذي نفسي بيده لموت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله» (٢) وهكذا يقرّ الشرع معارضة الحاكم الفاسد حتى الموت.. «ومن مات دون مظلمة فهو شهيد» «ومن مات دون كلمة الحق فهو شهيد».

وإذا كان الإسلام يفرض شرعية هذا النظام، فكيف نقبله نحن المسلمين وصياً وحامياً لمصالح الإسلام والمسلمين؟

وإذا كان الله تعالى يأمر نبيه (ص) بمشاورة أصحابه، وإذا كان (ص) يصترّ على أخذ رأي صحابته واستشارتهم.. ووقف يقول: «أيها الناس أشيروا عليّ

(١) ابن عبدبرته «العقد الفريد» ج ٢ ص ١٨٨ والسيرة الحلبية: ج ٢ ص ٨٥.

(٢) الحرية السياسية في الإسلام: ص ٢٢٤.

فقد أمرني ربي بالمشورة». وإذا كان أبوبكر يصّر على جميع المسلمين في المسجد ويعرض عليهم فرض راتب لنفسه قائلاً: «أيها الناس إن علياً قد ارتضى لي رزقاً من بيت المال ثلاثة دراهم في اليوم أفرضيتم بهذا» قالوا: «اللهم نعم.. نعم قد رضيينا» (١).

ووقف عمر يعلن رأيه في تحديد مهر النساء. فتصور من الذي عارض الخليفة وأعلن أنه بذلك يتعدى على سيادة القانون (وهو القرآن) لقد تصدت له امرأة في المسجد وقالت له: ليس لك ذلك يا عمر... فإن الله سبحانه وتعالى يقول: «وآتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً» (٢). وهنا يعلن الحاكم على الملاء خطأه ويسحب مشروعه من المجلس ويقول: «أصابت امرأة وأخطأ عمر» (٣).

وإذا كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يرفض أن يجبر أحداً على مبايعته، فهل يرضى الاسلام بالديكتاتورية والارهاب والكبت الذي يفرضه آل سعود على الشعب المسلم في شبه الجزيرة العربية؟!

إن الاسلام يرفض التمثيل والتوكيل على المسلمين انطلاقاً من مفهوم الحرية والمسؤولية في الإسلام ومن عدم وجود اكليروس فيه، ومن ثم لا يعترف بأي تمثيل، وهذا ثابت ومؤكد في مخاطبة الله تعالى لرسوله الكريم (ص): «وما أنت عليهم بوكيل» (٤) «ولست عليهم بمصيطر» (٥). فكيف إذا كان أدعياء التوكيل والتمثيل ممن يستهدفون تزوير إرادة المسلمين والنيل من جوهر إنسانيتهم المتمثل في الحرية والكرامة والحق- الحق لاسيما في المواطنة الواحدة المتساوية- وهدر هذا الجوهر على مذبح مصالحهم الخاصة وانتهازياتهم كضمن لقبولهم في

(١) الحرية السياسية في الإسلام: ص ٢٠٦. (٢) سورة النساء / آية ٢٠.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ٦١. (٤) سورة الشورى / آية ٦. (٥) سورة الغاشية / آية ٢٢.

السلطة والحكم ليحققوا أهداف الأيدولوجيا.

ويترتب على هذا الواقع الدستوري والوهابي الطائفي نتيجتان:

الأولى: إن الطائفة السعودية الوهابية تشعر شعوراً عميقاً وصادقاً بأن الحكم حكمها والشرعية شرعيتها وإن أيدولوجيته أيدولوجيتها وإن الدولة ومؤسساتها دولتها ومؤسساتها فهي بذلك منسجمة مع الحكم وأيدولوجيته ونفسها.

الثانية: إن المسلمين في الجزيرة العربية يشعرون شعوراً عميقاً وصادقاً أن الحكم ليس حكمهم ولا الشرعية شرعيتهم ولا أيدولوجيته أيدولوجيتهم وإن الدولة ومؤسساتها ليست دولتهم ولا مؤسساتهم.

فالجزيري المسلم يشعر بغريته عن الحكم وأيدولوجيته والدولة ومؤسساتها، بل أكثر من ذلك يشعر بالعداء له ولها. فهو بذلك منسجم مع أيدولوجيته ونفسه ومتنافر ومتناقض مع الحكم. فهو مفروض عليه المعارضة والعداء للحكم بصورة دائمة ومستمرة، لأنه غير مسموح له أن يمارس السلطة والحكم كالوهابي والسعودي، وهذا حرمان من حق طبيعي. وهذا الشعور المؤلم بالغربة والاعتراب ينعكس سوءاً على شعوره بأنه مواطن من درجة أدنى ويحمله جبراً وبصورة لاشعورية على التطلع إلى الخارج الإسلامي بحثاً عن أيدولوجيته وقيادته ودولته ومؤسساتها، بقدر ما يحمله على التعاطف مع كل حركة داخلية يتوسم فيها التناقض والرفض للحكم وأيدولوجيته وتستهدف من تحركها والتغيير في الواقع والإنسان أملاً منه في الوصول إلى دولته ومؤسساتها.

وهذا ما يفسر نفوره من كل من يتعاطف مع الحكم وأيدولوجيته ورموزها، لشعوره العفوي بأن مثل هذا التعاطف يزيده ضعفاً وبعداً عن تحقيق أمله في الخروج من هذا الخيار المؤلم، الصعب الممزق. خيارين أن يبقى عمره معارضاً وهذا ينعكس خطراً وسوءاً على مصالحه في بلد متخلف طائفي ويفرّ به عن الحكم ومؤسساته أو أن يوالي الحكم حفاظاً على مصالحه، وهذا يكلفه التخلي

عن ايدولوجيته وشخصيته وجوهره الإنساني ويغربه عن ذاته.
وهكذا، يكون المسلمون مخيرين في ظلّ الصيغة الوهابية الطائفية بين أن يكونوا تابعين للقيادات السعودية وجزءاً من ايدولوجيتها، وهذا أمر مرفوض من المسلمين لامن السياسيين. أو أن يكونوا أداة تفجير وتغيير، وهذا أمر واقع. فهذا الواقع النفسي للفرد المسلم بحاجة الى علاج وعلاجه يبدأ بإزالة الأسباب المولدة له، أي بتغيير الواقع «الحكم السعودي الطائفي» المؤدي الى هذا الواقع النفسي.

يا علماء الاسلام لماذا لا تبتّون للناس حكم الاسلام في الحكماء الذين يلزمون المسلمين ما يخالف الاسلام؟ وهل يوجب الاسلام طاعتهم واتباع أهوائهم؟ أم يوجب عصيانهم والخروج عليهم؟
لماذا لا تبتّون للناس حكم الاسلام فيمن يحارب دعاة الاسلام ويعين على حرب العاملين للاسلام؟

إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وما يليق بالعلماء أن يقفوا هذا الموقف من ميراث الأنبياء، ولقد فرض الإسلام على العلماء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمن يقوم بهذا الواجب إذا أهمله السادة العلماء؟
آل سعود وتقليد الحضارة الغربية:

إن حكام آل سعود يحاولون تقليد الدول الغربية المتحضرة الغنية ولا يدرّخون في ذلك وسعاً، ويعتبرون إنشاء القنصليات والسفارات في جميع البلاد فريضة لازمة، وتتخذ هذه السفارات كل الأساليب التي تتخذها السفارات الغربية التي لا دين لها ولا حشمة، ولا حدود خلقية.

إن هذه السفارات التي تدعي الإسلام والعروبة تقيم مآدب فاخرة وحفلات الكوكتيل، وتصبّ فيها أموال الفقراء والطبقة الوسطى كالماء الجاري، وتقدم الخمر في عامة الأحوال، ولحم الخنزير أيضاً في بعض

الأحيان وبعض المناسبات.

إن هذه السفارات لا تتحمس مطلقاً لدعوة الإسلام، والتمسك بمبادئه الخلقية التي تدعي الانتماء إليها، ولا تكون لها صلة بالمسلمين في تلك البلاد وعناية بتوجيههم وتشجيعهم والاطلاع على أحوالهم وأوضاعهم، ولا تفيدهم ثقافياً وأديباً.

فآل سعود في بلاء وشقاء من الشعب الجزيري المسلم الذي لايسهل عليه التخلي عن المبادئ الدينية، ومن ثروته الإيمانية ومن تراثه الغني، والانقطاع عن منابع الحياة والقوة التي تكمن في مصادره الدينية وأدبه الاسلامي وتاريخ الإصلاح والتجديد، فهم في عملية هدم واسعة الأكناف طويلة المدى، محاربة من جهات كثيرة، والشعب الجزيري المسلم الذي وقع تحت حكمهم وقيادتهم في بلاء وشقاء من هؤلاء القادة، فهم يحاربون طبيعته ويقودونه بهتافات وشعارات «وهاية» لا يستسيغها هذا الشعب المسلم ولا ينشط لها، لا تستطيع أن تحبب إليه الموت والفداء، ويهون عليه بذل النفوس والأموال والهجرة من الوطن، وتتغلب على الشهوات الأنانية الفردية، وقد عرف حكام آل سعود ضعف هذه الهتافات والشعارات في إثارة الحمية، وإشعال الحماسة في نفوس الجماهير، فهم يلجأون دائماً أيام الجد والمعارك الدموية الحاسمة إلى الهتافات الدينية والشعارات القديمة من الجهاد في سبيل الاسلام والشهادة في سبيل الله، حتى إذا وضعت الحرب أوزارها عادوا الى هتافاتهم وشعاراتهم الجاهلية والزمنية. ويفترضون أنهم يحكمون شعباً ليس له ديانة يحبها ويقدها ويستमित في سبيلها، وليست له عاطفة دينية تحتاج الى التربية والاستثمار.

وهكذا تضيع طاقات الشعب الجزيري المسلم ومواهبه، وإمكانياته التي لو استثمرت وقدرت حقّ التقدير، وكان آل سعود واقعيين أكثر منهم

خيالين لفعل الأعاجيب، وكأنَّ قوة يحسب لها الحساب الأكبر، ولا سبب في ذلك إلاَّ ضيق تفكير آل سعود، وتقليد الحضارة الغربية، والتصميم على تطبيقها في البلد المسلم بخذافيرها، وهذا بتأثير ثقافتهم الأجنبية التي تلقوها في الخارج، وخضعوا لها وهضموها في بلادهم. إن اتباع أساليب الحضارة الغربية في الحياة الاجتماعية والإيمان بمبادئ حياتها ومنهج اجتماعها يحمل نتائج بعيدة المدى.

إن آل سعود اليوم مصابون بالجذام الخلقي، ولا يزال جسمهم يتقطع ويتعفن حتى أصبح الجؤكله موبوءاً، وسبب هذا الجذام هو الاباحة الجنسية والخلقية التي تسود أسرة آل سعود اليوم، وتتخطى حدود الحيوانية والبهيمية (١)، والسبب الحقيقي لهذه البهيمية والحيوانية هو الزنا الذي لاحذله ولا نهاية، وإدمان الخمر والمخدرات الذي أصيب به حكام آل سعود، إننا نرى معالم هذا الجذام الخلقي واضحة في مملكة «خائن الحرمين» التي تحمست في تقليد الحضارة الأوروبية. وظلَّت الصحافة والسينما والتلفزيون والعلوم والآداب وحياة الطبقة الحاكمة تشجعها، بل تقودها وتوجهها. ستّة الله في الأرض «ولن تجد لسنة الله تبديلاً» (٢).

ومن الأساليب السخيفة المغضبة لله ما يقوم به آل سعود وما يسمّونه بالحفلات الخيرية- حيث يعلن أن داعراً أو داعرة سيقم حفلة «خيرية» يرصد ريعها لمشروع خيري أو وطني، فتعرض الأجساد وتنتهك الحرمات بضمن معلوم يباع بتذاكر خاصة. ويظل الناس يعبثون ويفجرون والشياطين عليهم صاعدون نازلون حتى الصباح، ثم يجمع هذا الثمن لذلك المشروع: كالتى تصدقت من

(١) وقد رأينا بعض ملاحظاتها في «فضيحة فهد» المشهورة في لندن التي رفع الستار عنها لأسباب سياسية.

نشرتها صحيفة (هيراالد تريبون) بتاريخ ٨ مايس ١٩٦٨ م بقلم: اليسر سباركس.

(٢) سورة الأحزاب/ آية ٦٢، سورة الفتح/ آية ٢٣.

فرجها ياليتها لم تزن ولم تتصدق.

إن نعمة الله لا يتوصل إليها بمعصيته، ونصره لا يستجلب بإغضابه. وإن الحاكم الذي لا تحركه أثات المتألمين وأخطار الأعداء المتألمين ليجود بأموال الشعب المسكين إلا إذا يسرت له المتع الدنسة في مستنقعات الرذيلة هو حاكم قد أنتهى أمد وجوده في تقدير الله، وهو حاكم تعد له الملائكة في النار أخاديد العذاب.

وإلا فما هذا السخف وانعدام التفكير؟ فلو كان «خائن الحرمين» يعقل أمره لقلل نسبة استعماله لوسائل الحضارة لدرجة العشر. فهل نحن بحاجة الى هذا السيل المنهمر من الطائرات والسيارات الخصوصية والتلفزيونات والأثاث الفاخر والعمارات الشاهقة واللباس المكس والكلاب والحمر والخيول النحاسية والحجرية وأدوات الزينة والملاهي والمراقص والحفلات التي تجري في المواسم المختلفة؟

لو كانت أسرة آل سعود التي تدعي الإسلام وزعامة المسلمين تعقل أمرها لوقرت كل هذا وصنعت السلاح لتدفع عن الإسلام من يريدون استئصاله من الحياة، ويصرون أن لهم أذناً في الأدبار، ولكن كيف تعقل والنفوس مستعبدة للشهوات ذليلة للملذات؟

وصدق الله العلي العظيم: «إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» (١). «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (٢) «نسوا الله فأنساهم أنفسهم» (٣) «واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» (٤).

لقد أصبح العالم الإسلامي مرمى الغزو الوهابي- الصهيوني ومحط تركيز

مؤامراته فيمكن أن تندبر عرضاً سريعاً للأوضاع فيه ليكشف لنا كيف أن الأساليب الصهيونية نجحت نجاحاً باهراً في تكييفه لصالحها.

ففي مجال الصحافة هناك صحف سعودية تتاجر بعواطف المراهقين والمراهقات وتنشط لنشر الأدب الجنسي والصور الخليعة، والأمثلة في هذا المجال لا تحتاجها لأن الكل يلمس ذلك ممّا تنوع به البوارج البحرية. وهي حاذقة في التحايل لعرض هذه المفاسد.

فهذه مجلة «الحوادث» السعودية تنشر صورة غانية ترتدي لباس المايوه وتجلس باسطة إحدى رجليها وترفع الأخرى تدلك فوق الساق والفخذ بشكل مثير وتحته عبارة تدليك الساق وربلة الرجل بالكحول والكافور.

ومجلة سعودية أخرى تقدم تحقيقاً طويلاً عن- الاستفتاء حول الفستان الجديد- مصحوباً بصور بأوضاع مختلفة تعرض زياً لفستان يرتفع عن الركبة خمس عشرة سنتمراً. كالاسبوع العربي اللبنانية المدعومة من النظام السعودي.

وأخرى تعرض تحقيقاً عن البحر والصيف وتقدم أنماطاً من العراة والعاريات كأنهم قطعان كلاب تتطارد في موسم اللقاح. وعلى رأس هذه الصحافة المصورة مجلات المصور المصرية، وآخر ساعة، والشبكة، ومجلات الفن المدعومة من النظام السعودي الى غير ذلك .

وكما أن البغي لا معنى للعواطف الشريفة في كيانها، فهناك صحافة لا معنى للرسالة الشريفة في اعتبارها فتبيع نفسها لكل من يدفع الثمن، وهي من الوقاحة بحيث لا تخجل من ذلك، عريضة الدعاوي، طويلة اللسان، تشتم من كانت تسبّح بحمده، وتسبّح لمن كانت تكيل أطنان الشتائم والعيوب كأنها لسانه الخاص يتحدث عن نفسه. وهذا واضح كل الوضوح في ترويحها الواسع لافتراءات العمالة الوهابية والصهيونية التي تكيد للحركة الإسلامية، فتلصق بها تهمة الارهاب والاجرام بعد أن كانت تلصق بها التطرف والفداء، وهي

نفس الخطة المقترحة لدى اليهود لمحاربة الهيئات الدينية.
جاء في البروتوكول السابع عشر: ستفضح صحافتنا الحكومات والهيئات الدينية وغيرها بشتى أنواع المقالات الكاذبة التي حررت بقصد الحط من قدرها الى مدى بعيد» (١).

وهناك نوع ثالث من الصحف السعودية تختص بإفساد الفكر وهي تتنوع في هذا المجال. ومن أساليب هذه المجلات أنها تخصص باباً من أبوابها بعنوان- أنت تسأل ونحن نجيب- للإجابة على مشكلة امرأة تحب أخ زوجها، وأخرى تخونه، وفتاة تحب من يخالف دينها، والأجوبة كلها تنصب على الغرض الذي تسير من أجله المجلة السعودية وتعمل.

ومثله باب «الأسرة». على أن مفاصد هذه الصحف ودور النشر لا تعادل شيئاً لمفاصد الاذاعة السعودية التي تقوم بكثير من جوانب الأساليب الصهيونية، فهي أولاً صنعت للناس مواخير في الهواء لم تترك مكاناً في المدينة أو القرية أو البادية إلا غزته وأوصلت إليه أصوات المنحلين، وجعلت من طابور أولئك المنحلين قدوة للشباب والشابات في التهلك والميوعة والانحلال. فهي منبر يتبارى عليه- الثرثارون الوقحون- كما تسميهم البروتوكولات، لتهديم أركان هذه الأمة.

وهي أداة للتبشير بالآراء الصهيونية في السياسة والاجتماع والاقتصاد والفكر.

فكثيراً ما نرى الغالب يزيع ابرة المذيع عن القرآن والأخبار ليبحت عن أكثر الاغنيات فساداً وسفاهة، أو أكثر التمثيليات ميوعةً وتفاهة. ولعل إذاعة «الرياض» وحتى «نداء الاسلام من مكة المكرمة» تسارع لتقديم هذه

(١) بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي الطبعة الثانية دار الكتاب العربي بمصر ١٩٦١م.

السموم، ومن يتتبعها يجدها أكثر الاذاعات تخصصاً بأغاني كبار المنحليين.
أما عن التلفزيون السعودي فيكفي أن نرى هذه الجيوش الجرارة من الشباب والشابات لا يكادون يرون تقليعة أو زياً، أو خلاعةً وخنوثةً في الليل إلا ويتلبسونها في النهار، وإذا علمنا أن أكثر الأفلام الأجنبية والممثلين فيها هي ملك اليهود، وعلمنا أن أكثر ما يدخل بلاد الحجاز من هذه الأفلام تبين مقدار الخطر التي تسببه في حياتنا، والصهيونية تصفق لهذا وترقص طرباً.

جاء زبانية الصهيونية من أمثال آل سعود ليتوسعوا في فتح معاهد الذكور والاناث في العالم الإسلامي، وليصيغوا لها برامج دراسية. كان الجهل منها أفضل، فمن عيوب هذه المناهج أنها مبتورة الصلة بالله ولا تدري موضع الله سبحانه فيها، وليس لها فاعلية في تسيير الأحداث في تيار الحياة وتنظيم علائق الموجودات، وهذا لاشك قد ترك أكبر الأثر في عقول الدارسين، حيث تصوّروا وهماً معيناً تمثل في سلوكهم العملي، ولا شك أن هذا خبث سعودي يهودي أثر في العالم الإسلامي كله.

ومن عيوب هذه المناهج «أمية التكفير» لأمية القراءة والكتابة، حيث قصد بها أن تخلق من الدارس إنساناً «مجترأ» كل جيل يجتر لما بعده دون تمحيص أو زيادة، وكان لهذا أبعد الأخطار، فقد قتلت روح البحث في نفوس الدارسين، وظلّوا عالة على أفكار الوهابيين التي طبخت بشكل يخدم الأهداف الصهيونية ثم قدمت للدارسين المسلمين على موائد الدرس ومعاهد التعليم. وبالإضافة لهذا كله فالهدف منها تغريب الأجيال المسلمة بطريقة محكمة تنفر الناشئة من الاسلام وتخرجل من الإنتساب إليه.

فالوهابي لا يبالي أن يرى ابنته كاسية عارية، تصاحب الرجال أو تلاعبهم في البرّ والبحر بحجة الرياضة، أو تسافر وراء البحر بحجة العمل، بل صار كالعجري - لا يسألها أين كنت؟ بل ماذا أحضرت؟ وانه ليصطحب نساءه الى

السينا ليشاهدن أنماط الفجور وأضراب الزنا تعرض عليهن خطوة خطوة، وهو يتكذّس بجانبهن كومة من اللحم البارد لا يحركه شعور ولا تهزّه رجولة. والحقيقة التي لا شك فيها أن «الأميرة» السعودية أصبحت رسول فساد أينما ذهبت. إلّا من رحم الله. فهي في البيت مفسدة للنشء، مثبّطة للزوج عن الأعمال الجليلة، لا يرضيها إلّا أن يتحول جابياً يحجي لها المال بأي طريق حلّالاً كان أم حراماً لتنفقه في اللهور والزينة، ولا تفهم رباطها فيه إلّا كما تفهم البقرة رباطها بفحل البقر.

وهي في المجتمع عامل إغراء وفتنة تنشر الفساد في كل ناحية بعريّتها وميوعتها. وهي في هذا المجال تجري بسرعة البرق، حتى أن الكاتب مهما حرص على دقة الوصف يصبح وصفه عتيقاً لا يصدّق الحالة التي وصلت إليه أميرة آل سعود بعد مرور شهرين على كتابته، وينعكس هذا الحال على نفوس الشباب الذي تحوّل الى مجرد عجل آدميه تنتشر على مفارق الطرق وتأكل بعيونها الزائفة الغاديات والرائحات من الأميرات الكاسيات العاريات، فنسي بذلك واجباته، ونسي مستقبله ومصيره.

ولست متجنّياً في هذا التقرير، فعائلة آل سعود تزخر بالشواهد على ذلك. ولن ينجين كذلك من المصير المؤلم الذي حدّده رسول الله (ص) عندما قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما، رجال يغدون الى المساجد على ما يشبه المياثر، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، على رؤوسهنّ كأسنمة البخت، إذا رأيتوهنّ فالعنوهنّ، لا يدخلن الجنة ولا يشمن رائحتهما، وأن رائحتهما على بعد أربعين عاماً» (١).

(١) حامد علي «المرأة في المجتمع القرآني» ص ٤٢ الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م بيروت.

البدخ والترف السعودي:

إن ما يصرفه فهد وآل فهد وذويهم وما يملكونه من المليارات في أمريكا وفرنسا وسويسرا لا تتسع المجلدات لإحصائها. بينما الفقر المدقع والحرمان الكبير في أبسط ضروريات الحياة العادية هو السائد في شعب الجزيرة العربية، في المنطقة الشرقية والإحساء، في نجد وتبوك .

وفي كل بقعة كانت يواصل أزلام وأقطاب النظام السعودي القذر التماذي في غيهم الطائش في نهب أموال المسلمين وصرفها في موارد الفسق والرذيلة، ومواطن اللهو والمجون، استجابة لرغبات النفس الدنيئة ونداءات الاستكبار العالمي.

فقد أراحت الستار أخيراً جريدة «الصاندي- تلغراف» اللندنية من أن بيت رأس النفاق والعمالة «فهد» في لندن قد كلف بناءه (٤٠) مليون ريالاً سعودياً، والبيت المذكور قريب من منزل ولي العهد الانكليزي، ويقع في أرقى مناطق لندن ويحوي أكثر من ثلاثين غرفة مرفهة مكسوة جدرانها بطلاء الذهب!!

والسؤال هنا: ماذا يستفيد الملك الفاسد من هذا البيت والذي يرتاده أيتاماً قلائل سنوياً؟ أليس الأجدر أن تنفق هذه الأموال الطائلة في المشروعات الاستثمارية والصناعية المتخمة في الوطن الاسلامي؟

نحن على ثقة بأن العملاء المأجورين المستترين بالاسلام والذين يبررون تصرفات هذه العائلة الفاجرة ستتكشف سواتهم، وتظهر حقيقتهم للرأي العام الإسلامي، للداني والقاصي، عندما ستكتب اللعنة الأبدية عليهم وعلى أربابهم، ولا ينفع يومئذ الندم.

ويفضّل فهد الذهاب الى أسبانيا لأن له جثة كلفته مليارات من

الدولارات (من جيبه الخاص طبعاً) .. كما أن لفهد وآل فهد «فيللات» وبنايات وقصور وشقق في مصر والمغرب وتونس وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وسويسرا وبيروت وإنجلترا وأمريكا.

ولفهد وآل فهد «فيللات» في الكيلو (١٠) بمدينة جدة، وعددها ٣٦٠ دائرة. بعدد أيام السنة. وفي كل واحدة منها امرأة من بلد يختلف عن الآخر (١). وصرحت مجلة أمريكية (٢) «أن أغنياء النفط العرب ربما كانوا يبتاعون بنوكاً في نيويورك ولندن، ولكن المحاولة التي بذلوها في الأسبوع الماضي لتحطيم البنك في كازينو القمار بـ «مونت كارلو» كانت أقل نجاحاً، وعندما خسر ثلاثة من الأمراء السعوديين بينهم وزير الداخلية الأمير فهد بن عبدالعزيز أكثر من (٦) ملايين دولاراً على موائد القمار، أصيب حتى أصحاب الملايين من رؤاد الكازينو الدائمين بالذهول».

وأضافت المجلة: «أن الأمراء السعوديين وصلوا الى «هوتيل دي باريس» أواخر الشهر الماضي ولا يدور في رؤوسهم سوى شيء واحد «إننا جئنا لكي نقامر. كما قالوا للإدارة. ولكن بشروط معينة .. إننا نحن الذين سنحدد لكم الساعات التي تغلقون فيها الكازينو!». ونتيجة لذلك فإن الكازينو الذي تعلق أبوابه عادة في الساعة الثانية فجراً كان يظل مفتوحاً إلى أن يملّ الأمراء الذين كانوا يقامرون بمبالغ كبيرة وهم يلسعون الويسكي .. وكانوا كثيراً ما يبقون حتى التاسعة من صباح اليوم التالي.

وقال «كروبييه» عن هذه اللُّعب في الكازينو بعد أن غادر الأمراء السعوديين الكازينو «الحمد لله انهم لم يبقوا ألف ليلة وليلة».

وقد استخدم الأمراء السعوديون تكتيكاً خاصاً بهم خلال المقامرة، فبعد أن

ضاعفوا الحد الأقصى المسموح به وهو (٤٠٠) دولاراً على الرقم الواحد، طلبوا إذنًا لمضاعفة هذا الحد (٤) مرّات، وهذا يعني أنهم عندما كانوا يضعون (١٦٠٠) دولاراً على رقم وحالفهم الحظ فإن مكاسبهم تصل الى (٥٧) ألف دولاراً، وعندما حالفهم الحظ مرّات عدّة اضطرت إدارة الكازينو الى التدخل ومطالبتهم بوقف هذا التكتيك وإلا فلّسوا البنك .

وفيما كان الأمراء ينعمون بمبالغ كبيرة كان مئات الأشخاص يحيطون بهم وخاصة الساقطات اللواتي تجتمعن حولهم كالنحل ..

وذكر أحد الحضور أن الأمراء دعوا فتاتين لتناول طعام العشاء معهم، ولكن لدهشة الفتاتين لم تتم دعوتها بعد ذلك لزيارة أجنحة الأمراء في الفندق، غير أن كل واحدة منهن حصلت على إنعام مقداره (٤٠٠) دولاراً.

وكان الأمراء أسخياء بشكل مماثل مع «الكروبييه» وخدم الكازينو، وعندما قام أحد الخدم بتفريغ منفضة السجائر التي كانت موضوعة أمام الأمراء من الأعقاب، ناوله الأمير «فهد» إنعاماً بلغ (٤٠٠) دولاراً، وفي إحدى المرّات بلغت أرباح الأمراء نحو مليون دولاراً، ولكنهم قبل أن يغادروا الكازينو كانوا قد خسروا هذا المبلغ، كما خسروا مبلغاً آخر يزيد على (٦) ملايين دولاراً.

وقد اتضح على أي حال أن الأمراء السعوديين قد جعلوا زيارتهم للكازينو منتظمة رغم خساراتهم الكبيرة، فقد ذكر أحد سماسرة بيع الأملاك في «مونت كارلو» أنهم طلبوا منه البحث لهم عن فيلا كبيرة أو ناطحة سحاب صغيرة في إمارة القمار» (١) إنتهى تصريح المجلة.

ما أدري أي المصيّبين أنكى وأنكد على الشعوب العربية والاسلامية، مصيّبتها بحكوماتها التي تساوم عليها، تريد أن تبيعها بيع الرقيق وتسوقها الى

الجزارين سوق الأغنام للذبح، أم مصيبتها من الدول الغربية التي أصبحت شراً على العالم كله، ونفثت على العرب والمسلمين خاصة أسوأ سمومها وأنكى مكايدها.

لقد نشرت مجلة «فلسطين الثورة» في صفحة «أخبار عربية ودولية» عن الهدية السعودية للأمير البريطاني تحت عنوان «لندن وهذا الكرم العربي» جاء فيها: «لدى عرض ١٢٠٠ هدية تلقاها وليّ العهد البريطاني الأمير تشارلز وعروسه ليدي ديانا. وهي خمس مجموع الهدايا. لفت الانتباه أن أغلى الهدايا كانت الهدايا العربية وأبرزها هدية وليّ العهد السعودي الأمير فهد بن عبدالعزيز، وهي مجموعة من الألباسات والمجوهرات من أحجار الياقوت الأزرق مع صندوق من الملكية محفور برسوم الفراشات والزهور ومطعم بالأحجار الكريمة والذهب. أما الرئيس الفرنسي «فرانسوميتران» فقدّم لوحة فنية» (١).
إن صناديق الخمر تأتي الى مطار الرياض مكتوب عليها «قرآن كريم لا يمسه إلا المطهرون»، وإن الأولاد الذين يتمتعون بحظ من الجمال يحتطفون قهراً من شوارع الرياض الى قصور الأسرة الحاكمة لممارسة الشذوذ الجنسي، وقد اضطر كثير من الأولاد إلى مغادرة الرياض تهرباً من ملاحقة الأسرة الحاكمة (٢).

لقد أمر الطاغية «فيصل» بأن يعقد مجلس الوزراء السعودي جلسة طارئة لتشمين أحد قصوره القديمة في جدة!! فعقدت جلسة مجلس الوزراء السعودي وتمنوا قصر فيصل بمبلغ (٤٠) مليون ريالاً. فلم يعجب الملك بهذا التشمين. فأوحى للمجلس بعقد جلسة طارئة أخرى، فعقدت الجلسة ووقع الوزراء رسالة الى فيصل يعتذرون منه فيها على تقصيرهم في تشمين قصره الثمين بـ

(١) مجلة «فلسطين الثورة» السنة العاشرة العدد ٣٨٦ الاثني ١٠/٨/١٩٨١ م.

(٢) راجع أعداد مجلة «الثورة الإسلامية» من العدد ٧٧ ذوالحجة ١٤٠٦ هـ/ اغسطس ١٩٨٦ م.

(٤٠) مليون ريالاً، بينما قيمته الفعلية هي أكثر من هذا، ولذلك فقد رأوا إضافة مبلغ (٣٠) مليون ريالاً لفیصل - لتصبح قيمة القصر (٧٠) مليون ريالاً - تصرف لجلالته من وزارة المالية حالاً.

وحینما تقدم الوزراء للملك - الذي هو رئیس الوزراء - بهذا التثمين الجديد مع توبيخ أنفسهم بالنقد الذاتي أمامه قال فیصل: أنا أعلم أنكم مقصرون في تثمين هذا القصر!، لكنني ماذا أفعل!، لقد كلفني بناؤه في أيام الرخص (٤٠) مليون ريالاً، وأوراق وزارة المالية التي صرفت لي هذا المبلغ تشهد بذلك وبإمكانكم مراجعتها

بمعنى أوضح: أن مالية الشعب هي التي عمّرت هذا القصر لفیصل ودفعت قيمته السابقة، وقبض ثمنه (٤٠) مليون ريالاً، ومن ثم قبض (٧٠) مليون دولاراً، دفعها له مالية الشعب فأصبح المجموع (١٥٠) مليون ريالاً، بعد ذلك أمر فیصل بتسليم مبلغ التثمين الأخير لزوجته «عفات خانم» لتشيّد بهذا المبلغ عمارة مكوّنة من (٣٥) طابقاً في جدة، أعطاه الملك أرضها، وبقي القصر لفیصل! (١).

و«عفات خانم» هي أم وزير الخارجية سعود الفيصل ومحمد وتركی وأخت كمال أدهم. وغارت «أم بندر» زوجة الملك خالد من «عفات خانم» فأشادت عمارة في الرياض من (٣٥) طابقاً، دفعت تكاليفها وزارة المالية (٢).

إن حكام آل سعود الذين آمنوا بالديمقراطية والعلمانية والوهابية كمبدأ ودستور يعيشون عيشة بذخ مبذرة نفقاتهم ملوكية وجولاتهم تذکر بعهد كسرى

(١) تاريخ آل سعود: ج ١ ص ٥٥ والى العدد ٨٤ رجب ١٤٠٧ هـ / مارس ١٩٨٧ م.

(٢) آل سعود من أين؟ وإلى أين: ص ٥٥ و٥٦.

وقيصر وامبراطور روسيا في العهد الأخير، وحياتهم المنزلية ومناهج عيشهم تشبه قصص ألف ليلة وليلة، والإنسان يكاد لا يصدق أن هؤلاء زعماء لبلد الحجاز الإسلامي.

لقد قطع القرآن والسنة في أن طاعة أولي الأمر لا تجب إلا في طاعة الله، وأن ليس لأحد أن يطيع فيما يخالف كتاب الله وسنة رسوله.

لقد حدث الرسول الأكرم (ص) أنه قال: «سيلي أمركم من بعدي رجال يطفئون السنة ويحدثون بدعة، قال ابن مسعود: يا رسول الله كيف بي إذا أدركتهم؟ قال: ليس يا ابن أم طاعة لمن عصى الله - قالها ثلاث مرات» (١).

ولم يكن الرسول الأعظم (ص) - وهو زعيم أمة - يختص نفسه بشئ من الأموال العامة. كان عليه وآله الصلاة والسلام المثل الأعلى في أن يكون واحداً من الشعب مثل أبسط رجل من الجماهير وأن يحيا الحياة مشاركة لكل من فيها بما فيها، ولم تعمل فيه أئمة الدين والدنيا أبسط عملها فحاول أو رضى أن يشغل لنفسه تكتة معينة وأن يستبيح مالا يتيسر للجميع.

اشتكت إليه حبيبته فاطمة الزهراء عليها وعلى أبيها السلام ولم تكن صحتها في أحوال كثيرة على خير ما يجب أن تكون، أنها تلقى عناء ومشقة من شدة أعبائها في المنزل! فهلاً خادماً لبنت قائد أمة تكبر وتقوى ويكثر عدد رجالها كل يوم حتى تستريح بنت أكبر شخصية في مجتمع كان منذ قليل تحكمه التقاليد من عناء ما تلقاه في خدمة أهل البيت عليهم السلام وخدمة صحتها، فإذا كان موقف قائد التغيير الثوري في أول مجتمع ثار بشكل منظم بل وعلى أسس بقيادة السماء على يد محمد عليه وآله السلام.

«لا أعطيك يا غاطمة وأدع أهل الصفة- مجموعة من العاملين الفقراء- تطوى بطونهم من الجوع» (١).

وعلى هذا الهدي سار الائمة المهديون وبه تمسكوا، فهذا أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام يموت وهو خليفة المسلمين فما يترك صفراء ولا بيضاء كما قال ابنه الحسن (ع) إلا ثمانمائة أو سبعمائة درهم أرصدها لخادمة (٢).

ولقد كان علي (ع) وهو خليفة يلبس إزاراً غليظاً اشتراه بخمسة دراهم، وكانت حمائل سيفه من الليف، وعرض سيفه للبيع ليشترى لنفسه إزاراً، وكان (ع) يقول: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله (ص)، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته (٣). وما كان المال بعيداً عن علي (ع) لو حرص على المال، فقد كان يربط الحجر على بطنه من الجوع، ويعرض سيفه للبيع ليشترى به إزاراً، في حين أن الإيراد اليومي للأموال التي تصدق بها وأوقفها صدقة جارية على الفقراء يبلغ أربعة آلاف دينار (٤).

وما كان المال بعيداً عن علي بن أبي طالب (ع) لو رضي أن يمد يده للأموال العامة ويأخذ منها حاجته، ولكنه حرم على نفسه ذلك يوم بويح بالخلافة حيث قال: «ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معي، ألا إنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، أرضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد» (٥). وكما حرم على نفسه أن يأخذ شيئاً من المال العام، فإنه حرم على نفسه أن

(١) د. عماد الدين خليل «مقال في العدل الاجتماعي» ص ٩٧. (٢) تاريخ الخلفاء ص ١٨٠.

(٣) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: ص ١٢١، وعبقريه الامام علي للعقاد: ص ١٦ طبع بيروت

١٩٦٧م.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٠٠. (٥) تذكرة الخواص: ص ١٢١.

يبقي على شيء من ماله الخاص، فقد كانت يده تمتلئ بماله الخاص فينفقه كله في سبيل الله وعلى الفقراء ولا يبقى لنفسه إلا مادون الكفاف (١).
وقد ورد عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: ما علمنا أن أحداً كان في هذه الأمة بعد النبي (ص) أزهد من علي بن أبي طالب (ع) (٢).

إن طراز الحكم في بلاد الحجاز معروف الشكل والموضوع، إنه حكم فردي أو طائفي يفرض نفسه على كل شيء، ولا يسمح البتة بمعارضة أو تذمر، ولا يأذن بميلاد فكرة مخالفة أو حزب يمثل وجهة نظر مغايرة ١٠٠٠! وأسلوب العيش في ظل هذا النظام يجعل الطعام اليومي للأفراد والأسر مآزاً من تحت يد الحاكم، ومن ثم فلا مجال للإفلات من قبضته!!

ولم تعرف الدنيا في تاريخها الماضي ولن تعرف في تاريخها المقبل حكماً ممدود الرهبة، مشدود الوثاق، يحول البلاد إلى سجن كبير، ويحول أهلها إلى قطعان مسيرة مثل ما عرف في السعودية. والغريب حقاً أن ذلك كله يقع باسم الاسلام!! باسم الاسلام تخفق الآراء، وتخمد الأنفاس، وتذلّ النفوس الكبار، ويقدس اسم واحد أو عدة أسماء. والاسلام ليس إلتصاراً تختفي وراءه حفنة من الناس تمتلكها رغبة مجنونة أن تفرض تفكيرها ومذهبها على الآخرين ولو كانوا كارهين. فالحكم السعودي يقلل دخل الإنسان، ويضيق عيشه ويهين دينه ويصادر حريته، فما الذي يحمل الإنسان على الرضا بذلك الحكم المشؤوم؟ ومن الذي يسره أن يخسر دنياه وآخرته على هذا النحو الذليل؟.

إيمان خائن الحرمين:

لا يصلح كل شخص أن يكون إماماً لأن وظيفة الامامة بما لها من جلال

(٢) مناقب الخوارزمي: ص ٦٧.

(١) أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٣٢.

وخطر تقتضي أن يكون شاغلها حائراً على صفات معينة، ومن ثم يشترط فيمن يختار إماماً أن تتوفر فيه شروط منها:

١- الإسلام: يشترط في الإمام أن يكون مسلماً لأن وظيفته نفسها تقتضي هذا، فهدفه إقامة الدين الإسلامي وتوجيه سياسة الدولة في حدود الإسلام، وما يستطيع أن يقوم بذلك عل وجهه الصحيح إلا مسلم يؤمن بالإسلام ويعرف مبادئه واتجاهاته، فطبائع الأشياء إذاً توجب أن يكون رئيس الدولة الإسلامية مسلماً. وإذا كان هذا هو ماتوجهه طبائع الأشياء ومنطق الواقع فإن الاسلام نفسه يحرم أن يلي أمر المسلمين غير مسلم وذلك ظاهر من قوله تعالى: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء» (١).

فاذا حرم الإسلام على المؤمنين أن يوالوا غير مؤمن فقد حرم أن يجعلوه حاكماً عليهم لأن الحكم ولاية وقوله تعالى: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» (٢).

٢- العلم: يشترط في الإمام أن يكون عالماً، وأول ما يجب عليه علمه هو أحكام الإسلام، لأنه يقوم على تنفيذها ويوجه سياسة الدولة في حدودها، فان لم يكن عالماً بأحكام الإسلام لم يصح تقديمه للإمامة.

٣- العدل: يشترط في الإمام أن يكون عدلاً، لأنه يتولى منصباً يشرف على كل المناصب التي يشترط فيها العدالة، فكان من الأولى أن تشترط العدالة في منصب الإمامة. والعدالة عند الفقهاء هي التحلي بالفرائض والفضائل، والتخلي عن المعاصي والردائل، وعن كل ما يخل بالمروءة، ويشترط بعضهم أن تكون العدالة ملكة لا تكلفاً.

٤- الكفاءة: ويشترط في الإمام أن يكون كفوءاً قادراً على قيادة الناس وتوجيههم، قادراً على معاناة الإدارة والسياسة، فمن قام بالقسط فقد قام بما أمر به.

لقد فسدت أداة الحكم في الدولة الإسلامية وتحولت عن غايتها التي رسمها الإسلام، وأصبحت مهمة الحكام أن يحكموا في حدود الهوى والمنفعة، وابتغاء الاستعلاء والسيطرة أو ابتغاء رضا المستعمرين، بعد أن كان واجبهم الأول أن يحكموا في حدود الإسلام ابتغاء مصلحة الجماعة وابتغاء وجه الله.

ولقد انتهى هذا كله إلى أسوأ النهايات. وحيثما انفلت الحكام من حدود الدين انقلبت الموازين في أيديهم واختلطت الأوضاع عليهم، فهم لا يميزون الطيب من الخبيث ولا يعرفون الحق من الباطل ولا يفرقون بين الضار والنافع، لأنهم يتبعون أهواءهم، ويتخذون منها آلهة لهم: «أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكونُ عليه وكيلاً» (١).

وترتب على فساد الحكم وخروج الحكام على حدود الدين أن ابتعد الناس عن الدين وفسدت الاخلاق وشاعت الفاحشة وضعف المسلمون وتصدعت وحدتهم وتعددت أحزابهم واتجاهاتهم بما اتبعوا من أهوائهم، حتى أصبحت الفوضى شعارهم، والتفرق الذي نهوا عنه يميزهم عن غيرهم، وحتى انتهوا إلى ما هم عليه من الاستعباد والذلة، يستعبدون المستذلون ويغلبون على أمرهم المشردون المغلوبون.

وإذا كان هذا الانحراف قد بدأ بما نسب إلى عثمان من إثارة بعض ذوي قرباه ببعض وظائف الدولة، ومن منحه بعض الناس شيئاً من أموال الدولة، فإن الانحراف قد انتهى إلى أسوأ نهاية، إذ انتهى باستبداد الحكام بكل أمور

الأمة وبإهمال مصالحها وبالإستعلاء عليها وحرمانها من استعمال حقّ الشورى إستعمالاً صحيحاً، كما انتهى بالحيف على حقوق الأفراد والاستئثار بالأُمور العامة وإقامة أُمُور الأمة على الإثرة والمحابة والظلم والجور، حتى لقد أصبحت الحكومات الإسلامية مضرب المثل في العالم كله على الظلم والاستبداد، وأصبحت الشعوب الإسلامية مضرب المثل في العالم كله على التأخر والانحطاط.

يتضح من تصرفات الملك السعودي «فهد» وبياناته أن رحلته الثقافية التي بدأت بتشابه دقيق مع الأفكار التي يلقيها دعاة الحضارة الغربية والإرساليون المسيحيون والمستشرقون- تستمر وتقطع أشواطاً بعيدة، وأنه قد وصل الآن إلى مرحلة يصعب عليه التزام التعريض والكناية، وقد بدأ يعرب عن أفكاره بتصريح بدون أي حذر وتحفظ، بل يتعدى أحياناً إلى تجرؤ شنيع، ويدلّ على ذلك تصريحاته التي أثارت ضجة في العالم الإسلامي، والتي أدلى بها إلى مؤتمر «المدرسين والمربين» (١)، وقد نشرت الصحف السعودية تصريحات (الأمير) الملك فهد، بحذف فقرات كانت أكثر تهجماً على الإسلام وشخصية النبي (ص) كما حذفت وسائل الإعلام الرسمية الفقرات النافرة.

نشرت صحيفة «الشهاب» البيروتية (٢) هذه الفقرات المحذوفة:

- ١- إن في القرآن تناقضاً لم يقبله العقل بين «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله» (٣) و«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (٤).
- ٢- الرسول محمد كان إنساناً بسيطاً يسافر كثيراً عبر الصحراء العربية ويستمتع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، وقد نقل تلك

(١) بمناسبة «الملتقى حول الثقافة الذاتية والوعي» المنعقد في جدة في مارس ١٩٧٤م.

(٢) في عددها الأول للجنة السابعة الصادرة في ١٥ نيسان ١٩٧٤م.

(٣) سورة التوبة / آية ٥١. (٤) سورة الرعد / آية ١١.

الخرافات إلى القرآن، مثال ذلك، عصا موسى^١، وهذا شيء لا يقبله العقل بعد اكتشاف باسطور، وقصة أهل الكهف.

٣- إن المسلمين وصلوا إلى تأليه محمد، فهم دائماً يكرّرون محمد (ص)، الله يصلي على محمد، وهذا تأليه لمحمد. ونحيب «خائن الحرمين» فنقول:

١- إن التناقض الذي وجده «المملوك فهد» بين الآيتين يرجع إما إلى جهله باللغة العربية- لأنه تلقى تعليمه في بريطانيا- وإما إلى عدم تمكنه من دراسة القرآن الكريم وتفسيره، ولوأنه قد راجع أي عالم عادي للدراسات الإسلامية لما وقع في هذه الورطة.

٢- إن هذه التهمة أيضاً تكشف عن جهل «مفرّق هذه الأمة» أو عن الإضطراب الفكري الذي لا يستغرب في الطبقات المتعلّمة خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر، حيث لم تكن البحوث التاريخية والعلم قد أحرزت تقدماً كبيراً، ولكن لامبرّر لمثل هذه الدعاوى الآن في العصر الحديث، ويدل ذلك على أي حال من الأحوال على أن جلالة «خادم الحرمين الشريفين» يعتبر القرآن كتاباً من تأليف النبي (ص) ولا يعتبره كتاباً منزلاً.

٣- وهو دليل آخر على جهل فهد، وحرصه على إصدار حكم على أي موضوع بدون أن يهتم بإجراء تحقيق فيه، فهاهي العلاقة بين الصلاة والتبريك والدعاء، وبين التأليه، إن مثل هذه الأدعية توجد في جميع الكتب السماوية، بل في سائر الكتب الدينية.

هذا مانقلته الصحف الإسلامية من التصريحات التي حذفها الصحف الرسمية، ولكن مانشرته مجلّة «الدعوة» السعودية فعلاً والتي نالت موافقة الحكومة، لا تبرئ ساحة فهد ولا تخفف من شناعة فكره، ونورد هنا مانقلته المجلّة حرفياً:

«هناك أمور أخرى مثل قصة عصا موسى التي ألقى بها فإذا هي حية تسعى، وقد كان الإيمان بأن الحياة يمكن أن تخرج من الجماد سائداً في أوروبا أيضاً، ولكنه انقرض تماماً منذ عهد باستور، ومن هذه الأساطير التي ظلت موضع إيمان الناس في البلاد العربية دهرأ قصة أهل الكهف، الذين لبثوا رقوداً مئات السنين ثم انبعثت فيهم الحياة» (١).

إننا لا نريد أن نعلق على هذه التصريحات هنا، لأنها لا تستحق ذلك، وكل ما يتضح من هذه البيانات أن «خائن الحرمين» يعاني من مركب النقص والتبعية الفكرية، فإنه لم يدرس أي علم من العلوم الإسلامية في الوقت الذي لم يستطع فيه أن يفهم كلياً الاعتراضات والشكوك التي أثارها الناقدون، أما المسألة التي يجب أن تكون موضع الإهتمام فهي أن الشخص الذي يحمل هذه الأفكار المعادية للإسلام هل يبقى في حظيرة الإسلام؟ وهل يتمتع بحق ليحكم بلداً إسلامياً ذا أغلبية إسلامية؟

إن رد الفعل العنيف الذي أثارته تصريحات «المملوك فهد» في الدوائر الإسلامية والأوساط الدينية في سائر أنحاء العالم تحمل خير رد على هذا السؤال. إن الذي يحمل مثل هذه الآراء لا يعتبر مسلماً، واحتج على هذه التصريحات عدد كبير من الصحف الإسلامية أيضاً، وعلقت عليها.. وأرسل احتجاج شديد اللهجة إلى «فهد» أعرب فيه كبار العلماء والباحثين من العالم العربي والإسلامي من أندونيسيا إلى مراكش عن قلقهم العميق بأفكار «خادم الحرمين».

بالإضافة إلى الاعتراضات الثلاثة التي ظهرت في بيان فهد، تدل الأفكار التي أعرب عنها على حياة النبي (ص) والعقائد الإسلامية وطرق العبادة، على

أنه لا يختلف مع المبادئ الأساسية للإسلام والشريعة فحسب، بل إنه يريد أن يقود مسلمي الحجاز إلى نفس الجهة، ويثير شكوكاً وريباً في قلوبهم، وليس من العسير إذاً أن يعلم إلى أي جهة تسير مكة والمدينة التي أنجبت عدداً من أعلام الفكر الإسلامي، والبحوث الإسلامية، والذي يزخر بأمثالهم التاريخ الإسلامي.

وإننا نعلم أن عملية تحويل الحجاز إلى بلد متحضر بالحضارة الغربية، قد بدأت بطاقةٍ وحماةٍ بالفتين بعد استنكار الدوائر الإسلامية لخطاب المملوك فهد. ولنضرب مثلاً لأسلوب حياته، ومستوى معيشته.

تقول جريدة «الصاندي تلغراف» الصادرة في لندن في أحد أعدادها (١): «الأمير السعودي «فهد» أنفق خلال إقامته في إسبانيا مليوني دولار يومياً، وكان يرافقه ستة أمراء، وكانت المومسات والبغايا والفتيات الأخريات يجلبن إلى فندقه الذي كان يكلفه ربع مليون دولاراً يومياً، وكان (٥٠) من الحراس منزعين لكثرة تردد المومسات والبغايا الزائرات في هذا الفندق».

كما أن مكتب وزارة الخارجية بأسبانيا لا ينظر بعين الرضا إلى هذه الجولات التي يقوم بها الأمير فهد بن عبدالعزيز بن آخراً لأسبانيا، ولكن بما أن أسبانيا تريد استغلال الوسائل الطبيعية في السعودية فإنها لا تبدي استنكارها لهذه الجولات بطريقة علنية» (٢).

وتحت عنوان «الفساد المتفشي والانحلال الأخلاقي»: ذكر أحمد بن بيلا الرئيس الأول للجمهورية الجزائرية المستقلة في بحثه (٣) من تفاصيل عجيبة عن نوع الحياة التي يحياها أمراء سعوديون معينون في «كان».

(١) مجلة «الصاندي تلغراف» اللندنية في ١٢ حزيران ١٩٦٤م.

(٢) صحيفة «ليبراسيون» الفرنسية ٢٢/١٠/١٩٧٤م بقلم الكاتب كارلوس دوساريغو.

(٣) نشرته مجلة «الأكسبريس» الفرنسية في ٢٠ أكتوبر-تشرين أول ١٩٧٤م.

فقد ذكرت «الأكسبريس» أن واحداً من هؤلاء الأمراء - لم تذكر اسمه والمقصود به فهد- قد خسر في ليلة من لياليه بليوناً ونصف بليون فرنك منذ قدم إلى فرنسا.

وذكرت صحيفة «كرست انترنشونال» الكندية (١): «أن فهداً حاكم البلاد قد اشترى قصرًا جديدًا في لندن» ولم تذكر الصحيفة كم كانت قيمة القصر ولكن المبالغ التي صرفت على الإصلاحات والإضافات على القصر قد تعطي فكرة عن قيمة شرائه.

فقد ذكر أن المبلغ الذي صرف عليه بعد شرائه كان (٢٤) مليون جنيه استرليني، ويضم القصر خمس حانات خمر وإحدى وعشرين غرفة إستقبال وخمس عشرة غرفة نوم وستة عشر حماماً طليت حنفياتها بالذهب بالإضافة إلى فرش أسنان وأقداح مذهبة وغرفة طعام كبيرة تحتوي على طاولة مرمر كلفتها (٦٠٠/٠٠٠) جنيه استرليني.

بالإضافة إلى ذلك فإن نوعية الزجاج المستعمل في القصر هو زجاج ضد الرصاص، وقد كلفت شركة فرنسية لتقوم بأعمال الديكور وقد وصلت كلفة أعمالها إلى عشرة ملايين جنيه استرليني. ومن جملة ما تقوم به هذه الشركة هو وضع ورق من الحرير للجدران الداخلية للقصر. وقد ذكر أن أجرة العامل في اليوم الواحد هي (١٠٠) جنيه استرليني. ومن المعروف أن فهداً يأتي إلى لندن كل سنة لفترة شهر فقط».

وفي البحث الذي قدمه أحمد بن بيلا، ذكر فيه سوء استغلال أموال النفط، وتحت عنوان «أموال النفط العربي تدعم نظاماً اقتصادياً جائراً» جاء هذا المقطع: «إن المملكة العربية السعودية تودع وتستثمر في الولايات المتحدة

(١) تصدر باللغة الانكليزية في عدد يوليو ١٩٨٣ م.

الأمريكية (١٧٠) بليون دولاراً، كما ذكر الرئيس السابق «كارتر» بنفسه وهو يستقبل الملك فهد في زيارة رسمية لأمريكا، عام ١٩٧٧م».

ويعلق ابن بيلا على ذلك: «بأن ضخّ الأموال الطائلة من النفط العربي في نظام الإقتصاد العالمي هو اهدار واضح لإمكاناتنا الطبيعية والبشرية، ويوثق تكميل أقدامنا بسلاسل لافكاك منها» (١).

وهنا ننقل مقاله «فهد» من واقع المحاضر الرسمية لجلسات مؤتمر القمة التاسع (٢)، لقد اعتذر فهد عن التبرع لسوريا وفلسطين ولبنان والأردن بأكثر من (٨٠٠) مليون دولاراً، حينما زعم بالحرف الواحد يقول: «إن تبرّعنا هذا ليس إلزامي» «!!» وأن على السعودية التزامات لدول أخرى «!!» وأن هذا المبلغ يبقى سارياً لمدة ثلاث سنوات يمكن أن نزوده بعدها في حال تحسّن أوضاع المملكة» «!».

وأن المملكة ملتزمة بأكثر من (٥) آلاف مليون وثلاثمائة مليون للدول العربية الأخرى خلاف هذا المبلغ وقيمة أسلحة هذه الدول «مصر والسودان واليمن الشمالي»، والسعودية ملتزمة بأكثر من (٣٠) ألف مليون للجيش والحرس والدفاع المدني وقوى الأمن. مع العلم- اخوان- فيه نقص في ميزانية المملكة السعودية (١٥) ألف مليون «!!». هذه هي الأسباب- اخوان- اخوان- التي دعت المملكة لا تزيد تبرّعها الى ألف مليون».

ومن أجل هذا يتذرّع الفهد الأمريكي بالعجز المالي، وبالالتزامات «الدفاع والأمن» التي هي التزامات لخلق الشعب الجزيري والأمة الإسلامية.. ويتذرّع بالتزامات السعودية لعملاء أمريكا والصهيونية، كالسادات والنميري

(١) مجلّة «الأكسريس» الفرنسية في ٢٠ أكتوبر-تشرين أول ١٩٧٤م.

(٢) المنشورة في العدد (٤٥- ٧٢٨) الصادر في ٢٢- ٢٩/٤/١٩٧٩م من مجلّة «الكفاح العربي» اللبنانية.

وعلي عبدالله صالح وقابوس وسياد بري وغيرهم.

أما الجهاد الذي فرضه الله بالقرآن بقوله تعالى: «وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم»: طبعاً الأموال الحلال والأنفس المؤمنة، فهذا محرم- سعودياً ووهابياً- يحرمه العجز المالي لا الجنسي طبعاً. وتعمير المساكن والمقابر وتعمير القصور في أنحاء أوروبا مباح. والمحرم هو تعمير بيوت لبنان وجنوب لبنان التي هدمتها معدات أمريكية بالنفط السعودي ومنتجاته.

وما سحب «الجيش السعودي» والضغط السعودي على الامارات لسحب جيشها من لبنان، في وقت أعلن فيه عضو الكتائب والشماعنة «سعد حداد» دويلة لإسرائيل في نيسان ١٩٧٩م إلا ضمن هذا الاتفاق السعودي «الاسرائيلي» الأمريكي بعدم الاعتداء (١)!. وبالصمت دوم النعم!.

«فهد» الذي أركمت الأنوف رائحة مفاصده التي كان يمارسها منذ أن دخل معترك الحياة وفتحت عيونه على ما يدور فيها، عندما وصل الى الملك!! بدأت منذ ذلك الوقت تخرج دعوات وصيحات تلتقي كلها وتصب في مجرى واحد، وهو دفع البلاد إلى الفساد والانحلال، وتمييع المجتمع، ومن ثم تضييع القيم التي يؤمن بها. ومن تلك الدعوات ما انتشر أخيراً حول ضرورة فتح السيئات بشكل رسمي (بالطبع هناك سينمات) منتشرة ونواصي الرياض وجدة في معظمها توجد فيها سينمات بشكل علني وتعرض أفلاماً أقل ما يقال عنها أنها لا تخدع إلا أعداء ديننا ومجتمعنا ووطننا، وهناك سينمات شركة آرامو، والتي يشرف على اختيار أفلامها عقول غربية ١٠٠٪ بالإضافة إلى الانتشار الرهيب في أشرطة الفيديو الخليعة. ومن تلك الصيحات ما طرحته بعض الجرائد والمجلات الأخرى، ودارت بعض الهمسات في موضوعه، الا وهو

(١) ناصر السعيد «تاريخ آل سعود» ج ١ ص ١١١

الاختلاط في المدارس. فقد طرحت بعض الجرائد والمجلات أحاديثاً حول ضرورته، وأهميته في هذا العصر المتقدم.

ولهذا السبب كان خطاب فهد الذي ألقاه في «المؤتمر التأسيسي للمجمع الفقهي العالمي» الذي انعقد في جدة بتاريخ ٢٩/شعبان/١٤٠٣ هـ. مركزاً حول ضرورة فتح باب الاجتهاد في هذا العصر المتطور، وقد غطت الجرائد هذه الكلمة على صدر صفحاتها الأولى وبالمنشآت العريضة، وأسهمت بعض المجلات الأخرى في التعليق على الخطاب، وبالذات على نقطة ضرورة فتح باب الاجتهاد.

إن دعوة فهد الى فتح باب الاجتهاد لا تعدو كونها عملية النفاق يقصد به تنفيذ ما يصبو إليه من نشر للميوعة والفساد في مجتمعنا» (١). هذه الصورة الكالحة هي صورة المجتمع الإنساني الراقي كما نسجت الوهابية خيوطه وأوضحت معالمه.

ولمّا كنا في عصر يجيد اللعب بالألفاظ فإن هذا الهوان العام سمي بـ «حكم الإسلام والشعب» واعتبر تحقيقه تلبية لنداء الجماهير!!

وقد ألفنا في السعودية أن الحاكم بأمره يتحدث باسم الأمة!! وأن حراس الإرهاب المسلح يستون أنصار السلام!!

وأن نقض دعائم الدين يسمّى بـ «المنهج العلمي»!! وأن العودة إلى الحيوانية الأولى تسمّى تقدمية!! إلى غير ذلك من المتناقضات...

وظاهر من الدراسة والتطبيق معاً أن الوهابية مذهب سياسي يتوسل بكل الوسائل لإدراك مآربه. وأنه لو كان فكرة إسلامية ولمصلحة الجمهور لكان

الجمهور هو صاحب الرأي الأول والأخير في أخذ أو ترك ما يراه أضمن لمصالحه وأضبط لشؤونه.

لكن مايقع هو العكس، فالجمهور يتجرع كارهاً متاعب هذا المذهب وثقائضه. فإذا تملل قليل له: حذار أن تتحرك!! لا بد أن ترضى بما يلى عليك!!

وَمَنْ الذي يصدر الأوامر؟ حفنة من المسوخين أحاطوا أنفسهم بقداسة مبهمة، وجعلوا من امتلاكهم للمال العام أو من سيطرتهم عليه فرصة لإتلاف أنفسهم وأشياءهم، ثم توزع المسكنة والبأساء على سائر الناس. إن التاريخ لم يعرف حكماً استبدادياً حصّن نفسه بمثل هذه السلاسل من الحصون.

في الإسلام مجموعة هائلة من النصوص التي تحكم تداول المال وتوارثه وتبين كيف ينفق وكيف يكسب. ومعالم الحلال والحرام هي الدين كله. وفي الحديث «الحلال بين والحرام بين» (١). وضماثر المؤمنين هي المرجع الأول في هذا المسلك الشريف. وقديماً كان المحتسبون ينطلقون في الأسواق يمنعون الغش ويرقبون الموازين ويضبطون المعاملات التجارية بضوابط الشريعة ويؤدّبون من يحاول الإعتداء على حدود الله و وظيفة المحتسب جزء من عمل الدولة قديماً في تنقية المكاسب، ونصب مصفاة للحلال والحرام. فهل بقيت مصافي الحلال والحرام ماثلة في موطن الإسلام الأول الحجاز تردّ السحت، وتفرش العقّة، وتقيم حدود الله؟؟

وآل سعود بإزاء المال صنوف:

(منهم) من يسمّيه الحجازيون بالنّهَاب. الوّهَاب!! والنّهَاب الوّهَاب يجيد

اصطياد المال حيث بدا له، فإذا امتلكه لم يلبث في يده إلا ريثما يعرف الوجهة التي يذهب إليها فهو كما قال الشاعر:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق
وعيب هؤلاء أن رغبتهم في الإنفاق الخاص والعام، تدفعهم إلى استباحة أمور كثيرة، وهم يعتذرون لأنفسهم في ضمايرهم بأن لا حرج في ذلك ماداموا لم يدخروا ما كسبوا...!! والإسلام يأبى هذا السلوك . وعنده أن العجز عن النفقة في الخير أشرف من السلب والتصدق .

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من اكتسب مالاً من مآثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع ذلك كله جميعاً ففقد به في جهنم (١).

ومن نكت المصيرين أن أحد حكامهم جمع مالاً خبيثاً وبنى منه مسجداً، فكانوا على طريقتهم في غمز الحكام الجائرين- يمترون بالمسجد ويقولون: هذا هو المسجد الحرام، كما يفعل «فهد» الآن عندما يتبرع ببناء مساجد وإهداء مصاحف و... و...

والى جانب الثّاب الوهاب ترى الجموع المنوع! وهذا صنف تملكه شهوة الشراء والرغبة في الإكتناز، فهو يطوف بثروته كما يطوف الوثني بصرمه. وما يخرج منه شيء لله أو للناس إلا بخلع الضرس!! والكانزون للمال على هذا النحو يحبسون خير الله عن التداول والنع. ويملاؤن المجتمع بالعقوق والحق. وفيهم يقول الله جلّ جلاله: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» (٢).

وهناك من يسرق الضياع الرحبة، والقصور المشيدة، ويمشي فيها مختالاً كأنه ماصنع شيئاً!

واختلاف المسالك والمشارب لاغربة فيه..

لكن السؤال الذي تجب الاجابة عنه هو: هل علماء المسلمين يقفون محايدين بإزاء هذه المسالك؟

لقد صحّ أن رسول الله صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ أمين حلال أم من حرام» (١).

فهل علماء الإسلام يتفترجون على هؤلاء؟

وجاء عنه (ص) وقد سئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فأجاب: «الفم والفرج»... (٢).

فهل وظيفة علماء الدين تنتهي عند ايراد هذا الوعيد؟

الواقع أن إقامة حدود الله في الميدان الاقتصادي هو من صميم عمل علماء الإسلام.

إن الحكام الظالمين الذين تولّوا أمر الإسلام حيناً من الدهر، لم يستطيعوا البتة تسخير العلماء الأبرار لتنفيذ أهوائهم أو السير في ركبهم المعوج مع ما أوتوا من قوة بأس وشدة جبروت وتمكين في النيل.

وكيف لا يكون ذلك، وقد نهى العلماء والمسلمون أجمع أن يركنوا إليهم لقوله تعالى: «ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار» (٣).

لذلك نجد منهم الناصحين لهم الرافضين منحهم الصابرين على محنهم، ومنهم المعرضون عن مواجهتهم، والساعون لهذه المواجهة بقصد إسماعهم مقالة الإسلام صريحة جريئة لاغموض فيها ولا كنايات!! ولا استعارات ولا

ذبذبة!! حيث لا يخافون لومة لائم.

إن الإسلام اليوم: يريد من المسلمين- خصوصاً معشر العلماء، وهم على مفترق الطرق- أن يبذلوا أقصى الجهد ومنتهاه، في بيان أحكامه بصراحة وجرأة وحمل الدعوة إليه، جاعلين وجودهم قائماً على أساسه. فإذا هم لا ينصرون حقاً ولا يمتنعون باطلاً، ولا يأمرّون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، ولا يحاسبون حكاماً ولا... فما فائدة وجودهم إذا؟! وكان بطن الأرض خيراً لهم من ظهرها. وليكن علماؤنا اليوم حقاً ورثة الأنبياء. يوزعون على المسلمين حكاماً ومحكومين ميراث نبيّهم الكريم بالقسطاس المستقيم، لا ظالم فيه ولا مظلوم.

وليعلم حكام آل سعود أن حكمهم مهما طال، فانه قصير في عمر الأمة الإسلامية الطويل وأيام العمر تمضي سراعاً، وضمة القبر بفتنته وسؤاله آتية لا ريب فيها، وحساب الله عسير. فالمسلمون في ظلهم أخفض صوتاً وأوطأ ظهراً وأضيق حقاً منهم في ظلّ أيّ حكم آخر.

والنهضة الإسلامية التي تمتد شعاعها اليوم تريد أن تجتنب البشر هذا الهوان، أياً كان مصدره. وتريد أن تحمي المسلمين من لوثات المستبدّين، ومن جنون العظمة الذي يجري في دمائهم.

الفصل الرابع

آل سعود والوحدة الإسلامية

حين أدرك المستكبرون أنهم غير قادرين على اقتلاع جذور الإسلام من البلدان المغلوبة خططوا لتحريف الإسلام وجعله بشكل يتناسب مع مصالح الغزاة الطامعين.

عملية المسخ هذه اتخذت أبعاداً مختلفة أهمها عزل الدين عن الحياة الاجتماعية والسياسية والإقتصادية، وحصره في نطاق الطقوس والعبادات الفردية. وهذا البُعد من أبعاد المخطط استوجب إشاعة فكرة انفصال الدين عن السياسة، ونجحوا في هذا اليعد الى حدٍّ كبير بحيث أضحي الابتعاد عن السياسة من مستلزمات التقوى والإخلاص!!

هؤلاء المتباكون الدعاة الى الإسلام الأمريكي يعيدون إلينا بدعواهم هذه المأساة التي عاشها الغرب وعانها جراء الفهم الخاطئ للعقيدة والمبادئ والتقنية الحديثة، وشثان مابين الطرح الغربي الكنسي، والطرح المحمدي النقي لقضايا الأمة المعاشة.

ففي الطرح الغربي الدين للصلاة أما السياسة وأمور الحكم والأمة فلقيصر وحده من دون الله، بينما في الإسلام يتعاقب السيف مع المحراب دوماً. وليس هناك فرق بين ما لله وما لقيصر، فالكل لله وإلى الله، وما نحن إلا خلائف في أرض الله، والكل عبادة لله سواء لمسة حنان تمررها على رأس يتيم، أم ضربة

بتّار على رأس عدوّ الله ولرسوله وللمؤمنين.

يقول الامام الخميني حفظه الله في هذا المجال: «كان المسجد والمنبر في صدر الإسلام مركزين للنشاطات السياسية، خطط الكثير من الحروب الإسلامية وضعت في المساجد.

.. والغزاة الغربيون توصّلوا من خلال دراستهم للشرق إلى ضرورة إفراغ المسجد والحراب والجامعة من المحتوى الحقيقي، أي القضاء على ما يمكن أن يصدر من المسجد والمنبر والجامعة من عطاء. والذي عملوه في كل هذه المجالات هو أنهم سخّروا إعلامهم ووسائل دعاياتهم إلى إبعاد الدين عن السياسة حتى اشتبه الأمر على بعض علماء الدين الذين اقتنعوا بضرورة الإكتفاء بشرح بعض المسائل الدينية دون التدخل بأيّ امر من أمور البلد ومشاكل الأمة» (١).

وليست هذه الحركة مجديدة علينا، فحركة التحريف قد ابتدأت منذ أن استخدم القرآن لينتصر به باطل، حينما رفع فوق أسنة الرماح وبدأ تحكيم الجور عندما ظنّ أولئك أن الاسلام هو فقط ما بين الدقّتين، وهو فقط هذه الأوراق الصفراء، نعتني بها أن لا يصيبها الغبار، نحفظ ونتفاخر بحفظ ما هو مكتوب فيها، وبأن عندنا إذاعة خاصة تبثّ المنقوش على هذه الأوراق. أما تجسيد الاسلام، والقتال في سبيل إحقاق الحق، وفضح الظالمين المتحكمين برقاب الضعفاء، ومؤامرات الشرق والغرب فهي أمور ليست من الإسلام في شيء.

فالشرعية الإسلامية كما أنها شرعية العمامة، وفتاوى الصلاة والحج والحيض والنفاس، كذلك تعني فيما تعني سياسة الحكم وإدارة الدولة، ورفض دعاوي السوء التي تبيح الركوع أمام الظالمين، وتضافحهم وتكتفي فقط بطلب الهداية لهم دون مجاباتهم، حتى ولو كانوا مسلمين بالهوية.

(١) من حديث للامام الخميني في ٢٣ رجب ١٣٩٩ هـ.

ونتساءل هنا وكلنا دهشة: أولم يكن رسول الله (ص) العابد الزاهد المتذلل لله في محراب صلاته، هو نفسه قائد الحرب ورئيس الدولة وواضع أسسها، أم أن الرسول (ص) كذلك قد نطق بكفراً - وحاشاه أن يفعل - ثم أولم يكن مسجد الرسول (ص) - يوم كان بيت الله تحت وصاية الكافرين - مركزاً للقيادة العسكرية العامة، منها تخرج السرايا وتنشر الرايات وتختار ساعة الصفر. فبالله عليكم ماهو الفرق بين هذا البيت الصغير وبيت الله الكبير في مكة، سوى أن يكون الدور الذي يجب أن يفعله البيت الصغير هو تأهيب الناس لممارسة مثل هذا الدور في بيت الله الكبير الذي هو أمان للمظلومين، لكن والشكوى إلى الله، فقد قلبوا آيات الله، فأصبحت السياسة ومذاكرة أمور المسلمين في البيت الحرام بدعة، وأصبح الدعاء والتنديد وكشف الأعياب الشيطان وحزبه جريمة وكفراً.

وفي الحج يشهد الناس منافع لهم في أيام معدودة، ومن أبرز المنافع في عصرنا هذا الهزيل، حينما يجمع الله الملايين المؤمنة به المخلصة له، الباحثة عن الحقيقة، وهبئ لها الواعين من أبناء هذه الأمة - الذين ترفعوا عن إضاعة الوقت بتكفير واتهام الناس بالشرك والضلال - ليكشفوا لهم أوراق اللعبة الشيطانية الخبيثة، من مناورات ساطعة، ورحلات مكوكية، ومساومات على التركيع والانسحاب الإسرائيلي من لبنان، وخيانات الكثرة من أبناء هذه الأمة.

نعم فمن العبادة الطواف والسعي والمبيت والرمي، ولكن ليس تذاكر أمور المسلمين وأحوال الأمة من العبادة، ولعل شؤون الأمة السياسية هي في القمة من هذه الأمور.

لأن رسول الله (ص) قال: «من بات ولم يفكر بأمر المسلمين فليس منهم» (١).

الإسلام الذي يريده الأمريكيان وحلفاؤهم في الشرق الأوسط ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان، ولكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية!

إنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم، ولا يطبقون من الإسلام أن يحكم، لأن الإسلام حين يحكم سينشئ الشعوب نشأة أخرى، وسيعلم الشعوب أن إعداد القوة فريضة، وأن طرد المستعبر فريضة، وأن الشيوعية كالأستعمار وباء، فكلاهما عدو، وكلاهما اعتداء! (١).

هذا «الإسلام الأمريكي» لازال اليوم قائماً مع صورة جديدة مبتكرة. فالإسلام لازال معزولاً عن المجالات الاجتماعية والاقتصادية والمالية في معظم بقاع عالمنا الإسلامي. مع فارق هو أن ادعاء التدين وادعاء الإنشاء إلى الإسلام ازداد في عصرنا الراهن بين كثير من حكام العالم الإسلامي، خاصة بعد الصحوة الإسلامية الأخيرة التي هبت رياحها من بلاد إيران الإسلام، لكن الإسلام الذي يتبجح به بعض هؤلاء الحكام لا يصدهم عن ارتكاب أية جريمة بحق الإسلام والمسلمين، بل يجدون في الإسلام بين أيديهم مبررات لكل هذه الجرائم، وفي ضوء هذه المبررات مدّوا يد الصداقة إلى العدو الإسرائيلي، وعقدوا معه المعاهدات السرية والعلنية، ومهدوا للاعتراف الرسمي بوجوده، واستناداً إلى هذه المبررات الدينية المسوخة تجمعوا لضرب الثورة الإسلامية في إيران والقضاء على الصحوة الإسلامية في عالمنا الإسلامي.

ويندد الامام الخميني بتلك المؤتمرات التي تعقد باسم معالجة قضايا المسلمين، لأنها انتهت إطلاقاً بما يعانيه المسلمون من المآسي، ولا يتطرقون إلى قضايا الإسلام المصيرية: «هؤلاء الذين اجتمعوا في الطائف - مهد الإسلام -

(١) الأستاذ سيد قطب «دراسات إسلامية».

يعربون عن ولائهم للإسلام، ولكن ماذا قالوا؟ وماذا فعلوا؟ هل تطرّقوا إلى هؤلاء الأطفال الأبرياء الذين يُتموا على يد الصهيونية؟ وهل ذكروا شيئاً عن جنوب لبنان؟ وهل تطرّقوا إلى البلدان الإسلامية التي تن تحت وطأة القوى العظمى وحلفائها؟ ألم ير هؤلاء الذين يدعون الإسلام كيف تداس كرامة جميع الدول الإسلامية بأقدام القوى الكبرى؟ ألا يعلمون ماذا يحدث الآن في جنوب لبنان وفلسطين والعراق وسائر البلدان الإسلامية؟ وما يعاني منه شعوب هذه البلدان؟ وكم طفل سُرد ويُتم؟!...» (١).

فوجود الإسلام المسوخ في العالم الإسلامي يشلّ الطاقات البناءة في مجتمعنا ويصدّها عن الحركة نحو استعادة وجودها ويبعد الجماهير المسلمة عن قيادتها الواقعية ويجعلها خاضعة لقيادات زائفة منافقة متفرقة، كما أنّه يفوّت فرصة وحدة الفكر والعواطف على الأمة الإسلامية.

من هنا لا يمكن أن نحقق أمتنا الإسلامية وحدتها الحقيقية إلّا إذا عادت إلى إسلامها الواقعي ووقفت بوجه عملية مسخ الإسلام وتشويهه.

الحجّ وبيت الله العتيق:

يعرّف الحج لغة: القصد، وشرعاً: المناسك المعروفة وقت الحج. والبيت العتيق هو الكعبة أو المسجد الحرام، ووصفه بالحرام لأنه بيت أمان وسلام، وراحة واطمئنان، يجب تقديسه ويحرّم هتكه حتى الصيد يحرم صيده هناك على المُحلّ والمحرم.

أمراً لله نبيه إبراهيم عليه السلام ببناء بيته من حجر وطين وجعله خاصاً بعبادته وألزم المؤمنين بالتوجه والرحيل إليه من استطاع إليه سبيلاً، وفيه تتم

(١) من كلمة للامام الخميني أمام أطفال شهداء العراق ولبنان وفلسطين.

العبادة الخالصة له وحدة، هذه الأحجار التي لا تنفع ولا تنصر جعلها الله رمزاً للوحدة والاجتماع وإشعاراً بالعبودية له وحده. فيه يأمن الجميع، فيلقى السلاح ويأمن المتخاصمون وتحقن الدماء، وحصانته هذه للجميع سواء المقيم فيه أو الطارئ عليه.

أمر الله سبحانه نبيه إبراهيم (ع) بجعله دار عبادة ودار توحيد، لا شرك فيه ولا كفر، ولا أصنام ولا أوثان مطهراً من الرجس والدنس. فلقد كان مشركوا قريش يمنعون الناس من الدخول إلى دين الله - الإسلام - شريعته الغراء ونهجه الحياقي القويم، كانوا يمنعون المؤمنين من الحج والعمرة إلى بيت الله، فحذرهم الله سبحانه وتعالى من التمادي في غيهم هذا، وهدد بالعذاب من يميل وينحرف عما أمر إليه وأساء لمن قصد بيته، وهذا ما جاء في قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَاد...» (١).

يقول الشهيد سيد قطب (٢): «والقرآن الكريم يهتد من يريد اعوجاجاً في هذا النهج المستقيم بالعذاب الأليم: «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ».. فما بال من يريد ويفعل؟

إن التعبير يهتد ويتوعد على مجرد الإرادة زيادة في التحذير، ومبالغة في التوكيد، وذلك من دقائق التعبير. وقد بين سبحانه وتعالى لإبراهيم (عليه السلام) مكان البيت وأمره بإقامة قواعده وبنائه ودعوة الناس إليه وهذا ما جاء بقوله تعالى: «واذبونا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً..» إلى آخر الآيات (٣).

فقد هيأ مكان البيت له وأمر ببنائه وتوحيده فيه وتطهيره، وقد وعده بأن

(١) سورة الحج/ آية ٢٥. (٢) سيد قطب «في ظلال القرآن». (٣) سورة الحج/ آية ٢٦ وما بعدها.

يستجيب الناس لدعوته يأتوه مشاةً وركباناً من كل صوب وحذب من أنحاء المعمورة في شوق وحنين.

روي مرفوعاً عن أنس بن مالك قال: «سمعت رسول الله (ص) يقول: إن الله تعالى يباهي بأهل عرفات الملائكة يقول: ياملائكتي انظروا عبادي شعثاً غبرا أقبلوا يضربون إليّ من كل فج عميق فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئتهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم...» (١).

قد أمر النبيان إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام بتطهير الكعبة عن كل قذارة ولوث وتركيتها عن كل رجس ورجز. قال تعالى: «وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» (٢) ومعه لاجمال لقذارة الوثن، ولا للوث الوثني، ولا موقع لرجس الصنم، ولا لرجز الصنمي، إذ العابد والمعبود كلاهما في النار: «انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم» (٣).

وهذا التطهير عهدٌ إلهي لا ينال الظالم كما لا يناله الظالم، إنما يناله الخليل والذبيح والكليم والمسيح والحبيب وسائر الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل صلوات المصلين.

وهذا البيت الطاهر بما فيه الحجر الأسود يمين الله «الذي كلتا يديه يمين» (٤) فلا تمسها الأيدي الدنسة، وكما أن القرآن الكريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون، أي لا يمس ظاهر القرآن وخطوطه المكتوبة إلا المطهرون من الحدث، كذلك الكعبة الطاهرة لا يطوف حولها ولا يستقبلها في شؤونها العبادية

(١) العلامة الطبرسي «تفسير مجمع البيان».

(٢) سورة البقرة / آية ١٢٥.

(٣) سورة الأنبياء / آية ٩٨.

(٤) الفتوحات: ج ١ ص ٦٦٦.

إِلَّا الطاهرون؛ إِذْ الطَّيِّبُ للطَّيِّبِ كَمَا أَنَّ الْخَبِيثَ لِلْخَبِيثِ. وكما أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مَرَّةً نَقِيَّةٌ يَرَى النَّاطِرُ صُورَتَهُ الْجَمِيلَةَ أَوْ الْقَبِيحَةَ فِيهَا، وَلِذَلِكَ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ، وَيُضِلُّ بِهِ الْفَاسِقِينَ، كَذَلِكَ الْكَعْبَةُ مَرَّةً صَافِيَةٌ يَرَى النَّاطِرُ مَنْظَرَهُ الْجَمِيلَ أَوْ الْقَبِيحَ فِيهَا، يَهْدِي بِهَا اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ، وَهُمْ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمْ: «وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً» (١).

وهؤلاء لَا يُوقِفُونَ لِلطَّوْفِ حَوْلَهَا وَالصَّلَاةَ نَحْوَهَا، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الشُّؤْنِ الْعِبَادِيَةِ (٢).

الحج مؤتمر المسلمين الحقيقي:

ليس أحد يستطيع أن ينكر الفوائد المادية والأدبية التي تنجم من اجتماع العناصر المختلفة من أمة كبيرة كالأمة الإسلامية في صعيد واحد. من يريد أن ينكر ذلك فلينظر حتى في كتب أعداء الإسلام وما كتبه عن الحج من أنه مثار الوحدة الإسلامية والباعث إلى نفوس الآخذين بهذا الدين روح الانضمام والتآلف.

فالْحَجُّ هو اجتماع الألوف المؤلفة من المسلمين - المبعثرين في سائر أرجاء العالم المختلفين في الأجناس واللغات - في بقعة واحدة ملتين بالروح والجسم معاً نداء ربهم وهم من بساطة الملبس، والتساوي في الدرجات على صورة لا توازيها صورة في أي شرع من الشرائع ولا مدنية من المدنيات الأرضية. وهم بين حاكم ومحكوم، وأمير وأمور، وغني وفقير، أبيض وأسود، عزي وأعجمي، شرقي وغربي، شمالي وجنوبي، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً. والكل شخوص بالأعين

والأفئدة إلى نقطة واحدة ليس في ضمائرهم إلّا موضوع واحد: تركوا الأهل والوطن، وهجروا المال والسكن، خاضوا غمرات البحار الزاخرة، واقتحموا الصحارى الغامرة، لعبت هوج الرياح بهم تارة على السفائن، ولفحتهم لوافح السموم طوراً في السباسب، خلعوا عاداتهم وتقاليدهم، وغيروا لباسهم وما كلهم.

كل ذلك يوحى إلى سرائرهم، وينقش في صميم روعهم، ويصور لهم في لباب فطرهم، حقيقة معنى «الله أكبر» وناهيك برجل يعتقد بأن الله أكبر من كل شيء، فمن يدين بهذه العقيدة لا يرضخ للذل ولا يستكين للعبودية ولا يلين قياده في يد غاشم. من يعتقد أن الله أكبر لا يخاف بطش العوادي ولا يهرب قرع الحوادث ولا ترتعد فرائضه من نازلة مهما عظمت. من يعتقد أن الله أكبر لا يستعظم الأقوياء ولا يكبر الأعلياء ولا يستخذي للكبراء.

نعم، من كان يعتقد أن الله أكبر على هذه الصورة كان مسلماً حقاً. ولو قلت: إن الذي سماهم آبائنا الأولين، فرفعهم في بضع وعشرين إلى عليين هو محض اعتقادهم أن الله أكبر، لما كنت مغالياً في المقال، ولا ذاهباً بالقارئ مذاهب الشعر والخيال.

ذكر الله سبحانه وتعالى.. بأن موسم الحج فيه منافع يشهدها الحجاج، والمنافع هذه حسبما ذكرها المفسرون - منافع دنيوية وأخروية، وهي كثيرة. ففي هذا المؤتمر العالمي تمتزج آمال الدنيا والآخرة، ويتعارف المسلمون على اختلاف ألوانهم ولغاتهم، يتشاورون ويضعون البرامج والخطط للأمة الإسلامية.

إن امتزاج الآراء والأفكار، والتطابق والتفاهم والتعاون والتكافل سيخلق مجتمعاً وسيقماً كما يقول العلامة الطباطبائي قدس سره: «له من القوة والعدة

مالاتقوم له الجبال الرواسي، ولا تقوى عليه أي قوة جبّارة طاحنة، ولا وسيلة الى حل مشكلات الحياة كالتعاضد، ولا سبيل الى التعاضد كالتفاهم، ولا تفاهم كتفاهم الدين» (١).

نعم هذا هو الحجّ الحقيقي: الطاعة والانقياد، الشعور بالمسؤولية والواجب، الإنضواء تحت لواء واحد، لا فوارق فيه ولا تمايز، لا أحساب ولا أنساب ألا وهو لواء الدين.

كثيراً هم الحبيج الذين يتوافدون على مكة المكرمة. يطوفون بالبيت، يقبلون الحجر الأسود كما قبله نبي الإسلام (ص)... لكن هل يكفي ذلك في أن يحصل الإنسان على صفة الحاج وثوابه؟ نحن نعتقد أن الحجّ مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتق المؤمن الذي يقف في البيت، ويسعى ويهرول، ويشخص بطرفه نحو السماء، يجب أن يعلم أنه يعاهد الله، وأن الله أوجب عليه تأدية ما أمره بأحسن وجه، ونبذ ما نهاه، لذا أن شعوره يكون مسؤولاً أمام ربّ قدير في سلوكه وتصرفاته، في معاملاته وممارساته... هو الحكمة المتوخاة من حجّه ومسعاها حيث سينطلق في تحرير نفسه وقومه ومجتمعه من الأغلال والقيود، من الرجس والدنس لكي يصفو ومجتمعه في كمال نحو الخير والصلاح، وإلا لافائدة في حجّه.

روي عن النبي (ص) قوله: «يأتي زمان على الناس يخرج أغنياؤهم إلى بيت الله للسياحة، وفقراؤهم للتجارة، وعلمائهم للسمعة، وقلة منهم تخرج لوجه الله» (٢) وصدق رسول الله (ص).

لقد كان المسلمون الأولون يتخذون من الحج سبيلاً للتعارف والدراسات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكان هذا اقتداءً بالنبي (ص)

وآله وأصحابه والأئمة الراشدين.

فالنبي (ص) ألقى خطبة الوداع التي استعرض فيها خلاصة دقيقة للأحكام الإسلامية في عرفة، والأئمة عليهم السلام كانوا بأنفسهم يتولّون رئاسة موسم الحج، وكان الخلفاء يتخذونه طريقاً لتعرّف أحوال المسلمين وأحوال الولاة، ويلتقون بجميع ولاة الأقاليم فيه، ويتبادلون معهم الرأي والشورى في شؤون المسلمين، واتخاذ التوصيات اللازمة لإدارة دقة الحكم في الأقاليم عامة، وفي كل اقليم خاصة.

كتب الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي في هذا الصدد: «عرف الخلفاء قيمة هذا الموسم العالمي، فجعلوا منه ساحة لقاء بينهم وبين أبناء الشعب القادمين من كل فجّ عميق. وبين ولائهم من الأقاليم، فمن كانت له من الناس مظلمة أو شكاية فليتقدم بها الى الخليفة ذاته بلا وساطة ولا حجاب، وهناك يواجه الشعب الوالي أمام الخليفة بلا تهيب ولا تحفظ، فيغاث الملهوف وينصف المظلوم ويردّ الحقّ الى أهله، ولو كان هذا الحقّ عند الوالي أو الخليفة» (١).

وعلماء الحديث كانوا ينتهزون فرصة الحج ليتبادلوا الرواية، والتقاء التلاميذ بشيوخهم، وأخذ الأقران بعضهم عن بعض، والفقهاء يتلاقون في موسم الحج، ويتذاكرون في مسائل الفقه، وكل فقيه يعرض على صاحبه كثيراً مما يسأل عنه في مدرسته، وما ينتهي إليه، فيلتقي أبوحنيفة بمالك، ويلتقي أبوحنيفة بالأوزاعي ويتذاكرون ويلتقي أبوحنيفة بالإمام محمد الباقر وابنه جعفر الصادق عليهما السلام، ويلتقي الإمام أحمد بالإمام الشافعي (٢).

وهكذا كان الحج في الماضي سبيل التعارف الإسلامي، وإنه يجب علينا

(١) د. يوسف القرضاوي «العبادة في الإسلام».

(٢) عبد الكريم بي آزار الشيرازي «الوحدة الإسلامية» ص ١٣٢ الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - بيروت.

أن نعود به إلى ما كان عليه السلف الصالح، فنجمع فيه بين العبادة والنسك وبين المصلحة العامة للمسلمين، ولتحقق قوله تعالى: «ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام» (١).

لقد عزل الوهابيون العبادة عن بقية الإسلام، حتى كأن الإسلام منحصر فيها دون بقية الأجزاء كالجهاد مثلاً. ومع أن أكثر الناس - إن لم نقل كلهم - يعلمون أن الإسلام ليس هو العبادات المخصوصة فحسب، فإنهم أهملوا الجوانب الأخرى، وغضوا النظر عنها وأنزلوا مرتبتها.

ودعا الوهابيون إلى الإعراض عما سوى هذه العبادات (الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج)، فالجهاد وإنكار المنكر ورد الطغيان والإستعمار، ومقاومة الظلم والعمل في جميع ما ينفع المسلمين من الأمور العامة، كل ذلك في نظر الوهابيين فضول يشغل عن الله وعن عبادته واشتغال الإنسان بما لا يعنيه. وقد جهلوا أن هذا من صميم العبادة بل أكثره من الفروض العينية أو فروض الكفاية. وبينما كانت مقاييس الصلاح والتقوى في الإسلام شاملة لجميع الواجبات التي أوجبها الإسلام من عبادات خاصة وجهاد وعلم وعدل وعمل نافع للناس واستقامة في المعاملة وإحسان، كل ذلك مقروناً بتوحيد الله والإخلاص له، أصبحت مقاييس التقوى محصورة في العبادات بالمفهوم الوهابي الضيق من صلاة وصوم وحج وعمرة.

وهكذا أعانت هذه الفكرة التي عزلت العبادة عن بقية أجزاء النظام الإسلامي الشامل على ضعف الوعي السياسي والاجتماعي بل الأخلاقي في أمتنا الإسلامية.

فقراءة القرآن وتلاوته لفظاً أصبح بديلاً عن العمل بما فيه، من آيات الجهاد

والنظر الى الكون والتفكير فيما خلق الله وإقامة العدل والميزان بالقسط والحكم بما أنزل الله واستثمار ما في الكون من نعم الله مع أن ذلك كله عبادة. ومثل هذا جعل العبادة نفسها بديلاً عن الأسباب لإنتاج النتائج، فبينما كان الرسول (ص) يستعدّ لقتال المشركين كل الإستعداد كما أمره الله تعالى ويدعو الله ويبتل إليه بنصره، نرى في يومنا هذا أن الوهابيين يجعلون الصلاة والدعاء المأثور منه والمبتدع والمخترع، بديلاً عن الأسباب فيلتمسون الرزق والشفاء والنصر، لا بأسبابها المشروعة التي جعلها الله سبباً وطريقاً إليها، بل بأدعية خاصة يقتصرون على تلاوتها، وربما اخترعوا لذلك رقي وتمايم (حجباً) وأوراداً ابتدعوها، مع أن طريق الإسلام في كتابه تعالى وستة نبيه الكريم (ص) في هذا ظاهر واضح: فإن الإسلام نظام كامل يشتمل على أجزاء لكل منها نسبته وموقعه ودرجته، وقد أضاع الوهابيون في فهمهم للإسلام هذه النسبة فكبروا وصغروا، ورفعوا وخفضوا، فبدت صورة الإسلام متغيرة متبدلة. وقدروا قيم الناس كذلك بغير المقاييس الصحيحة.

الموقف السعودي من البراعة من المشركين:

عرف العالم، منذ الخليقة، مؤامرات كبيرة، ومؤامرات عديدة وكثيرة، وعرف مؤامرات على الأرواح ومؤامرات على الأموال ومؤامرات على الأعراض ومؤامرات على العروش ومؤامرات على البلاد ومؤامرات على المبادئ والعقائد وغير ذلك.

وعرف مؤامرات يشترك بها أفراد ومؤامرات يشترك بها جماعات ومؤامرات يشترك بها أقوام في نطاق محدود من الأرض، ولكنه لم يعرف حتى اليوم مؤامرة كالمؤامرة التي يواجهها الإسلام والمسلمون في يومنا هذا ولا سمع بمثلها أبداً لامن حيث تشعبها وتغلغلها في كل الأوساط العالمية، ولا من حيث دوامها

واستمرارها وتصميمها، ولا من حيث كثرة المشتركين فيها ومؤيديها، ولا من حيث بُعد أهدافها ومراميها، ولا من حيث اشتغالها وتعميمها على الإسلام والمسلمين جماعات وأفراداً وشعوباً وأقواماً.

ولولا أن بناء الإسلام بناء قوم ودعائمه متينة وأساسه راسية فوق صخور لتضعضت أركانه وتلاشى بنيانه من أثر الضربات التي نزلت به وتنزل كل يوم بلا هوادة ولا رحمة، ولكنه بناء بناءة الله أحسن الخالقين فأحكمه وأتقن صنعه ودعم أسسه وثبت أركانه، فاستطاع أن يصمد أمام كل المؤامرات السابقة وأن يتحمل كل الضربات بشجاعة ورباطة جأش، لابل وأن يردّ كيد المتآمرين في نحورهم ويدفعهم إلى جحورهم خائبين خاسرين يعصّون على الأنامل من الخيبة والندم.

غير أن المؤامرة التي أعدها أعداء الإسلام ومازالوا يعدّونها وينفذون فصولها تختلف عما أعدوه بالأمس كمّاً وكيفاً ونهجاً وتخطيطاً، فهي أشدّ هولاً وأبعد خطراً وأكثر شراسةً وأفظع ضراوةً وأعمق لخدّاً وأوسع من كل مؤامرة سبقتها أو ينتظر أن تليها، فهي مؤامرة يصحّ أن نسميها بـ «المؤامرة الكبرى للجامعة» لأنها في واقع الأمر مجموعة مؤامرات في مؤامرة واحدة وذلك لأن كل مؤامرة من مؤامرات الأمس كان يتولّى كبرها فريق من الناس أو قوم من الأقوام ضدّ فريق من المسلمين وتستهدف ناحية واحدة من نواحي الإسلام أو جماعة معينة من جماعاته في بلد معيّن، في الشرق أو في الغرب.

وأما مؤامرة اليوم فقد أعدها العالم بأجمعه وهي تستهدف الإسلام والمسلمين أصلاً وفرعاً، ديناً وكياناً، تراثاً وتاريخاً، أينما وجدوا على سطح هذه الكرة الأرضية وتستهدفهم جماعات وأفراداً عقيدةً ومبدأً وداراً ووطناً ومتاعاً ومالاً ونظاماً، أو بمعنى آخر إنها تستهدف الإسلام مبدأً وعقيدةً ونظاماً اجتماعياً وتستهدف المسلمين كياناً وأرضاً وثقافةً وتراثاً أو بعبارة أفصح وأوضح تستهدف

محو الإسلام والمسلمين أو محو الإسلام بالقضاء على المسلمين. ولن يكون القضاء على المسلمين قضاءً جسدياً، لأن هذا غير مستطاع، بل قضاءً عقدياً بصرفهم عنه إلى الإلحاد أو إلى دين آخر.

ولم يسبق أن استهدفت أية مؤامرة من المؤامرات التي حدثت فوق سطح هذه الأرض كل هذه الأمور مرة واحدة ولا سبق أن كانت أمة من الأمم هدفاً لمثل هذه المؤامرات المجتمعة في مؤامرة واحدة.

ومما يزيد في هذه المؤامرة خطورة كونها مؤامرة عالمية اشترك في تنظيمها وتديرها وتمويلها والإعداد لها والعمل في سبيلها وتوقيتها كل أعداء الإسلام في الشرق والغرب وكل الملحدين والضالين واللاأخلاقين ووضعوا كل ثقلهم المادي والمعنوي والعلمي والأدبي وجميع إمكانياتهم بأنواعها للقضاء على الإسلام والمسلمين.

وإن ما حدث مؤخراً في مكة المكرمة، والحرب العدوانية الظالمة على جمهورية إيران الإسلامية، وما حدث في فلسطين ولبنان، وما يجري في أفغانستان وباكستان والحبشة وقبرص وتشاد ونيجيريا وفي أندونيسيا وفي الفلبين وفي الهند وفي البلاد الشيوعية وفي دول الخليج كلها إنما هو جزء من هذا المخطط العالمي للقضاء على المسلمين.

لم تعقم الأمة الإسلامية - وهي الودود الولود - من إنجاب علماء عاملين، أو شخصيات إسلامية، جمعوا بين العلم الغزير والرجولة الحققة، بعد أولئك الذين أمتحنوا في دينهم، وعذبوا من أجل إسلامهم، الذين أحبوا الموت في سبيل الله، كما أحب غيرهم الحياة، من علماء السلف الصالح رضوان الله عليهم، بل لم يبخل الله سبحانه وتعالى - وهو الجواد الكريم - على عباده المؤمنين، بأن جعل منهم صفوة طيبة، من أهل العلم والمعرفة في كل حين، تنذر وتبشر، وترشد وتعلم، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، تمنع الظلم وتنصر المظلومين، وتبين

طريق الفلاح والنجاح، طريق الإسلام المستقيم، سالكةً درب أولئك العلماء الرجال، في طريق حمل الدعوة الإسلامية، وتحكيم شرع الله في كل علاقات المجتمع، علاقات الدولة، وعلاقات الأفراد والجماعات، محاسبين الحكام، ناصحين الرعاة، واقفين بشجاعة بوجه الكافر المستعمر، وعملائه وأذنا به، من حكام الظلم والسوء، من الذين فرطوا في جنب الإسلام، وساموا أُمته عذاب الهون.

إنه صوت الموسوي الخميني.. علويّ من أحفاد رسول الله، فقيه عالم متخصص في العلوم الإسلامية ومتعمّق في مصادر الشريعة، وأستاذ تخرّج على يديه الفقهاء والعلماء.. فهو إذاً صوت أصيل يصدر عن فهم عميق دقيق للكتاب والسنة.

هذا الرجل استطاع أن يحوّل شعار «الله أكبر» الذي يرتفع يومياً من مآذن المسلمين الى حمم وصواعق هزّت عروش الطواغيت وقصّت على المستكبرين مضاجعهم.. وحوّل تجمّعات المسلمين في الجمع والجماعات إلى مدارس للتوعية والتعبئة. وحوّل الأذكار والأدعية إلى عوامل تزيد للهمم والعزائم.. وعلم شعبه أن يجمع بين قيام الليل والقتال في سبيل الله، وأن يمارس معركة ضدّ أهواء النفس وشهواتها ونزواتها! إضافة الى خوضه معركته المسلّحة ضدّ الطغاة والظالمين.

الحجاج الإيرانيون الذين تغيّروا في ظلّ الحدث الإسلامي الكبير في إيران، وبدأوا يفهمون العبادات كما كان يفهمها المسلمون في صدر الإسلام، وأصبحوا يعيشون الإسلام في إطاره الشامل الكامل، ويأبون الخضوع الى الطواغيت والمنحرفين. هؤلاء الحجاج بدت على حجّهم مظاهر لم ترق للحكام السعوديين، هؤلاء ما أرادوا إلّا أن يطبقوا تعاليم الامام الخميني التي هي من تعاليم الإسلام في الحج، فتحرّكوا للإتصال بحجاج البلدان الأخرى للتعرف

عليهم وتبادل وجهات النظر معهم بشأن قضايا المسلمين ومشاكلهم وتحركوا في مسيرات تعلن البراءة من أعداء الإسلام بما فيهم إسرائيل وأمريكا وروسيا. ورفعوا أصواتهم بالتكبير وبدعوة المسلمين إلى الاتحاد وتحرير القدس.

وكل هذه المظاهر الطبيعية لشعب مسلم متحرك ثار على كل أعداء الإسلام وحقق حتى الآن انتصارات عظيمة في حقل البناء والصمود والمقاومة.

لكن هذه المظاهر الحية الوثابة قوبلت من جانب الحكام السعوديين بقساوة ووحشية بالغتين، تعرّض المسلمون- الإيرانيون وغيرهم ممن شاركهم في تحركهم- في بيت الله وفي حرم رسول الله إلى الضرب والشم والاعتقال والنفي، بل وحتى إلى انتهاك الحرمات في بيوت الحجاج!!

لقد خصص الوهابيون رسالة محمد بن عبد الله (ص)، وهداية الذكر الحكيم بعصر خاص دون غيره. فالبراءة من المشركين حسب النظرية الوهابية كان في زمن النبوة. أمّا الشيوعيون والأمريكيون والإسرائيليون فهم غير المشركين. وكل منصف يعتبر إجرام الشيوعيين والأمريكيين والصهيونيين أشدّ ضرراً بالإسلام والمسلمين. فذلك ليس من الإسلام في شيء حسب المفهوم الوهابي، بل سَمَتُ التنديد بجرائم الاستعمار والبراءة من الملاحدين بدعة بل شركاً وكفراً. ويجب التصدي بالسلاح له والقضاء عليه كما حدث للحجاج الإيرانيين وغيرهم في مكة المكرمة في يوم الجمعة ٦/ ذي الحجة الحرام/ ١٤٠٧ هـ، والذين استشهدوا برصاص الغدر السعودي- الوهابي.

إن تلك الدعوى الوهابية الخبيثة التي تتجه اتجاهاً مباشراً إلى تجريد المسلمين من القوة، وخلق عقدة نفسية بينهم وبينها، فذلك هو الغرض الذي تحاول تلك الدعوى الوهابية أن تحققه في المجتمع الإسلامي، ليتعرى من القوة وأسبابها، وليظل أعزل من كل سلاح، على حين يعمل أعداء الإسلام والمسلمين جاهدين على الإعداد للقوة، والأخذ بكل أسبابها.

فالبراءة من المشركين أمر لا بدّ منه ثم نسأل دعاة الوهابية ما الإسلام؟ أهو مجرد مبادئ وأحكام ملقاة في العراء، لا يلتفت إليها أحد، ولا يتأثر بها إنسان، أم هو مبادئ وأحكام، يؤمن بها الناس، ويعيشون في ظلّها، ويعملون بموجبها؟ فهذه سورة «براءة» تعبّر عن أدقّ موقف سياسي ضدّ المشركين دون شك كما جاء في الذكر الحكيم: «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشّر الذين كفروا بعذاب أليم» (١).

فالبراءة الواردة في هاتين الآيتين هي نداء ربّاني يعمّ البراءة من كل المشركين في العالم وفي كل زمان لا كما فسّرها الوهابيون بأنها تصف مشركي قريش، لتبرأ ساحة الصهيونية والإمبريالية والإحادية من الشرك . فقد أمر رسول الله (ص) الامام علياً (ع) أن يقرأ سورة براءة على المسلمين في موسم الحج، وتعني هذه الآية البراءة من المشركين (٢).

وهناك حوادث تؤكد على جواز البراءة في الحج من الظالمين فضلاً عن المشركين. ويحدّثنا التاريخ أن الخليفة الثاني عمر أتاح لشاب قبضي نصراني أن يضرب بالسوط ابن عمرو بن العاص لأنه تجنّب على الشاب القبضي وضربه بالسوط إذ تقدّمه يوماً بفرسه ثم يأمر الخليفة القبضي أن يضرب ابن عمرو!..

(١) سورة التوبة / آية ٣-١ وما بعدها.

(٢) راجع صحيح الترمذي: ج ٢ ص ١٨٣، ومسند أحمد: ج ٣ ص ٢٨٣، والنسائي في خصائصه: ص ٢٠، والسيوطي في «الدر المنثور» ج ٣ ص ٢٠٩، والطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٤٦ ومسندك الحاكم: ج ٣ ص ٥١، وكنز العمال: ج ١ ص ٢٤٦، والدارقطني في «الافراد»، والمحّب الطبري في «ذخائر العقبى» ص ٦٩، ومجمع المهيمني: ج ٩ ص ١١٩ وغير ذلك من مؤلفات أهل السنة.

ثم يلتفت إلى واليه عمرو بن العاص ويؤتخه أمام الجميع: «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!» (١).

كما احتج سبط النبي (ص) الإمام الحسين بن علي عليهما السلام على حاكم من حكام زمانه في منى وقت الحج فقال: «أما بعد، فإن هذا الطاغية قد صنع بنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإني أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قولي ثم أرجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمتهم ووثقتهم به فادعوه إلى ما تعلمون فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متم نوره ولو كره الكافرون» (٢).

كما روى المؤرخون أن هشام بن عبد الملك - وهو أحد أقطاب البيت الأموي - حضر أحد مواسم الحج، وقد حاول أن يستلم الحجر أداءً للمناسك، فأمر مراقبيه وحاشيته من أهل الشام أن يحضروا له منبراً يجلس عليه حتى تحين فرصة يقل فيها تدفق الحجاج، فيؤدي مناسكه، وبينما كان جالساً وحشمه وخدمه محيطون به إذ أقبل الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين (ع) يسير على سكتة ووقار والهيبة تحف به والجلال يوظر كيانه الطاهر، فطاف حول البيت، حتى إذا بلغ الحجر أفرج له الناس إجلالاً واحتفاءً به فاستلم الحجر وأدّى ما عليه من مناسك، ممّا أذهل الشاميين وأثار دهشتهم، فألحوا في السؤال على سيدهم الأموي: من هذا الذي أفرج له الناس إجلالاً؟ فأبدى هشام عدم معرفته له، حنقاً منه وحسداً، وحينها كان «الفرزدق» الشاعر الجريء حاضراً، فأجاب: لكني أعرفه، فطلب الشاميون تعريفهم بالإمام (ع)، فأنشد الفرزدق على الفور، قصيدة تعريفية بالسجاد (ع) جاء فيها:

(١) ابن كثير «البداية والنهاية» ج ٧ ص ٦٠. (٢) الطبرسي «الاحتجاج» ص ١٩.

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته
 هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلَّهم
 إذ أراتهُ قريشُ قال قائلها
 هذا ابنُ فاطمة إن كنتَ جاهلَهُ
 وليس قولك من هذا بضائره
 العرب تعرف من أنكرت والعجم (١)
 وليس غرضنا القصيدة ولا الحادثة، ولا الموقف العدائي، ولكن المهم أن
 نعرف جواز هذا العمل وشرعيته، فلم يحدثنا التاريخ أنه أنكر المسلمون هذا
 العمل وعدم شرعيته.

إن هشام بن عبد الملك قدم حاجباً إلى مكة فلما دخلها، قال: ائتوني برجل
 من الصحابة، ف قيل له: قد تفانوا، فقال: من التابعين. فأُتي بطاووس اليماني-
 العالم الجليل رحمه الله- فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه
 بإمرة المؤمنين ولكن قال: السلام عليك يا هشام، ولم يكته، وجلس بإزائه
 وقال: كيف أنت يا هشام، فغضب هشام غضباً شديداً، حتى همّ بقتله،
 فقيل له أنت في حرم الله وحرم رسوله، ولا يمكن ذلك.

فقال: يا طاووس ما الذي حملك على ما صنعت؟ قال: وما الذي صنعت؟
 فازداد غضباً وغيظاً. قال هشام: خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تقبل
 يدي، ولم تسلم بإمرة المؤمنين ولم تكثني، وجلست بإزائي بغير إذني، وقلت:
 كيف أنت يا هشام؟

فقال: أما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فاني أخلعهما بين يدي

(١) راجع الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢١ ص ٣٧٦، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٤
 ص ١٦٩، والبحار للعلامة المجلسي ج ٤٦ ص ١٢١، والإمام زين العابدين للسيد عبدالرزاق المرقم
 ص ٣٩٥، والبيان والتبيين للجاحظ، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ومطالب السؤل
 للكنجي الشافعي، وتذكرة الخواص لابن الجوزي، ونور الأبصار للشلبنجي.

رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب عليّ، وأما قولك لم تقبل يدي، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يقول: لا يحلّ لرجل أن يقبل يد أحد إلا إمراة من شهوة أو ولده من رحمة، وأما قولك لم تسلّم بإمرة المؤمنين، فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب، وأما قولك لم تكني فإن الله سمى أنبياءه وأوليائه فقال: ياداود، يا يحيى، يا عيسى، وكنى أعداءه فقال: تبت يدا أبي لهب، وأما قولك جلست بإزائي، فإني سمعت أمير المؤمنين علياً (ع) يقول: إذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام.

فقال هشام: عظمي، قال: سمعت من أمير المؤمنين علي (ع) يقول: إن في جهنم حيات كالقلا (١) وعقارب كالبعال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته. ثم قام وانصرف (٢).

وحين قدم سليمان بن عبد الملك مكة وهو يريد الحج أرسل إلى عالم المدينة أبي حازم فلما دخل عليه قال له سليمان: يا أبا حازم، مالنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب، فقال سليمان: يا أبا حازم، كيف القدوم على الله؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسي فكالآبق يقدم على مولاه. فبكى سليمان، وقال: ليت شعري مالي عند الله؟

فقال أبو حازم: أعرض نفسك على كتاب الله تعالى، حيث قال: «إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم». قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريباً من المحسنين، قال: يا أبا حازم، أي عباد الله أكرم؟ فقال: أهل البر والتقوى، قال: فأأي الأعمال أفضل؟ فقال: أداء الفرائض مع اجتناب

(١) القلا: رؤوس الجبال.

(٢) الغزالي «أحياء علوم الدين» ج ٥ الباب السادس ص ١٢٠.

الحارم، قال: أي الكلام أسمع؟ فقال: قول الحق عند من تخاف وترجو. قال: فأبي المؤمنين أخسر؟ فقال: رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنياه غيره، قال سليمان: ماتقول فيما نحن فيه؟ فقال: أو تعفيني؟ قال: لا بد فإنها نصيحة تلقىها إلي. فقال: إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا، فلوشعرت بما قالوا وما قيل لهم. ثم قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبينته للناس ولا يكتُمونه (١).

أسمعت يا أخي مقالة العالمين الجليلين طاووس اليماني وأبي حازم لحاكمين هشام وسليمان، بأيديهما كل أسباب القوة، وهل علمت نتيجة صدق الجواب، وخشونة الكلام وقسوة اللفظ عند من يخشى الله تعالى ولوساعة من نهار.

فإذا كان الحج موسماً لكشف التظلم من ولاية المسلمين بدون تحفظ ولا تيب وجائز شرعاً، فهل فضح جرائم وجنایات الاستعمار والصهيونية لاجبوز!!؟

إن الشعور بوحدة الأمة يصبح سيد الموقف خلال أشهر معلومات هي فترة الحج التي حظيت بشرح مفصل في القرآن الكريم. وهذا الشعور يتجلى في الأفكار التي تتولد لدى الإنسان وهو يارس تأدية شعائر الحج ويتسابق مع الآخرين في الوصول الى الغاية وتحقيق الهدف.

فالحاج الأفغاني يحاول قدر جهده أن يضع تحت عيون الحجاج الآخرين قصة التدخل الروسي في بلاده المسلمة ومسوخ شخصيتها الإسلامية. والحاج الأندونيسي يشرح كيف تعصف الإلحادية القيم الروحية في بلاده. والحاج

(١) الغزالي «الاحياء» ج ٥ ص ١٢١.

الفلسطيني يشرح كيف ان الصهيونية تعمل وتكيد وتتوسل بأبشع الوسائل وأخبثها حتى قام لها وطن قوي في قلب العالم الإسلامي. والحاج الخليجي يوضح لإخوانه المسلمين كيف أن حكام الخليج العملاء لم يناموا عن أداء ماوكله إليهم الإستعمار وسادتهم من الحاقدين.. وهكذا الحاج العراقي والمصري. وكذا التركي الذي يرى في تركيا تتجسم المأساة، فينزوي الدين- بحكم سيوف المنحرفين في ركن مظلم ضيق، وتفتح أبواب الإلحاد والارتواء في أحضان أوربا، والإنسلاخ عن العالم الإسلامي، ووضع خطة للقضاء على لغة القرآن وآدابها وتراثها، وقيام حضارة طورانية يغذيها بعض العلماء الأوربيين بسمومهم الشديدة الاثر..

وفي أفريقيا تتجلى مأساة التفرقة، العنصرية، ومشكلة اللون فينظر الأبيض الى صاحب الوجه الأسود وكأنه كائن آخر غير الكائنات البشرية.

وفي الهند حاول الاستعمار جاهداً أن يبذر بذور الفتنة بين عنصري الأمة المسلمين والهندوس، فارتكبت المذابح، وجرت الدماء أنهاراً و.. و..

إنه لمضحك - وشراً البلية ما يضحك - أن كل صوت يعلو للمطالبة باستثمار موسم الحج ومنافعه من أجل (قيام) الناس، أي من أجل توحيد صفوف الأمة وتعبئة طاقاتها واستعادة كيائها ومواجهة أعدائها فهو خروج عن السنة في عرف المسيطرين على الحرمين وانتهاك لسيادتهم على الكعبة والحرم النبوي الشريف.. وكان ستة رسول الله (ص) جرت على إبقاء المسلمين في جهل وتفرق وتمزق وتبعية لطواغيت الأرض، وخضوع للجبابرة المتحكمين!!

إننا لنقولها بصراحة: إننا نخشى أن يأتي يوم- وخاصة إذا كانت مثل هذه الطروحات واردة بفصل الدين عن الدولة، واعتبار الدعوة لبث الوعي السياسي كفراً والرفض للظلم والظالمين بدعة- يرى فيه المسلم وهو يطوف حول البيت الحرام أخاً له مسلماً بريئاً ينحر في الشارع كالإبل، فيصفق للقاتلين، أو

يكتفي بترديد «لاحول ولا قوة إلا بالله». فلنتضرع إلى الله أن لا يرينا مثل هذا اليوم الذي يريده هؤلاء الجهلة، والله يخاطب إصرارهم على الإفك، وجهلهم الفاضح: «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون» (١).

وللخميني إيمان راسخ بعدم انفصال الدين عن السياسة، بل أكثر من ذلك يرى أن السياسة جزء من الدين، وأن الدين لا يكون كاملاً ما لم يمارس دوره على الصعيد السياسي. واجتماعات المسلمين العبادية تنطوي في ذاتها على عطاء سياسي، ولا يمكن فصل هذا العطاء السياسي عن العبادات، وإلا فقدت العبادات روحها الحركية ومحتواها التكاملي الاجتماعي. يقول في محاضراته: «الاسلام دينٌ عبادته سياسة، وسياسته عبادة. والآن إذ يجتمع المسلمون من شتى بقاع الأرض حول كعبة الآمال لحج بيت الله، وللقيام بالفرائض الإلهية وعقد هذا المؤتمر الإسلامي الكبير، في هذه الأيام المباركة، وفي هذه البقعة المباركة.. يتوجّب على المسلمين الذين يحملون رسالة الله تعالى أن يستوعبوا المحتوى السياسي والاجتماعي للحج، إضافة إلى محتواه العبادي» (٢).

إن الشعارات التي رفعها الحجاج الإيرانيون في مكة المكرمة هي «الموت لأمريكا» و«الموت لروسيا» و«الموت لإسرائيل» و«يا أيها المسلمون اتحدوا» كما أنهم حرقوا العلم الأمريكي على سطح مبنى رسمي لإدارة البرق والبريد والهاتف، وشدّد المتظاهرون وعددهم حوالي مائتي ألف بلافتاتهم وهتافاتهم وشعاراتهم على ضرورة تحقيق الوحدة الإسلامية وتمتينها

(٢) من نداء للامام الخميني عام ١٣٩٩ هـ.

(١) سورة الأعراف/ آية ١٧٩.

وعدم الاستكانة لأعداء الله أو الخضوع للشرق أو الغرب.
ونظراً لانضمام آلاف من الحجاج الآخرين إليها من الهند وباكستان والعراق ولبنان وأفغانستان وعدة دول خليجية وأفريقية وأوربية ، فقد كان هناك العديد من اللافتات والشعارات بلغات غير عربية.

انطلق المتظاهرون باتجاه المسجد الحرام يتقدمهم مجسم كبير للمسجد الأقصى وعشرات من معوقي الحرب العراقية-الايرائية على دراجاتهم انطبية ومئات من علماء الدين من مختلف الجنسيات.

السلطات السعودية وزّعت عند الظهر من يوم الجمعة ٦/ ذي الحجة ١٤٠٧ هـ الآلاف من جنود الجيش والشرطة لقوات الطوارئ والحرس الوطني على الشوارع المؤدية للحرم، بأسلحتهم وآلياتهم وشاحناتهم ومنهم من تجّمع في مبانٍ رسمية أو لبس لباساً مدنياً للتمويه.

وما أن وصلت التظاهرة الى جسر الحجون القريب من الحرم حتى انهالت على مقدمتها الأحجار الكبيرة وقطع الأخشاب والحديد والأوعية المليئة بالرمال التي تستعمل لإطفاء الحرائق من عناصر مدنيّة سعودية تبين فيما بعد أنهم من رجال المخابرات كل ذلك رمي عليهم من فوق الجسر، ثم هاجمتها صفوف من قوات مكافحة الشغب بالهراوات الكبيرة، ولما عجزت هذه القوات عن دفعها الى الخلف ومنعها من إكمال مسيرتها السلمية نحو الحرم المكي وجهت صهاريج الشرطة مدافعها المائية الى المتظاهرين وأطلقت عشرات القذائف المسيلة للدموع في محاولة فاشلة لوقف الضغط على حواجز قوى الأمن المختلفة واستغل الجنود الفرصة وراحوا يطلقون الرصاص الحقيقي على المتظاهرين.

وتحول شارع مسجد الحرام العريض إلى ساحة حرب حقيقية... كثر وفر... إقبال وإدبار... عندها اخترق الآلاف من الجنود المتظاهرين وقسموهم الى عدة أقسام وحاصروهم من شتى الاتجاهات، وبدأت المجزرة

بإطلاق الرصاص المطاطي (قاتل عن قرب) والرصاص الحقيقي عن المسدسات والرشاشات وضرب المتظاهرين بالهراوات الغليظة الطويلة على رؤوسهم (عشرات الجرحى سيموتون كما قال الأطباء بسبب التلف الحاصل في الجماجم). القوات السعودية أوقعت خلال هجماتها المتكررة الآلاف أرضاً سيّما النساء وكبار السن، والقنابل المسيلة للدموع والمدافع المائية شملت المتظاهرين الذين سدت في وجوههم كل الشوارع الفرعية ممّا زاد في أعداد الضحايا. وما حصل بعد ذلك أشبه بالهستيريا. المتظاهرون لا يستطيعون هروباً، بعضهم دخل الأبنية المجاورة ومنها مباني للحجاج الفلسطينيين والاردنيين والأتراك والخليجيين الذين ساعدوهم وحموهم وبعض آخر تمكن من الإفلات وتاه في شوارع بعيدة قبل أن يعود في اليوم التالي.. أولاً يعود.

أما الغالبية العظمى من المتظاهرين وخاصة النساء والعجزة وكل المعوقين لقد جمدت في أمكنتها تتلقى الرصاص والقنابل والهراوات والمياه.

... وفي الساعة العاشرة مساءً قطع الكهرباء عن الشارع وقوافل التائهين عادت للتجمع في حالة مزرية، هذا يسأل عن أمه وذلك عن أبيه وذاك عن زوجته ورابع عن جاره وخامس عن رفاق رحلته. عطش وإنهاك ووجوه يعلوها مزيج من الغبار والوحل والدخان الأسود. عيون دامعة حمرة وأجساد تتحرك متألمة متأوّهة.

شاهد حجاج من مختلف الجنسيات يساعدون الجرحى وينقلوهم إلى سيارات الاسعاف الإيرانية. طائرات الهليكوبتر السعودية العسكرية تحلق باستمرار فوق المسيرة منذ بدء تجمع الحجاج عصرًا.

العديد من النساء الجرحى مزقت ملابسهن الساترة وبانت أجسادهن، وعندما توّسل أحد الحجاج الجرحى للجنود كي يساعدوه على ستر جسد إحداهن كان جوابهم قهقهات وضحكات عالية وسخرية ونكات بذئنة.

منظر عودة الدراجات الطبية لمعوقى الحرب خارجة من ساحة المعركة قبل منتصف الليل منظر مؤثر أثار بكاء الحجاج الذين تابعوا تفاصيل المجزرة.

الحجاج الأفغانيون الذين اشتركوا في التظاهرة نالوا القسم الوافر من رصاص وهراوات وقذائف وقنابل القوات السعودية رغم تأكيدهم على هويتهم الأفغانية، وكان الجنود يهاجمونهم بقسوة بحجة أنهم مؤيدون للإمام الخميني.

قبل ليلة واحدة من المجزرة المخططة بدقة أي ليلة الجمعة حاول مئات من قوات الطوارئ السعودية اقتحام مقر البعثة الإيرانية ففشلوا واعتقلوا بعد ذلك خمسة عشر شخصاً ولم يطلقوا سراحهم إلا بعد منتصف الليل وبعدها تجمع الحجاج بالآلاف أمام المقر وراحوا يرددون الشعارات والهتافات.

عديدون من الحجاج الذين كانوا في مقدمة التظاهرة أكدوا بقوة أن الرصاص الحقيقي القاتل من المسدسات والرشاشات كان أول سلاح استعملته القوات السعودية وقبل الغاز المسيل للدموع والهراوات.

أحد العلماء نزع عمامته عند حاجز الجيش السعودي الذي رفض السماح للمسيرة بالتقدم واقترب من الضابط للتأكيد على سلميتها فعاجله الضابط برصاصة في قلبه.

هدد حجة الإسلام الشيخ الكروبي المشرف على الحجاج الإيرانيين في كلمة ألقاها في المسيرة بتهشيم أسنان أمريكا داخلها فيها بعون الله، وأنذر الأمريكان بأن الخليج سيصبح مقبرتهم إذا دخلوه وأطلقوا رصاصة واحدة. كما هاجم الذين أفسحوا المجال لتدخل القوى الكبرى وقال: إنهم حفروا قبورهم بأيديهم. ثم أضاف: يا للذك كيف يسمحون للعلم الأمريكي أن يرفع على ناقلات المسلمين.. وتساءل: أين قوله تعالى: «لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء» (١)

(١) مجلة «العالم» العدد ١٨٢ السبت ٨ آب أغسطس ١٩٨٧م - ١٣ ذي الحجة ١٤٠٧هـ. من مراسلها

وقد وصف مراسل مجلة «العالم» من مكة المكرمة الموقف في مجزرة مكة بأنه (واقع دام). إن محنة الحجاج المسلمين تحت السيطرة السعودية- الوهابية قد وصفها كل مسلمي العالم فبالإضافة الى المصاعب والشدائد التي لاقوها رأوا إلى جانب ذلك كيف تستباح حرماهم وتغتصب نساؤهم ويقتل أبناؤهم، ولم يسمح لهم باستلام جثثهم. لقد انتشرت أعمال السلب والنهب وأصبحت قصص اختطاف الحلي والمجوهرات من آذان النساء مألوفة.. وأصيب كثير من النساء بحالات من الهستيريا وهنّ يشاهدن أبناءهنّ وأخوانهن وأزواجهن يقتلون أمام أعينهن.

فهذه المجزرة التي حدثت في مكة المكرمة علينا أن نتوقف قليلاً لنرصد أبعاد هذه الجريمة التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً. بالنسبة لما للبيت الحرام من خصوصية الأمن الإلهي، ولما لضيوف الرحمن من كرامة ومكانة، ولما للشهر الحرام من قداسة في نفوس المسلمين.

فهذه المجزرة التي ارتكبتها أمريكا على أيدي آل سعود، فضلاً عن أنها هتك سافر للمقدسات الدينية واعتداء مجرم على الحجاج الآمنين في أقدس بيوت الله، فإنها محطة من محطات العدوان الاستكباري المتواصل ضدّ أمة الإسلام والقرآن التي تنهض من جديد بقيادة الإمام الخميني حفظه الله. ولنحاكم الحدث محاكمة قانونية بعد أن عرفنا شرعيته من خلال محاكمتنا له دينياً.

١- يقوم الإيرانيون كل سنة بهذا العمل.

٢- السلطة السعودية أعطت ممثل الإمام الإجازة بالتظاهرة لإعلان البراءة من المشركين. فالتظاهرة شرعية وقانونية حتى وفقاً للقانون السعودي.

أما المؤامرة التي دبرت من جانب النظام السعودي تعود للأسباب التالية:

- ١- ضرب الفرقاطة الأمريكية.
- ٢- تفجير لغم بناقلة النفط الكويتية العملاقة المحروسة بالعلم الأمريكي والقطع الأمريكية.
- ٣- كل ذلك وقع قبل أحداث مكة، وكان من المتوقع أن ترد أمريكا على إيران في الخليج، لكنها ردت عليها في موسم الحج.
- ٤- قالت وزارة الداخلية الألمانية الاتحادية: إن المملكة السعودية قد عيّنت جنرالاً ألمانياً غربياً كقائد لقوات الأمن الخاصة خلال فترة الحج، ويتفق علماء كافة المذاهب الإسلامية على أنه لا يجوز لغير المسلمين دخول مكة سواء في أيام الحج أو في سائر الأيام (١).
- ٥- قالت إدارة الرئيس الأمريكي «رونالد ريغان»: إن السلطات السعودية أثبتت من خلال علاجها للأحداث التي جرت للحجاج الإيرانيين في مكة المكرمة يوم الجمعة الماضي أنها قادرة على إدارة شؤونها الداخلية بشكل كامل» (٢).
- ٦- وقال الناطق بلسان وزارة الخارجية الأمريكية «تشارلز ريدمان» رداً على سؤال: «وأنا متأكد من أن السلطات السعودية ستستمر في إدارة شؤونها الداخلية بكفاءة» (٣).
- ٧- كان التفاف السلطات السعودية حول المظاهرة هو محاصرتها لا تفريقها، مما يدل على سبق الإصرار على الجريمة.
- ٨- لوحظ أن البيان الرسمي السعودي حاول الإيحاء إلى أن الحجاج الإيرانيين اصطدموا مع بقية الحجاج خلال التظاهرة فاضطرت سلطات الأمن للتدخل.

وقد أثار هذا المنطق استياءً عارماً عند آلاف الحجاج الذين شهدوا الواقعة. هذه فرية واحدة توارد عليها الوهابيون، ونسجوا من خيوطها الوهابية مقولات من الكذب والضلال، يلقون بها في ساحة الإسلام، كلما بدا لهم أن يتحكموا بالإسلام، ويصرفوا الوجوه عن شمس الساطعة.. فمجال الافتراء متسع لكل مفترٍ، الأمر الذي لا يمكن أن يقف عند حدٍّ، حيث يتوالد ويتكاثر حالاً بعد حال، كما تتوالد الجراثيم في البرك والمستنقعات! ففتى ضم الحجاج الإيرانيون إلى حجّهم هذا العدد الكبير من السلاح؟!!

ألا «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً» (١).

وليست هذه المرة الأولى التي لجأ النظام السعودي بالتوسل بالدعم الغربي الكافر، فعندما قام «جهيمان العتيبي» وصحبه من «حركة الإخوان» بالسيطرة على الحرم المكي الشريف والاعتصام بداخله سلمياً مع نساءهم وأطفالهم لإعلان رفضهم للحكم السعودي القائم على غير هدى من الشرع، ولاستكثار الفساد الأخلاقي والإجتماعي المنتشر بين آل سعود. فكانت أن أرسلت فرنسا قوة خاصة على رأسها الكابتن «بول باريل» وقد قام وجنوده في فرقة الدرك الفرنسي الخاصة بالتدخل السريع باقتحام الحرم للقضاء على المسلمين (٢).

لقد دنس «باريل» ورفاقه الفرنسيين والألمان الحرم المكي الشريف، واعتدوا على المسلمين، وكل ذلك بأمر من «خائن الحرمين» فهد وزبانيته. والغريب أن بعض المسلمين يؤيد السعوديين في تكفير من يتوسل بالأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين، ومن يتكلم عن الشفاعة، في حين أن ملوك

(١) سورة الكهف/ آية ٥.

(٢) مجلة «الوحدة الإسلامية» العدد ٦٢ السنة الرابعة ٢ صفر ١٤٠٨ هـ - ٢٥ أيلول ١٩٨٧ م ص ١٠

«الكابتن بول باريل قائد عمليات اقتحام الحرم الشريف».

الحجاز الطغاة توسلوا بالكابتن باريل، ومؤخراً شفاعة ريغان والأساطيل، لمواجهة الإسلام والمسلمين. فأية شفاعة وأي توسل هو الأصح والأسلم والأقرب الى مرضاة الله وإلى تدعيم ركائز هذا الدين؟

إنه لمضحك - وشر البلية ما يضحك - أن يكون الوقوف عند رسول الله (ص) والتضرع الى الله عند بقعة رسوله المباركة شركاً، ولكن التضرع الى رؤساء الولايات المتحدة الأميركية عند عتبة القصر الأبيض ليس بشرك بل أعلى درجات الإيمان والإسلام، وإن استثمار لحوم منى لإشباع جياح المسلمين مخالف للسنة بينا عملية دفن اللحوم وحرقها وإتلافها لا يعارض السنة، وإن البراعة من المشركين بدعة وشرك وكفر، ونشر الكتب التي تفرق صفوف المسلمين وكيل السباب والشتائم والتهم لهذا المذهب الإسلامي وذاك من أعظم دعائم الإسلام، تعالت ستة رسول الله (ص) عن هذا المسخ علواً كبيراً.

لم أقصد ببحتي هذا أن أحاجّ به الضالّين، من الوهابيين والسعوديين، الذين يكيّدون للإسلام ويتربصون به الدوائر. فهؤلاء وهؤلاء لن يرضوا عن الإسلام أبداً، ولن يصرفهم عن العدوان عليه والكيد له حقّ ناطق أو حجة دامغة.. وإنما الذي قصدت إليه هو تنبيه الغافلين أو المتغافلين من أبناء الأمة الإسلامية، الذين وقعوا فريسة للوهابية الملحدة، فخذرت عقولهم بشراها المسموم، وزاغت أبصارهم ببريقها الزائف. فرأوا التيه هدى، والباطل حقاً، والنارجنة وارفة الظلال طيبة الثمار، والسراب ماء، والوهم حقيقة، والخيال واقعاً. وإن في هذا لعبرة لأولي الأبصار، وحجة يُحاجّ بها الإسلام أهله، وينذر بها من عذاب أليم، وبلاء عظيم في الدنيا والآخرة جميعاً، لمن رأى العبرة ولم يعتبر، ودعاه داعي الحق ولم يجب إن الفرصة لسانحة وإن الوقت لمسعف، ليراجع المسلم حسابه مع كتاب الله، وليقم وجهه على الدين الخفيف، ويثبت قدمه على الصراط المستقيم..

الوحدة الإسلامية في المنظار السعودي

هل من شك في أن الله سبحانه وتعالى يريد من المسلمين، وإن اختلفت ديارهم وتباينت أوطانهم، أن يكونوا أخوة متوآدين متحابين متعاونين متناصرين؟

ليس في ذلك شك، ويشهد له قوله تعالى: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم» (١)، وقوله (ص): «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٢). وقد صور النبي (ص) المؤمنين في توأدهم وتراحهم «بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (٣).

وهل من شك من أن أعظم نعمة امتنَّ الله بها على المسلمين هي الإلفة بعد الفرقة، والمحبة بعد العداوة، كما قال تعالى: «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً» (٤)، وكما قال سبحانه: «هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم» (٥).

وهل من شك في أن الله يبغض من المسلمين الخلاف والفرقة، والتباين والبغضة؟ وهل من خلاف في أن الله تعالى قال: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون»؟ (٦).

وأنة قرن الفرقة بالرجم والخسف في الوعيد فقال: «قل هو القادر على أن

(١) سورة الفتح/ آية ٢٩. (٢) رواه أصحاب السنن عن أبي هريرة.

(٣) البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير. (٤) سورة آل عمران/ آية ١٠٣.

(٥) سورة الأنفال/ آية ٦٣. (٦) سورة الأنعام/ آية ١٥٩.

يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض» (١).

كل ذلك لاشك فيه، وهو من البدييات المعلومة من الدين ضرورة، ومع ذلك ليس من شك أيضاً في أن واقع المسلمين ليس كذلك، ففهم الفرق المختلفة، والشيع المتباينة، وقد جرّ ذلك إلى التناحر والتباغض، وإلى أن يذوق بعضهم بأس بعض.

ومن المعلوم أن هذه الفروض الاجتماعية التي منها حبّ المسلمين بعضهم بعضاً وتعاونهم وتناصرهم، ليست فروضاً يدعو إليها الدين تعبداً بل لأن مصلحة المسلمين الدنيوية تدعو إليها، ولأن بقاءهم وقوتهم وعزتهم منوطة بها، فكل أمة من أم الإسلام وحدها ضعيفة ولكنها بتعاونها مع غيرها من الأمم الإسلامية تقوى وتعزّز، وقد قيل: «ضعيفان يغلبان قوياً».

إن الإسلام هو دين الوحدة كما هو دين التوحيد، وقد حرصت شريعته الخالدة على أن تقرّ في الناس أسس التضامن والتكافل الاجتماعي، والتعاون على البرّ والتقوى، وعلى أن تنزع من بينهم أسباب العداوات والضغائن، وما ينزع به الشيطان بينهم ليفشلوا وتذهب ريحهم.

وهذه هي القواعد الخمس التي بني عليها هذا الدين المتين، ترمي كلها إلى توطيد أمر المسلمين على الوحدة والإلفة واتفاق الغاية.

فالمؤمنون جميعاً يشهدون شهادة واحدة: «أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» لا يختلف فيها مؤمن عن مؤمن، وليس لها عند فريق منهم معنى يخالف ما عند الآخرين، وهم ملتزمون بمقتضى ذلك أن يجعلوا الأمر كله لله، فلا حكم إلا حكمه، ولا تشريع إلا تشريعه، ولا عبادة إلا له، ولا قربى ولا

زلفى إلا إليه، وكل ماجاء عنه في كتابه، أو صحّ عن رسوله فهو مقبول، لا يسع مؤمناً أن يخرج منه أو يحيد عنه، وإنما اختلفت الأفهام في شيء وتتفق في شيء ويصحّ بعض المروي عند فريق ولا يصحّ عند فريق، وقد قال الإمام الشافعي: «أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله (ص) لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس» (١).

ونعود إلى ما كنا فيه من استعراض قواعد الإسلام الخمس، وبيان ما ترمي إليه من توطيد أمر المسلمين على الوحدة والإلفة فنقول:

إن المسلمين جميعاً يقيمون الصلاة في أوقات خمسة مكتوبة، ليست ستة عند فريق، ولا أربعة عند فريق وهم متفقون عليها بأعيانها، ومتفقون على عدد ركعاتها، وعلى قبلة المصلي فيها، وقد شرعت فيها الجماعات والجمعات والصلوات العامة في المناسبات المشروعة، كصلوات العيد والإستسقاء والكسوف ونحو ذلك من كل ما يراد به إشعار المسلمين بالوحدة والإلفة واتفاق المصالح والإستواء أمام ربوبية الله جلّ وعلا، دون تفرقة بين صغير وكبير، ولا بين غني وفقير، ولا بين صعلوك وأمير.

وكل مؤمن مكلف بأن يؤدي زكاة ماله ليكون المؤمنون متكافلين متحابين يشعر فقراؤهم وأغنياؤهم بعاطفة المحبة والتعاون، وتستلّ من بين مجتمعهم نوازع الحسد والبغضاء والقسوة والجفاء.

وهم جميعاً مكلفون بأن يصوموا شهراً معيناً في العام، يجتمع على صومه قاصيهم ودانيهم، وبأن يحجّ مستطيعهم بيت الله الحرام، فيجتمع حوله في كل عام أصنافهم وألوانهم كلهم يدعوا لله بلسانه، ويسأله من فضله وإحسانه. أليست هذه من قواعد الإسلام التي نبي عليها؟ أليست كلها ترمي إلى التوحيد والوحدة؟

مسألة «الوحدة الإسلامية» هدف أساسي تنشده الجمهورية الإسلامية منذ انبثاقها (١)، لأن الشجرة الإسلامية الكريمة في إيران لا يمكن أن توتّي أكلها إلا إذا التفّ حولها كل المسلمين المؤمنين في العالم.

أعداء الإسلام أدركوا هذه الحقيقة، فانطلقوا يعزفون على كل نغمة من شأنها أن تزيد في تفرّق صفوف المسلمين، وتفصلهم عن الصحوة الإسلامية في إيران، واستخدموا لذلك الحكومات العميلة في العالم الإسلامي كآل سعود ووعاظ السلاطين والكتاب المأجورين والكراتلات الإعلامية العملاقة، إضافة إلى مليارات الدولارات، ومع شديد الأسف فإن أكثر الأموال التي تنفق على طريق بثّ بذور الفرقة والشقاق هي أموال إسلامية مستحصلة من بيع نفظ المسلمين، وإلى الله المشتكى.

الثورة الإسلامية تشقّ طريقها- وسط كل هذه الأشواك والعقبات والأجواء المليئة بالضجيج الإعلامي المفرّق المعادي- نحو تأليف القلوب وتوحيد المشاعر، والبحث عن سبل توحيد الصفوف وتجميع الطاقات وإزالة الخلافات، إيماناً منها بضرورة عودة الأمة الموحّدة الشاهدة الوسط على الساحة التاريخية، وقطعت على هذا الطريق خطوات هامة.

إعلان «اسبوع الوحدة» خلال الأيام من ١٢-١٧ ربيع الأول- وهي أيام احتفالات المولد النبوي الشريف- من قبل الجمهورية الإسلامية خطوة هامة على هذا الطريق. هذه الخطوة ازدادت أهميتها وفعاليتها عام ١٤٠٣ هـ حين تقرر إقامة مؤتمر عالمي لأئمة الجمعة والجماعة خلال هذا الاسبوع. لقدنبّه هذا الاعلان الوعي، وأوضح بأدقّ بيان وأوفاه أن الهجوم والتشيع

(١) مشاكل وعقبات أمام وحدة المسلمين: ص ٣ الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ طهران إصدار وزارة الإرشاد الإسلامي.

وجرح العواطف لا تستخدم أي مذهب، وأن الإسفاف في السب والشتم لا يفيد أي طائفة، بل على العكس يجلب الضرر لكل فريق.

وتأثر بهذه الدعوة كثير من حملة الأقلام فجنحوا إلى سلوك سبيل المنطق والبرهان وأسرع هذا الأثر أكثر مما كنا ننتظر، إلا أن بعض الأقلام لا تزال تسف، ولكنها - والحمد لله - ليست بذات وزن، وعمّا قليل ينتهي أمرها إلى زوال. وأما المرجفون الذين في قلوبهم مرض ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وهم الذئاب في جلد شاة، لا يستطيعون مخالفة ضمائرهم ومكنونات صدورهم من غلّ وحقد على المؤمنين.

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تحفى على الناس تعلم كآل سعود الذين لم يتركوا النزاع والتخاصم، وهيهات هيهات، أنى واين ومتى وكيف؟ وآل سعود لا ينفعهم اتحاد المسلمين ولا تفيدهم الوحدة الإسلامية، ولا يستطيعون النظر إلى أشعة شمس الوحدة ورؤية ضوء اتحاد أمة محمد (ص) وأخوتها، فأبوا إلا ايقاظ الفتنة النائمة وإيقاد نار تنازع الأموية والهاشمية والعثمانية والعلوية الخامدة، وإضرام الحرب العوان، تفريقاً بين المسلمين والمؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله (ص) من قبل «وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون» (١).

فقام طغام من الحزب الوهابي فألقوا بشيعة أهل بيت الوحي، بل بهم أنفسهم سلام الله عليهم كل مستجن، وبهتوهم بكل عاثبة، ومحسبون أنهم يحسنون صنعا «ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» (٢) «وكل إناء بالذي فيه ينضح» «ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً» (٣).

(٣) سورة النساء/ آية ١١٢.

(٢) سورة البقرة/ آية ١٢.

(١) سورة التوبة/ آية ١٠٧.

وكل مرامهم ومقصدهم وغرضهم أن يستقبل المسلمون جميعاً «الوهابية الماسونية» ويعتقونها ويعتقدونها كإسلام جديد أو كالإسلام من جديد.

أجل أمة «محمد بن عبد الوهاب» لا يمكنهم التقارب والتحابب والاتحاد والتعاون والتعاقد مع الفرق الإسلامية ولا سيما شيعة أهل البيت، لأنهم أشربوا في قلوبهم حب آل أمية، وبغض أهل بيت الوحي سلام الله عليهم أجمعين والضدان لا يجتمعان.

فقبل اليوم كانت غارات الوهابيين وقتل الرجال ونهب الأموال وسبي النساء والذراري، وكانوا يرهبون المسلمين ويجبرونهم لقبول «الاسلام الجديد» وهو اسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب.

وأما اليوم فبفضل النفط والبترول استطاعوا أن يشتروا ضمائر أناس ويستأجروا أقلاماً مسترزقة ويستخدموا ذوي ألسن بذيئة فيدعون السذج والبسطاء الى دينهم الجديد «الوهابية».

واذا لقوا الذين يعرفون «الوهابية» على حقيقتها فلا يمكنهم أن يدعوهم إليها صراحة، بل يبدلون الفخّ ويغيّرون الشبكة فيدعونهم إليها باسم الدعوة الى الوحدة الإسلامية واتحاد المسلمين، وما الى ذلك .

إنّ آل سعود العملاء يشككون في أصالة الثورة الإسلامية، زاعمين أنها ثورة شيعة لإسلامية!! ونشير هنا إلى مقتطفات من إحدى المقالات الحاقدة والمسمومة اخترناها من مقالات عديدة لأن صاحبها الوهابي «إبراهيم السليمان الجهمان» قد جمع فيها خلاصة موقفه وموقف من هم على شاكلته من الشيعة والتشيّع، فلاحظ وتدبر ما سطره هذه الأجير:

«في هذه الظروف التي تتجاوزها الأمة الإسلامية، أجد من واجبي أمام الله أن أنبّه العلماء الى الخطر العظيم المتمثل في وجود طائفة تزعم الإنتماء إلى الإسلام، ولكنها تعتنق عقائد وتؤدي طقوساً تتنافى مع الإسلام نصاً وروحاً،

بسبب غلو من يتزعمونها وانحراف من يتصدون لقيادتها، ممن يتسمون بالعلماء، وماهم في الحقيقة إلا من العملاء..

وإنني باسم الإسلام، الذين تدينون الله به، أرجوكم أن تصدروا الفتوى اللازمة في حق من يقترون جريمة إغواء عشرات الملايين من الناس المخدوعين، وأن تتعاونوا معنا في إزالة هذا الكابوس الذي يجثم على صدور المسلمين منذ ثلاثة عشر قرناً من الزمن. فقد كفناً ما جرّه هؤلاء المتاجرون بالدين من نكبات على الإسلام والمسلمين.

إن طائفة الشيعة الإمامية يا سادتي يتدينون بدين لا يمت إلى الإسلام إلا بصلة واهية، هي أشبه ماتكون بخيط العنكبوت...

وإجماعهم على جواز الكذب على أهل السنة، وإباحة شهادة الزور ضدهم، واستحلال دمانهم وأموالهم واعراضهم، والتاريخ شاهد صدق على ذلك.

زد على ذلك أن أذانهم يختلف عن أذاننا، وصلاتهم تختلف عن صلاتنا، ووضوءهم يختلف عن وضوئنا، وصيامهم يختلف عن صيامنا، وحجهم يختلف عن حجتنا، وهم لا يعترفون بالزكاة ولا بمستحقيها، وإنما يؤدون خمس محاصيلهم وأرباحهم إلى من يستونه بنائب الامام لينفقه في تدبير الدسائس والتآمر على الإسلام وأهله ونشر بدعة التشيع بكل وسيلة ممكنة...

واباحتهم فروج الإماماء وإسقاطهم الجمعة والجماعة، والجهاد والحدود، بحجة غيبة الامام، وتسميتهم أمة محمد بالأمة الملعونة، هذا عدا ما يخالفوننا فيه، في المعاملات والأحوال الشخصية، والعبادات الأخرى، تنفيذاً لأمر جعفر بن محمد...

فاذا كان العلماء قد حكموا بشرك من يذبح لغير الله، أو يحلف بغير الله، أو يستغيث بغير الله، والشرك كما تعلمون هو صنوا الكفر، بل هو الكفر بعينه، لأن الله لم يتوعد بعدم المغفرة وبالحرمان من الجنة إلا المشركين والكافرين، فما

ظنكم بمن تجتمع فيه كل هذه الموبقات...

سادتي- قد تقولون: إن مانحن فيه من ضعف وانحلال لايسمح بإثارة المشاكل وإحياء النعرات الدينية، وإيقاظ التعصبات المذهبية. ولكني أقول: إن هذا الاعتقاد منقوض. يقول الله تعالى: «إنما ذلکم الشیطان یخوف أولیاءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين».

وأن السكوت على الباطل مما يساعد على إستفحاله. والوحدة لا تتم بين قلوب متنافرة ونفوس متدبرة، والائتلاف لم يوجد حتى نخشى الاختلاف والاتحاد لم يحدث حتى نخاف الفرقة...

لذا فإني أسألكم بما تدينون الله به أن تتفضلوا بإصدار الفتوى بشأن زعماء هذه الطائفة، وتخليص الإسلام والمسلمين من شرورهم ومؤامراتهم ودسائسهم وأداء ما أنتم مسؤولون عنه أمام الله تعالى من دفاع عن الإسلام والمسلمين» (١). هل فهمنا إذاً من يثير هذه الفتنة الحرام؟ ومن الذي يستفيد منها؟ هل فهمنا أن الشيطان السعودي الوهابي هو الذي يدعو لفرقتنا وأن نكفر بعضنا بعضاً؟ بينا الخلاف أقل بكثير مما يتصور بعض الذين وقعوا في حبال هذا الشيطان.

يقول الامام الخميني حفظه الله مشيراً الى هذه الأقوال: «لقد أعلن بعض المأجورين أن اسلام الإيرانيين هو غير إسلامنا. نعم... إسلام ايران غير إسلام الذين يدافعون عن عملاء أمريكيين كالسادات وبيغن، ويمدون يد الصداقة إلى أعداء الإسلام خلافاً لأمر الله تعالى، ويبدلون كل ما وسعهم من جهد، ويقتربون كل افتراء للتفرقة بين المسلمين. على جميع المسلمين أن يعرفوا هؤلاء المنافقين، وأن يحبطوا مؤامراتهم الخبيثة» (٢).

(١) نشرت مجلة «الدعوة» السعودية ذي الحجة ١٣٩٨هـ.

(٢) من بيان الامام الخميني الى حجاج بيت الله الحرام ١٤٠٠/١١/٢هـ.

ومن طريف ما بثّ آل سعود العملاء من اشاعات في هذا المجال، هو أن الدستور الإيراني لم ينصّ على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، بل نصّ على أنه المذهب الشيعي. مثل هذه الإشاعات تؤكد بما لا يقبل الشك إفلاس آل سعود أعداء الإسلام في حربهم العدائية ضدّ الجمهورية الإسلامية، إذ كيف يصدّق مسلم هذه الاحبولة، بينما النظام يحمل في تسميته الصفة الإسلامية لا غير؟! وكيف تنظلي هذه الأكذوبة على المسلمين ودستور الجمهورية الإسلامية بين أيديهم يقول: «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام...» (١). هذه المادة حدّدت طبعاً المدرسة الفقهية الرسمية في البلاد، لكنها لم تتغافل عن حقّ اتباع المدارس الفقهية الأخرى- إذ نصّت على أنّ المذهب الرسمي هو المذهب الجعفري الأثنى عشري... والمذاهب الأخرى سواء الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي، تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم الدينية حسب فقههم، وتتمتع هذه المذاهب برسمية في التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية (الزواج، الطلاق، الارث، الوصية)، والدعاوى المرتبطة بالمحاكم، وكل منطقة يتمتع فيها أتباع أحد هذه المذاهب بأكثرية فإن المقررات المحلية لتلك المنطقة تكون وفق ذلك المذهب، في نطاق صلاحيات مجالس الشورى المحلية مع حفظ حقوق أتباع سائر المذاهب الأخرى (٢).

عاد الإسلام في بقعة هامة من بقاع عالمنا الإسلامي هي إيران ينبض بالحركة والحياة.. عاد كما كان في عهد رسول الله (ص) يخلق الأمة الواحدة الموحّدة، ويلفظ كل زيغ وانحراف، ويرهب الطواغيت، ويدفع المؤمنين الى

(١) المادة الثانية عشرة من الدستور الإيراني.

(٢) مشاكل وعقبات أمام وحدة المسلمين: ص ٢٤.

معارك الشرف والفضيلة، ويصوغ إطار حركة المجتمع في مجال السياسة والإقتصاد والنظام.

ومن الطبيعي جداً أن تتعارض هذه الصحة الإسلامية الجديدة مع كل العوامل الرامية إلى إبقاء المسلمين في جهلهم وركودهم وتبعيتهم، بما في ذلك الأيدي التي تود أن يبقى موسم الحج بمعزل عن كل حركة تستهدف التوحيد والتوعية والتعبئة. ومن هنا كان حج الإيرانيين خلال الأعوام الأخيرة مزعجاً للحكام السعودية، وكانت تعليمات الامام الخميني للحجيج مقلقة لهم.

الأمة في ايران تجاوزت- بحول الله وقوته- عقبة الطاغوت وانتقلت من الظلمات الى النور، وحصنت نفسها بالاسلام، ولم يعد الإعلام المضلل، قادراً على إثارة الاختلافات الطائفية في هذا البلد المحمدي.

يقول الامام الخميني: «إن طرح مسألة تقسيم المسلمين إلى سني وشيعي وحنفي وحنبلي وإخباري لامعنى له أساساً.

المجتمع الذي يريد أفراداه جميعاً خدمة الإسلام والعيش تحت ظلال الإسلام لا ينبغي أن يثير هذه المسائل. كلنا اخوة، وكلنا نعيش قلباً واحداً، غاية الأمر أن الحنفي يعمل بفتاوى علمائه، وهكذا الشافعي وثمة مجموعة أخرى هي الشيعة تعمل بفتاوى الإمام الصادق. وهذا لا يبرر وجود الاختلاف، لا ينبغي أن نختلف مع بعضنا، أو أن يكون بيننا تناقض. كلنا اخوة، على الاخوة الشيعة والسنة اجتناب كل اختلاف. فالإختلاف بيننا اليوم هو لصالح الذين لا يؤمنون بالسنة ولا بالشيعة ولا بالمذهب الحنفي ولا بسائر الفرق الإسلامية، وهؤلاء يريدون القضاء على هذا وذاك، فهدفهم بثّ الفرقة بينكم. عليكم أن تنتهوا جيداً إننا جميعاً مسلمون وأتباع القرآن وأهل التوحيد، وعلينا أن نسعى من أجل القرآن والتوحيد»(١).

(١) من نداء الإمام الخميني في ٢١ تموز ١٩٨٠ م.

يقول الدكتور عز الدين إبراهيم في مقال بعنوان «السنّة والشيعة ضجّة مفتعلة ومؤسفة»: «لن أحاول أن أجتهد رأيي لأقوال إن الشيعة والسنّة أخوة في الإسلام فرقهم اجتهادات في فهم الكتاب والسنّة لا تمسّ أخوتهم ولا تخرج أحدهم في نظر الآخرين عن ملّة الإسلام. لن أحاول أن أسوق الأدلّة الشرعية التي لا تنتهي على صدق هذه المقولة الواضحة الأكيدة، فهذا مجال بحث آخر أصبحنا نضطرّ إليه في هذا الزمن الذي عمّ فيه الجهل والتعصّب الحزبي المقيت، ولكني سأتناول الموضوع من زاوية أخرى مكّلة وهو محاولة سرد مواقف وآراء لقادة ومفكرين وزعماء مسلمين تجمع الحركات الإسلامية على إمامة الكثير منهم.

إنني أفهم جيداً أن موقف بعض قواعد الحركة الإسلامية المعادي للثورة الإسلامية والمشير للضجّة المفتعلة حول السنّة والشيعة ليس موقفاً جذرياً أصيلاً ولكنه موقف طارئ فرضه آخرون على هذا الشباب المخلص الطاهر بعد أن وضعوه في دوامة الشك واليأس، وهو يكتشف أخيراً أن الثورة التي أوقدت آماله وأشعلتها ليست ثورة إسلامية ولكنها شيعية، وأن الشيعة كفار.

وهذا محبّ الدين الخطيب صاحب الكتاب السعودي سيّء السمعة الذي أعيد طباعته مرة أخرى في هذا الوطن (٥٠٠٠ نسخة!!!). هاهو يورد الدليل تلو الدليل على كفرهم وضلالهم وخروجهم عن الإسلام. إن لهم قرآناً غير الذي بين أيدينا. وغير ذلك من الأضاليل والترّهات» (١).

«إن الخطيب هو الذي حارب دولة الخلافة الإسلامية فعمل مع إحدى الحركات القومية. طلائع الشباب العربي. وعندما انكشف أمره أثناء وجوده في

(١) مجلة «الطلّيع الإسلامية» العدد (صفر) السنة الأولى ديسمبر ١٩٨٢م - صفر ١٤٠٣هـ ص ١٥ من

مقال ملفّ العدد (السنّة والشيعة ضجّة مفتعلة ومؤسفة) بقلم الدكتور عز الدين إبراهيم.

الاستانة للتعليم عام ١٩٠٥م قرّ إلى اليمن، وعندما أعلن الشريف حسين الثورة العربية التحق بها ثم حكمت عليه دولة الخلافة بالإعدام. ولم يعد إلى دمشق إلا بعد هزيمة الأتراك ودخول الجيش العربي الى دمشق فتولّى إدارة أول جريدة عربية فيها (العاصمة) (١).

ولنستمع إلى امام الأزهر الشيخ شلتوت رحمه الله وهو عضو بارز في جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية يقول: «لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قوم وأسهمت منذ أول يوم في جماعتها... وها هو الأزهر الشريف ينزل على حكم مبدأ التقريب بين أرباب المذاهب المختلفة فيقرر دراسة فقه المذاهب الإسلامية سنيها وشيعيها دراسة تعتمد على الدليل والبرهان وتخلو من التعصب لفلان أو فلان» (٢).

واستطرد قائلاً: «وكنت أودّ لو أستطيع أن أتحدث عن الاجتماعات في دار التقريب حيث يجلس المصري إلى جانب الإيراني أو اللبناني أو العراقي أو الباكستاني أو غير هؤلاء من مختلف الشعوب الإسلامية وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي والزيدي حول مائدة تدوّي بأصوات فيها علم وفيها تصوف وفيها فقه وفيها مع ذلك كله روح الاخوة وذوق المودة والمحبة وزمالة العلم والعرفان» (٣).

ويواصل إمام الأزهر حديثه مشيراً إلى أن هناك من حارب فكرة التقريب (الوحدة الإسلامية) فيقول: «حارب هذه الفكرة صيّقوا الأفق كما حاربها صنف آخر من ذوي الأغراض السيئة، ولا تخلو آية أمة من هذا الصنف من

(١) نفس المصدر نقلاً عن كتاب «أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث» د. فهمي جدعان الطبعة الأولى يناير ١٩٧٩م ص ٥٦١ و ٥٦٢.

(٢) عبدالكريم بي آزار الشيرازي «الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة» ص ٢٠ الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - بيروت. (٣) نفس المصدر ص ٢٣.

الناس، حاربها من يجدون في التفرق ضماناً لبقائهم وعيشهم، وحاربها ذوو النفوس المريضة وأصحاب الأهواء والنزعات الخاصة. هؤلاء وأولئك ممن يؤجرون أقلامهم لسياسات مفرقة لها أساليبها المباشرة وغير المباشرة في مقاومة أية حركة إصلاحية والوقوف في سبيل كل عمل يضمّ شمل المسلمين ويجمع كلمتهم» (١).

وهكذا نجد الإمام الشيخ محمد أبوزهرة يقول: «لاشك أن الشيعة فرقة إسلامية إذا إستبعدنا مثل السبئية الذين ألّوها علماً ونحوهم (من المعروف أن السبئية كفار في نظر الشيعة) ولاشك أنها في كل ما تقول تتعلق بنصوص قرآنية أو أحاديث منسوبة إلى النبي (ص) وهم يتودّدون إلى من يجاورهم من السنيين ولا ينافروهم» (٢).

ومن الإمامين شلتوت وأبي زهرة إلى استاذهما واستاذ خلاّف (أحمد إبراهيم بيك) يقول: «والشيعة الإمامية مسلمون يؤمنون بالله ورسوله وبالقرآن وبكل ما جاء به محمد (ص)، ومذهبهم هو السائد على البلاد الفارسية» (٣) ثم يواصل حديثه: «ومن الشيعة الإمامية قديماً وحديثاً فقهاء عظام جداً وعلماء من كل علم وفن، وهم عميقوا التفكير واسعوا الإطلاع ومؤلفاتهم تعدّ بمئات الألوف وقد اطلعت على الكثير منها» (٤).

وهكذا نجد العلامة الشيخ محمد الغزالي يورد أقوالاً لأحد علماء الشيعة وفي الهامش يقول عنه: «من فقهاء الشيعة وأدبائهم الكبار. وقد تعهّدنا إيراد كلامه كله لأن بعض القاصرين يفهمون أن الشيعة قوم غرباء عن الإسلام منحرفون عن صراطه. وسيأتي في باب الإعجاز ما يزيد معرفة بالقوم» (٥).

(١) أيضاً: ص ٢٤-٢٥. (٢) محمد أبوزهرة «تاريخ المذاهب الإسلامية» ص ٣٩.

(٣) أحمد إبراهيم بيك «علم أصول الفقه ويليهِ التشريع الإسلامي» طبعة دار الأنصار ص ٢١.

(٤) نفس المصدر: ص ٢٢. (٥) محمد الغزالي «نظرات في القرآن» ص ٧٩ الهامش.

وعند تعريفه بعالم آخر «هبة الدين الحسيني» من علماء الشيعة الأجلاء «وقد تعمّدنا نشر الخلاصة كاملة ليستبين القارئ المسلم مبلغ فقه هذا العالم بطبيعة الإعجاز وبالتالي مبلغ تقديس الشيعة لكتاب الله» (١).

ولنستمع الى واحد من مفكرى الاخوان المسلمين هو الاستاذ المستشار سالم البهنساوي الذي تعرض لهذا الموضوع بإسهاب رداً على الذين يزعمون أن للشيعة مصحفاً غير مصحفنا يقول: «إن المصحف الموجود بين أهل السنة هو نفسه الموجود في مساجد وبيوت الشيعة» (٢). وفي نفس الكتاب المشار إليه يقول الأستاذ سالم: «... إن الشيعة الجعفرية (الأثني عشرية) يرون كفر من حرّف القرآن الذي أجمعت عليه الأمة منذ صدر الإسلام» (٣).

وفي معرض رده على محب الدين الخطيب «الوهابي» يورد رسالة تحمل آراء للعديد من علماء ومجتهدي الشيعة فينقل عن الإمام السيّد الخوئي: «المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، وأن الموجود بين أيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي (ص)». وينقل عن الشيخ محمدرضا المظفر: «وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي (ص)، ومن إدعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبّه وكلهم على غير هدى، فإن كلام الله «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه». ثم ينقل قول الامام كاشف الغطاء: «... وأما لانقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم» (٤).

ومن الاستاذ سالم أنتقل إلى الباحث الإسلامي الدكتور مصطفى الشكعة لنرى ماذا يقول: «الإمامية الاثنا عشرية هم جمهور الشيعة الذين يعيشون بيننا هذه الأيام، وتربطهم بنا نحن - أهل السنة - روابط التسامح والسعي إلى تقريب

(١) المصدر السابق: ص ١٥٨ الهامش.

(٢) سالم البهنساوي «الستة المفترى عليها» ص ٦٠.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٦٣.

(٤) أيضاً: ص ٦٩.

المذاهب، لأن جوهر الدين واحد ولله أصيل ولا يسمح بالتباعد» (١). ثم يتحدث عن هذه الطائفة التي تشكل أغلبية سكان إيران اليوم وعن اعتدالهم فيقول: «فهم يبرأون من المقالات التي جاءت على لسان بعض الفرق ويعتدونها كفرًا وضلالاً» (٢)

ويتحدث الاستاذ القليبي عن (أدب الدعوة إلى الحق) فيختم حديثه بكلمة الزعيم الإسلامي أبي القاسم آية الله الكاشاني التي سمعها منه في مجلس جمعه وإياه بدمشق،: «وقد سأله أحد الحاضرين عن رأيه في الخلاف بين السنة والشيعة، وكان الحاضرون في هذا المجلس عدداً كثيراً من الطائفتين، وظنّ السائل أنه أخرج الزعيم الإسلامي بهذا السؤال، ولكنه أفحمه إذ قال له: أنا مسلم، لا أعرف إلاّ الإسلام الذي جاء به محمد من عند ربه وهو الذي يجب أن يتحد عليه المسلمون، أما ما عدا ذلك، فلكلّ ان يحفظ بما عنده لنفسه، وإن كل المسلمين يجب أن يتحدوا اليوم لمقاومة الإستعمار بقلب رجل واحد، وأن يعتصموا بحبل الله كما أمرهم الله، وألاّ يتفرقوا، فحالة المسلمين أخطر مما نتصور، ووجوب اتحادهم للإنقاذ والخلاص هي أؤكد من كل شيء الآن» (٣). ولنردّد مع زعيم الأمة الإسلامية الامام الخميني حفظه الله كلمة قالها قبل أربعة وعشرين عاماً: «الأيدي القذرة التي تبث الفرقة بين الشيعي والسني في العالم الإسلامي لا هي من الشيعة ولا من السنة، إنها أيدي الإستعمار التي تريد أن تستولي على البلاد الإسلامية من أيدينا والدول الإستعمارية. الدول التي تريد نهب ثرواتنا بوسائل مختلفة وحيل متعدّدة هي التي توجد الفرقة باسم التشيع والتسنن» (٤)

(١) د. مصطفى الشكعة «إسلام بلامذاهب» ص ١٨٣. (٢) نفس المصدر: ص ١٨٧.

(٣) الوحدة الإسلامية: ص ٨١. (٤) في خطبة له في جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ.

فالتفرقة الطائفية معول استخدمه المستعمرون لتفريق الأمة الإسلامية وتمزيقها منذ أن دتست أقدامهم أرض العالم الإسلامي . مارسوها بأنفسهم عن طريق سفاراتهم في القرن التاسع عشر، ثم أوكلوا المهمة الى عملائهم وصنائعهم من المتلبسين بلباس الدين، وعلى رأسهم حكام السعودية ومن لفت لقمهم، الذين ينفقون ثروات المسلمين الطائفة من أجل نشر بذور التفرقة بين المسلمين بسبل شتى، ومحاولات حكام السعودية خلال نصف القرن الأخير لتزريق صفوف المسلمين. وهذه المحاولات الخبيثة بشكل خاص تركزت بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران، والسبل التي تنتهج في موسم الحج لإثارة الفتنة والتفرقة، ومنها نشر الكتب السامة المشبوهة، مثل كتاب «الخطوط العريضة» للماسوني المشبوه محب الدين الخطيب، وكتاب «وجاء دور اليهود» الذي أصدرته جمعية «الافساد» الكويتية المرتبطة بأموال النفط السعودي، ومؤلفات «السنّة والشيعه» لمحمد رشيد رضا، و«الصراع بين الاسلام والوثنية» لعبدالله القصيمي، و«فجر الاسلام وضحاها» لأحمد أمين المصري، و«جولة في ربوع الشرق الأدنى» لمحمد ثابت المصري، و«الوشيعه في نقد عقائد الشيعه» لموسى جارالله القفقازي، و«تبيد الظلام وتنبية النيام» لابراهيم السليمان الجهمان الوهابي، و«الرد على الشيعية» للندوي الهندي ... و. ومن شاكلهم أتباع وأذيال ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وأعضاء المحافل الماسونية.

بعد أن أوردنا هذه المواقف والآراء نستطيع أن نعرف هدف الوهابيين ومدى أفكارهم، ودقة نظرهم في تحقيق غرضهم وعدائهم السافر للإسلام، وأن مؤلفات «الوهابية» الماسونية تستأصل أسس الإسلام، وتشكك في مصادره بما فيه الفقه والحديث، وتحث جّو الإضطراب الفكري والإرتياب في المجتمع الإسلامي، وتبذر في القلوب بذور الشك والريبة في تفقه حملة الإسلام وذكائهم (الفقهاء والمحدثين)، وقد تحمل مؤلفاتهم من الأخطاء العلمية

الفاحشة وسوء الفهم وعدم الرسوخ في اللغة وقواعدها ومن التحريف والتزوير ما يدعو إلى الضحك والعجب.

ولسدّ تأثير الوهابيين الهدّام، وإصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام من رجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية، ويقدموا للعالم الإسلامي المعلومات الإسلامية المؤكدة، ووجهة نظر الإسلام الصحيحة، كما يجب أن تكون مؤلفاتهم وكتاباتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر، وتؤكد المصادر وصحتها واستدلالها اللغوي بالنسبة لكتابات الوهابيين ومؤلفاتهم، وأن تكون حاملة لجميع نواحي الإستحسان، بعيدة عن الأخطاء والنقائص العلمية.

ومما يجب أيضاً هو أن يقوم هؤلاء العلماء المفكرون باستعراض مؤلفات الوهابية ومحاسبتها في ضوء الحقيقة والواقع، حتى ينكشف الغطاء عن تلبساتهم، وأخطائهم في فهم النصوص وبيان المعنى، ويبدو للناس ضعف مصادرهم التي يعتمدون عليها، وأخطاء النتائج التي يستنبطونها منها، ويطلعوا على ما يضمرون في نفوسهم من عداوة للإسلام، وما يكنونه من أغراض سياسية ودينية في خفايا دعوتهم، وكل ذلك مؤامرة على الإسلام والأمة الإسلامية يجب إحباطها. ومما لاشك فيه أن العالم الإسلامي في أجزائه المختلفة أنجب شخصيات دينية ممتازة أثارت الإعجاب في أوساط العلم الواسعة بنبوغها وفضلها، وأنقذت طبقة كبيرة من الردة الفكرية.

إنه عمل ضخم يقتضيه الوقت الحاضر، وهونداء الوقت، وصوت الساعة، وبذلك نستطيع أن ننقذ العالم الإسلامي والمجتمع الإسلامي المعاصر من الردة «الوهابية»، ولسدّ تيار التغريب والتجدد الجارف، الذي يحرف العالم الإسلامي اليوم بكل قوة وشدة وطغيان.

ثم لينظر القارئ ويعتبر كيف أن المسلمين وهم أتباع دين وأصحاب

يقين، قد آمنوا بزعماء الجاهلية وأئمة الكفر ولولم يؤمنوا بدينهم، ولكنهم آمنوا بهم بأوسع معاني الكلمة وقد اشترط الله للإيمان به الكفر بالطاغوت وقدم عليه وقال: «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى» (١).

أما إذا أصبح المسلمون لا يعنهم أمر الإسلام، ولا تهمهم الآ المصالح السياسية والفوائد المادية الحاضرة التي تعود على أشخاصهم، فحبيلهم على غارهم، وأمرهم بيدهم، ولكن ليعلموا أخيراً أن سفينة الوهابية الجاهلية التي اختاروها لسفرهم قد أحيط بها، وأن ألواحها قد تآكلت ونحرت منذ زمن، وأن ربابيتها قد اختلفوا فيما بينهم في تسييرها وقيادتها، ويعلموا أن هذه السفينة الوهابية إذا غرقت فإنها تغرق ركبها، وكل من وصلوا أسبابهم بأسبابها، ولا عاصم من أمر الله الآ من رحم. وقد قال تعالى: «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون» (٢).

(١) سورة البقرة/ آية ٢٥٦.

(٢) سورة هود/ آية ١١٣.

الخلاصة

الوهابية والسعودية حماية الإسلام أم حماية أمريكيا؟! استطاع زبانية الصهيونية أن يضلّوا الشعوب الإسلامية بشعارات «الوهابية»، ولولا جهل الأمة بإسلامها لما كانت تنظلي هذه الفرية على أحد من صغارها لأن الاختلاف واضح بين من الناحيتين النظرية والعملية. فمن الناحية النظرية نرى تضخم الحقد وترعرع الحسد في النظام الوهابي، في حين أن الانسان في النظام الاسلامي يعيش بروحه وكيانه. والوهابية تقسم المجتمع الى طبقات متناحرة، والاسلام يجعل من المجتمع طبقة واحدة متساوية أمام الله كأسنان المشط، بل إنه ليعتبر الطبقة من أسباب تدمير المجتمعات، ومظهر من مظاهر غضب الله ونقمته: «قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم، أو يلبسكم شيعاً ويؤدق بعضكم بأسّ بعضٍ انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون» (١). أما من الوجهة العملية: فالوهابية تفتقر الى الأمانة التي يخلقها تقوى الله في النفوس، ومن يخاف «الحبر» الوهابي، كما أنه لن ينزل جبريل وميكائيل ليراقبوا تطبيق الوهابية تطبيقاً عادلاً، ولا عزرائيل لرأس مباحث الدوائر

الوهابية ويقبض روح من يخالف مبادئها، وانما المشرفون على المؤسسات رجال مشحونون بحبّ المادة لكثرة ماسمعوا باسمها من الحمد والتسبيح حتى صارت إلهاً يُعبد، يسبحونه في العشي والآصال. فيكف يزهدون إذأ في هذا المال ويرعون ويكتفون منه بالقدر الكافي والنصيب المفروض.

والمجتمع الإسلامي مجتمع يقوم وجوده على أساس الدعوة لله وحمل رسالته وتطبيق منهاجه كاملاً. فهل المجتمع الوهابي الذي يرتدي ثوب الإسلام مجتمع يدعو الى الله ويحارب أعداء الله، فلا يضمّ لصفوفه إلا من يعبد الله، ويقيم الحدّ على تارك الصلاة «فيعدم» تاركها ويبقى على «علمائها»؟ هل يحارب دعوة الإلحاد ويطاردهم، ويقدم دعوة الله ومجلّهم ومحترمهم؟ هل يحارب الفجور والاختلاط والسفور؟ هل تغلق المسارح المبتذلة والملاهي ومحلات الخمر؟ هل يدير الإذاعة والسينما والتلفزيون بطريقة تتلائم مع منهج الإسلام، ويكون المتحدث فيها تلامذة ابن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري وحذيفة اليمان وعثمان بن ياسر وسلمان المحمّدي وأبوذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري من جند محمد (ص)، وينبذ الخواجة عبدالعزيز بن باز، وعبد الله الخطيب، وإبراهيم السليمان الجهمان، وابن غامد العسكرو... و...

هل كان دعاة محمد (ص) ومؤدّونه مغتّين ومغتّيات وراقصين وراقصات يصرف لهم الجوائز ويندق عليهم الأموال؟ هل نشر الاختلاط بين الفتية والفتيات في المعاهد الدراسية وحلبات الرياضة حفاة عراة ليس معهم إلا إبليس يرقصهم على أنغامه؟ هل شجّع محمد كتاب الإلحاد والجنس ومنحهم الجوائز والأوسمة؟ هل حالف محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام عبدة «الصليب» و «البقر» ضدّ أحد يسجد لله ويسبح بحمده؟

هل ورد في القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي شيء من هذا لنقول أن

«الوهابية» هي كمال الدين الاسلامي؟

إذاً ما هو الشبه بين دين الاسلام والحركة الوهابية؟ إنه تشابه محاربين اثنين: محارب يحارب مع المرابطين ويرد الأعداء ويحفظ الحرمات. ومحارب يحارب مع اللصوص ليسيطر على الآمنين ومهاجم المارّين. كلا الإثنين يحمل السلاح ويقاتل، ولكن كل في ميدان يختلف عن الآخر كل الاختلاف.

ونحن لانقرّ ما ذهب إليه بعض العلماء- سواء الطيّبين أم المتملّقين- في تسمية «الحركة الوهابية» باسم «مذهب الاسلام» أو أن في الإسلام- وهابية- سواء أكان مقصود المعنى أو مجرد الاسم، فإن كان ذلك للمعنى فن الخطأ الفادح أن نجعل الأنظمة الأرضية مقياس صلاح النظام الإلهي، لأن ذلك يعني محاكمة الخالق أمام المخلوق، وإن كان ذلك لمجرد الاسم فلأسماء أهمية في التصوّر والخيال.

فالاسلام سرعان ما تسمع اصطلاحاته فينتقل تصوّرك لمجتمع يعيش لله، وتذكر سيرة الداعي الأول محمد(ص) في غار حراء وغار ثور وفي طرقات الطائف وفي بدر وفي مكة ويشرب، يرسي دعائم هذا الدين، يصلح الدنيا ولا يأخذ منها شيئاً، شفوفاً رحيماً أولاً بالمؤمنين من أنفسهم، وتتصوّر مجتمعاً متآخياً في الدنيا مقبلاً على الآخرة.

وتسمع بـ «الوهابية» فتقلّص عضلات وجهك، وتنتصب شرايينك، وأول ما يقفز الى خيالك صورة «محمد بن عبد الوهاب الكذاب» حاقداً بذياً يلعن هذا وهذا، ويكفر بالله، والأديان والرسل والأخلاق والقيم كلها، ثم تتصوّر مجتمعاً فيه حكومة تحكم باسم الإسلام، والإسلام منها براء، حكومة مشحونة بالحق على المسلمين والمستضعفين!! مقبلون على المادة بشره مخيف، يشتمون الكفار والمشرّكين وهم الكفار والمشرّكون بعد أن ذهبوا بالكفر والشرك المخفف، لا يتحكمون في المال فحسب بل بالفكر والرأي، والدين والأخلاق

والانسان.

تعمل الامبريالية الأمريكية هذه الأيام على تسعير عدوانيتها بغية استعادة نفوذها القديم الذي فقدته بفعل الانتصارات الجبّارة التي تحققت لمصلحة الشعوب المستضعفة في عالمنا المعاصر، وخاصة في ايران الإسلام، حيث دمّرت أكبر معقل للامبريالية الأمريكية في منطقة الخليج ومحجى حكومة المستضعفين، وفي سبيل ذلك تُبذل جهودٌ محمومة لا يستبدال أساليبها القديمة بأساليب مبتكرة ومتنوعة دون أن يعني ذلك تخلّيها نهائياً عن ممارسة أساليبها القديمة، وهي بهذا تلجأ إلى أساليب القتل والقمع والتدمير والتدخل المباشر وغير المباشر في الشؤون الداخلية للشعوب المظلومة، وزيادة استثمار واستغلال ثروات الشعوب الواقعة تحت نفوذها، وتدير الانقلابات الرجعية والفاشية وابتداع أشكال تدميرية جديدة والضرب بعرض الحائط كل المواثيق الدولية، ومحاولات إحياء الأحلاف العسكرية العدوانية القديمة وتجديدها لخلق بؤر جديدة للتوتر وتهديد آمال ومطامع المستضعفين.

وتأتي تحركات الولايات المتحدة الأمريكية في إنشاء القواعد العسكرية المتحركة والثابتة في أجزاء من وطننا الإسلامي بكثافة كبيرة ومجهزة بكل وسائل الحرب والدمار ومناوراتها الخطيرة، واستفزازاتها المتكررة لشعوب المنطقة والثورة الإسلامية في ايران فهي إنما تدشن مرحلة جديدة وخطيرة من التدخل والغزو الامبريالي المباشر، لم تشهده المنطقة منذ العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، وتشكّل جزءاً من سياسة الارهاب الدولي التي تمارسها الامبريالية الأمريكية، ومن سياسة سباق التسلّح وتكثيف القواعد والأحلاف العسكرية العدوانية والتلويح بقنابل النيترون والحرب النووية المحدودة، والانطلاق من مواقع القوة للسيطرة وإخلال التوازن لصالح الامبريالية وتدمير مصير البشر، ويأتي إنشاء القواعد العسكرية والمناورات الامبريالية الرجعية الخطرة هذه في

أعقاب الفشل الذريع الذي منيت به المخططات الأمريكية وعملاؤها في المنطقة، وإحباط محاولاتها المتكررة لإخضاع الشعوب، وفشلها في تقييم مؤامرة «كامب ديفيد»، ومشاريعها كمشروع «فهد السعودي» المكلمة لهذه المؤامرة على شعوب المنطقة.

ويأتي إنشاء القواعد العسكرية العدوانية محاولة للضغط على شعوب المنطقة من أجل تمرير المشروع الأمريكي المسمى بمشروع «ريغان» لحل أزمة الشرق الأوسط وفرض التسوية الصهيونية الرجعية، ومحاولة خلق حلف «إمبريالي- صهيوني- رجعي» لتحقيق ما يُسمى «بالإجماع الاستراتيجي» لمواجهة المد الثوري للشعوب، وتحدد هذه الأهداف السياسية والعسكرية لهذه القواعد بمايلي:-

(أ) حماية السعودية وعملاء أمريكا في المنطقة، وتثبيت وتدعيم نظمهم المهترئة، وقد كشفت بعض أجهزة الإعلام الأمريكية (١) أهداف ونوايا هذه القواعد والمناورات العسكرية بقولها: «إن واشنطن تريد الدفاع عن حلفائها في المنطقة ليس ضد أي غزو من الخارج وحسب وإنما حمايتهم من أية عمليات هدم داخلي» (٢).

(ب) المزيد من إخضاع هذه الأنظمة العميلة والسيطرة عليها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

(ج) السيطرة على منابع النفط، وحماية أي نظام سائر في ركاها، وتهديد أمن وسلام الخليج والجزيرة.

لم يكن آل سعود ظاهرة غريبة في التاريخ، كنماذج للحكام الذين يخونون

(١) مجلة «الواشنطن بوست» بتاريخ ٢٧/١٢/١٩٨٦م بقلم: ادوين روتشيلد.

(٢) مجلة «نيويورك تايمز» بتاريخ ٢٥/١١/١٩٨٥م بقلم: آموس بيرليوتر.

مصالح الشعوب فيتحولوا إلى دمية تتبع المحتل، أو المركز المتبوع، ينفذون كأدوات وطنية مايراد منهم تنفيذه، بأقل درجة من الاستفزاز والإهانة لشعوبهم، كي يتمكنوا من مواصلة مهمتهم غير المقدسة على مايرام.

وفي تاريخنا المعاصر نموذج آخر للحكام الذين يطلقون على المركز المتبوع «صديقاً» أو «حليفاً» ويتصرفون إزاءه بتمايز، يصل حدّ توجيه الانتقادات الحادة ضده، وكذلك افعال الخلافات الشديدة معه، وبذلك يستطيعون أن يستروا ارتباطاتهم ويضلّلوا أعداداً غير قليلة من الناس البسطاء. وليس من شك في أن هذا «النمط المتحضر» من التبعية والارتباط بالمركز المتبوع يخدم مصالح الطرفين في آن معاً، ويستطيع مواصلة ممارسة هذه اللعبة أطول فترة ممكنة.

أما نمط آل سعود فهو نمط خاص، وكأنهم أصحاب مدرسة جديدة في التبعية وخيانة مصالح الشعوب والوطن.

فخلافاً لكل الأنماط لم يكتفِ آل سعود باختيار خندق العدو الأمريكي - الصهيوني والإبقاء على «الجلباب العربي»، بل إنهم تهادوا في إلغاء أية سمة من السمات التي يمكن أن توقعهم بشبهة الانتماء للعرب أو للإسلام، وبذلك لم ينالوا شرف التلمذة الذكية على يدي الصهاينة، بل فضّلوا أن يكونوا التلاميذ الأغبياء الذين لا تخدم مواقفهم وتصريحاتهم العدو كما يريد ويتمنى.

وها هي طائرات «الأواكس» الأمريكية في الأراضي السعودية تشهد بذلك.

يبقى القول: هل من التجبّي - بعد هذه المواقف والتصريحات - اعتبار آل سعود هم تلامذة الماسونية الأغنياء؟!.

وأخيراً أقول لقارئ الكريم: فإنما هي جولة قلم في أمور مسطورة لم أجد بها فكراً، ولم أكد في تهذيبها قريحة، ولكنها طبيعة الدين توحى بالقلم، وطبيعة السيرة الطيبة تلهم الصواب، وسيرة محمد (ص) ملتقى المشاعر العالية، ودينه

ينبوع المثل الكريمة.

ومعذرة الى قارئ العزيز والى أخى الكريم، فاني لم أفكر في وقت ما أن أصل الى هذا الإسفاف، ولكن الكلام على هذه الحجج يسوقني إليه سوقاً، فماذا أصنع!!

والله أسأل أن يوقفني وإياك للأخذ بأوضح الطرق وإلى أسمى الغايات «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين» وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين وأصحابه المنتجبين- آمين-.

محتوى الكتاب

الاهداء

٤

التقديم

٥

المقدمة

١١

الفصل الأول

هذه هي الوهابية

نشأة الوهابية

٢٠

الوهابية في تطلعاتها العقائدية والدينية

٢٣

خلاف الوهابية على الامة

٣٢

التوسل سنة متبعة

٣٥

المسلمون وطلب الشفاعة

٤٢

زيارة القبور وسيرة المسلمين

٤٧

ابن تيمية في الميزان

٥٦

الصلة بين الوهابية والماسونية

٦٤

الفصل الثاني

محطات تأقل في السياسة السعودية

٧٦

دور السعودية في خدمة الصهيونية

٨٥	الدور السعودي في الحرب الصليبية - الاسلامية
٩٤	النظام السعودي وشراء الضمائر الميتة
٩٧	الأصابع السعودية في إشعال الفتنة الطائفية
١١٢	أمير الوهابيين يزيد بن معاوية
١٢٨	الموقف السعودي من القضية الفلسطينية

الفصل الثالث

طبيعة النظام من حيث الحكم

١٥٢	البذخ والترف السعودي
١٥٩	إيمان خائن الحرمين

الفصل الرابع

آل سعود والوحدة الاسلامية

١٧٨	الحجّ وبيت الله العتيق
١٨١	الحجّ مؤتمر المسلمين الحقيقي
١٨٦	الموقف السعودي من البراءة من المشركين
٢٠٥	الوحدة الاسلامية في المنظار السعودي
٢٢٣	الخلاصة

کتاب ۱۲۰۰ پیل